

فتح باب البرية

في

الخطبة المنبرية

الجزء الأول

تأليف الشيخ الدكتور
محمد بن عبد الله بن عثمان العواضي

فتح رب البرية

في
الخطبة المنبرية

العنوان: فتح ربّ البريّة في الخطب المنبرية.
تأليف: الدكتور محمد عبده العواضي.
الصفحات: (339 صفحة).
الجزء: الأول.
الطبعة: الأولى، 1446 هـ - 2025 م.
قياس القطع: 17×24.
النّاشر: غافق للدراسات والنشر.
إخراج فني وإلكتروني: هشام بن حسين الأهدل.

للتواصل مع المؤلف:
00967 777 949 489

النّاشر



غافق للدراسات والنشر
GAFQ for studies and publishing

اليمن - صنعاء
gafeq.s.p@gmail.com
+967 71 71 72 770
GAFQ.S.P



782 16 12 14

فَتْحُ رَبِّ الرَّبِّ

فِي

الْحَبِيبِ الْمُنِيرِ

الجزء الأول

تأليف الشيخ الدكتور

محمد بن عبد الله بن عوان العواضي



GAFAEQ for studies and publishing

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ

بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا

أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: 108].



أشكر الله تعالى أولاً وأخيراً على آلائه الكثيرة التي لا يحصيها عدُّ، ولا يحيط بها ثناء، وأحمده على مَنِّهِ الجزيلة التي ليس لها حصر ولا يبلغها شكر.

ثم أشكر كل من تعاون معي، ابتداءً من تفرغ الخطب أو نقلها من خط اليد إلى الكمبيوتر، ثم التنسيق والمراجعة، والترتيب ثم الطباعة.

أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجزل لهم الثواب، ويرفع قدرهم في الدنيا والآخرة.



الإهداء

إلى كل داعيةٍ يحمل هموم أمته، وإلى كل شيخٍ وعالمٍ مداومٍ على إصلاح نفسه وملازمٍ لدعوته، وإلى كل مسلمٍ مستجيبٍ لدعوة الناصحين المصلحين، ومحِبٍّ لعباد الله الصالحين، ولكل أبٍ وأمٍّ تَعَبًا في تربية أولادهم على الهداية والرشاد، ولكل زوجةٍ داعيةٍ أعانته على دعوته، وصبرت على بعده وانشغالاته.

إلى كل هؤلاء أهدي هذه الأجزاء، راجيا من الربِّ الرحيم المنان أن يضع لها القبول الجميل سائر الأزمان، والثواب الجزيل، متوسلا إليه باسمه الرحمن.

لأبي وأمي إخواني أبنائي	ولزوجتي وسائر العلماء
ولكل من حمل القرآن ومن تلا	ولكل أستاذ بلا استثناء
ولكل داعيةٍ، خطيبٍ حاملا	هم الهدى، لله ذي الآلاء
بموودةٍ ومحبةٍ وبحكمةٍ	لجميع خلق الله في الأرجاء
ولأمة الإسلام - فُرَجَّ - كربها	أهدي الكتاب، تقبلوا إهدائي



المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي، له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، النبي الكريم، والرسول الأمين، محمد بن عبدالله، سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فهذا كتاب خطبٍ جمعتُ فيه ما قد أَلْقَيْتُ من خطب منذ سنوات بعد أن ضاع الكثير منها؛ إذ كنت أكتبها بخط يدي، وما زال منها ما لم أخرجها، لعل الله أن ييسر إخراجها.

جمعتُ هذه الخطب في كتاب واحد بأجزاء متعددة راجياً من الله الكريم، ومستعيناً به وهو الرحمن الرحيم؛ أن يجعله خالصاً لوجهه، وأن يضع له القبول والانتشار والنفع، إنه على كل شيء قدير، وهو حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفي هذه المقدمة أحب أن أقول: إنه لا يخفى على كل مسلم - لا سيما الدعاة إلى الله - ما للخطابة والوعظ من أهمية في حياة المسلمين، ومن أثر في تغيير كثير من المنكرات، أو تصحيح كثير من الأخطاء، أو التوجيه والبيان لما يحتاجه المسلم في حياته الفردية، وحياة الأمة الجماعية.

والخطابة عبادة عظيمة من العبادات، متى ما جمع الخطيب فيها بين الإخلاص لله تعالى، واستشعار عظمة المسؤولية التي تَحْمَلُهَا.

والأمة الإسلامية اليوم بأمس الحاجة إلى تكاتف الجهود وتوحد الصفوف لمواجهة السيل الجارف الذي يُقْصِدُ من ورائه إخراجها عن دينها الذي جعله الله سبباً لعزتها، وطريقاً لرفعتها، وسبيلاً لتمكنها، ونبراً لتقدمها.

وهي اليوم تواجه كثيراً من التحديات في شتى المجالات وعلى المستويات كافة، وحالها في هذا الظرف الشديد من أصعب الأحوال التي مرّت بها.

وخطر هذا التحدي في نظري يكمنُ في أمرين اثنين:

الأول: التحدي الفكري.

فمنه يدخل أعداء الإسلام على المسلمين من باب الشبهات، لينتهي الأمر ببعض المخدوعين إلى الإلحاد أو الردة أو التشكيك بالمسلمات الشرعية والثوابت الدينية القطعية.

الثاني: التحدي الأخلاقي.

حيث يلج الأعداء على المسلمين من باب الشهوات، وقد لا يتوقف الأمر ببعض المغترين إلا بالانسلاخ من القيم.

وهو أيضًا بوابة من بوابات الإلحاد، بل هو من أعظمها وأخطرها.

ومثل هذه الجهود الكبيرة في إفساد الشعوب الإسلامية - لا سيما الشباب والنساء - لا تواجه إلا بجهود كبيرة.

وقانون نيوتن في الحركة يقول: لكل فعل رد فعل مساوٍ له في المقدار ومضاد له في الاتجاه. **وأصدق من ذلك قول الله تعالى:** ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: 217].

والدعوة إلى الله عبادة عظيمة لا تنقطع إلا بالموت، **قال تعالى:** ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: 99]، **واليقين في الآية:** الموت.

والعبادة في زمن الغربة هجرة عظيمة، وشهادة في سبيل الله؛ **قال** صلى الله عليه وسلم **قال** (العبادة في الهرج كهجرة إلي) (1).

قال الإمام النووي رحمه الله في شرح مسلم: "المُرَادُ بِالْهَرْجِ هُنَا: الْفِتْنَةُ وَاخْتِلَاطُ أُمُورِ النَّاسِ، وَسَبَبُ كَثْرَةِ فَضْلِ الْعِبَادَةِ فِيهِ: أَنَّ النَّاسَ يَغْفَلُونَ عَنْهَا، وَيَشْتَغِلُونَ عَنْهَا، وَلَا يَتَفَرَّغُ لَهَا إِلَّا أَفْرَادٌ" (2).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم **قال** (إِنَّ مِنْ وِرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الْمُتَمَسِّكُ فِيهِنَّ يَوْمٌ بِمِثْلِ مَا

(1) صحيح مسلم (2948).

(2) شرح النووي على مسلم (89/18).

أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَهُ كَأَجْرِ خَمْسِينَ مِنْكُمْ)، قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَوْ مِنْهُمْ؟ قَالَ: (بَلْ مِنْكُمْ)، قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَوْ مِنْهُمْ؟ قَالَ: (لَا، بَلْ مِنْكُمْ) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَوْ أَرْبَعًا⁽¹⁾.

وأعظم العبادات - بعد إصلاح النفس -: الدعوة إلى الله، والعمل على إصلاح عقائد الناس وأخلاقهم، ومواجهة أعداء الفضيلة والفطرة.

إن الأمة الإسلامية والمجتمع المسلم اليوم ليس بحاجة فقط إلى عابد غافل، ولا إلى ساجد عاكف، ولا إلى زاهد جامد لا يراوح مكانه، بل هي في أمس الحاجة إلى عابد متنبه ومتيقظ، وإلى ساجد مرتفع الهامة ومنتصب القامة، وإلى زاهد يمسك بتلابيب الحياة لبلوغ مرمى الآخرة. وقديماً قال عمر رضي الله: "اللهم إني أعوذ بك من جلد الفاجر وعجز الثقة"⁽²⁾.

فعجز الصالح الثقة على التفاعل مع محيطه القريب قبل البعيد، والمساهمة في إصلاح عيوب المجتمع أفراداً وجماعات ومؤسسات؛ يجعله يستقر في المؤخرة، ويرضى بالسلبية منهجاً، فأراً من مواجهة المشاكل وتحدي العراقييل، مفضلاً السلامة والدعة والعيش في هناء، قد يلهيه كسب قوت يومه، وقد يغرق في التفاصيل المملة لواقعه، أو خائفاً على منصبه، يتبع سير السفهاء، ويرنو إلى عيش الغوغاء، وإن سألته عن حاجة المجتمع لصلاحه وإصلاحه، بسط أمامك ألف عذر وعذر، ليقنعك أنه مفيد للأمة في حالة سكونه وتقوقعه أكثر من

(1) المعجم الكبير للطبراني (289) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (494).

(2) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (68/28).

انطلاقه وحركته، في ظل واقع موبوء يحتاج إلى اجتهاد في الدعوة وتفاعل في النصح، واهتمام في الإرشاد.

والصواب أن الفرد الثقة الصالح ينبغي أن يكون صالحًا في نفسه ومُصلِحًا لمن حوله، وثقته تقاس أساسًا بمدى عطائه الفردي والجماعي، وحجم تأثيره الإيجابي في محيطه، وقد أصبح العالم اليوم قرية واحدة، فأين اجتهادك -أخي- في التأثير والدعوة والنصح والإرشاد.

أخي الخطيب - حفظك الله ورعاك، وثبتنا الله وإياك على طاعته، واستعملنا في أسباب مرضاته حتى نلقاه -: إن أمر الخطبة أمر عظيم ينبغي للخطيب ألا يغفل عن ذلك، ولقد كان السابقون يعظمون ذلك كثيرًا، حتى قيل لعبد الملك بن مروان: عَجَلَ عَلَيْكَ الشَّيْبُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! **قال:** "وَكَيْفَ لَا يَعَجَلُ عَلَيَّ، وَأَنَا أَعْرَضُ عَقْلِي عَلَى النَّاسِ كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ" (1). **يعني:** خطبة الجمعة، وبعض ما يعرض من الأمور.

وقال هشام بن عمار: "مَا أَعَدْتُ خُطْبَةً مُنْذُ عَشْرِينَ سَنَةً" (2).

فأنت -أيها الخطيب الحبيب- تخاطب عقولاً مختلفة، وفئات متعددة، وأعمارًا متفاوتة، تخاطب الغني والفقير، والصغير والكبير، والتاجر في متجره، والعامل في وظيفته، وصاحب الخضار في محله، والقاضي والمحامي والمدير

(1) نثر الدر في المحاضرات (3/33).

(2) من روى عنهم البخاري في الصحيح (ص 218).

وطالب العلم والشيخ وغيرهم، هؤلاء الفئات يحضرون خطبتك أو يسمعون كلامك، **فهل أنت -أخي الكريم-** على قدر المسؤولية في تبليغ دين الله، وإيصال أحكامه الشرعية، والتأثير على القلوب والأرواح قبل الأجساد.

إن الخطبة موعظة من المواعظ التي يمكن أن تُغير بها فكرًا للإنسان، أو تصحح بها مفهومًا مغلوطنًا لأناس، أو تغير بها منكرًا انتشر، وغيرها من الأمور العامة والخاصة التي ينبغي أن تكون في ذهن الخطيب لإيصالها.

الخطبة -أيها الأخوة- في نظري تبدأ من: همّ في القلب، ثم نية، ثم عزيمة، ثم نظر في الواقع، ثم عنوان يناسب الواقع، ثم تصفحٌ وبحث ونظر في هذا العنوان، ومن كتب فيه، ثم جمع المعلومات، ثم فرزها وترتيبها، ثم صياغتها صياغة تتناسب مع حجم الموضوع، ثم التنبه أن الإطالة تفقد بريق الخطبة؛ لأن ذلك مخالف للهدى النبوي.

هذه هي أركان إعداد الخطبة في نظري، متى عرّيت الخطبة عن هذه الأمور فلن يكون لها أثر ولا تأثير، وكلما نقص منها ركن نقص الأثر بقدر أهمية هذا الركن.

الأول: همّ في القلب، بحيث يتحرك الفؤاد ناظرًا في واقعه ومجتمعه وأتمته، مستحضراً الماضي مستشرقاً للمستقبل.

الثاني: النية، وهي الإخلاص لله، مستشعراً عظمة هذه العبادة التي هو فيها، ومستحضراً عظمة ما كلفه الله في ذلك، ومتفكراً في نعمة الله عليه، إذ وفقه الله تعالى لهذه العبادة، وقد حُرِّم منها كثير من الناس، ومستحضراً قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم **كَمَا فِي الصَّحِيحِينَ: (فَوَاللَّهِ لَأَنَّ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ**

يَكُونُ لَكَ حُمْرُ النَّعْمِ) (1).

فأنت -أيها الخطيب- قد اصطفاك الله لحمل دعوته، ورعاية أمانته، وصيانة عهده، وتحقيق وعده، فعلم الناس دين الله واسبطه بين أيديهم.

ويدخل في النية: الاهتمام بأن يكون الخطيب قدوة في نفسه، قدوة فيما يتكلم عنه، مستحضراً قوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 44].

فالناس ينظرون إلى سلوك الخطيب، ويدققون النظر فيه؛ ولذا ينبغي أن تتطابق أفعاله مع أقواله، فالتزام الخطيب بأحكام الإسلام بوجه عام، وتطبيق ما يدعو إليه في خطبته، يجعل كلامه مقبولاً عند المستمعين، أما مخالفة العمل للقول، فإنه يجعل المستمعين لا يثقون به ولا بكلامه.

فيا أيها الخطيب: أر الله من نفسك خيراً، واعلم أنك من ورثة الأنبياء.

الثالث: عزيمة. بعد أن يستحضر ما تقدم ستتولد عنده عزيمة من خلالها سيبحث ويجتهد وينشط.

الرابع: نظر في الواقع، وهو النظر في الموضوعات التي يحتاج إليها الناس ويتنفعون بها في واقع حياتهم، سواء الدينية أو الدنيوية، وهذا الأمر لن يصل إليه الخطيب وصولاً طيباً إلا بكثرة القراءة والاطلاع والمشاورة والاستشارة، بعيداً عن التأثيرات السياسية أو الحزبية أو إرضاء الجمهور كما يقال، فالخطيب

(1) صحيح البخاري (3701).

يجمع القلوب والأجساد ولا يفرق، يتعد عن مسائل الإثارات ومواطن الخلافات، متبعاً في ذلك منهج السلف الصالحين والأئمة المهتدين، مسترشداً بطريقة الراسخين من العلماء المعاصرين، لا تستهويه قنوات الفتن ولا مواقع ولا صفحات الشغب والجهل.

وهذا الأمر - وهو النظر في الواقع - فن من الفنون يحتاج الوصول إليه إلى دُرْبَةٍ.

فما أقبح بالخطيب أن يجهل أحوال أمته وواقع عالمه، وإلا فأين الجسد الواحد، ومن أين تستقي الجماهير أخبار إخوانهم، وكيف يمكنهم مد العون لهم أو على الأقل المشاركة بالدعاء والدعم المعنوي لقضاياهم وأزماتهم؟! ولا بد أيضاً أن يدرك الخطيب واقع القوى العالمية المعادية للإسلام: فإن تكالب أعداء الإسلام على الإسلام ودعاته أمر لا ينكره إلا مكابر، وتنوع أساليب الأعداء وتبادلهم الأدوار في محاربة أمة الإسلام أمر أصبح ظاهر العيان، وأخطر هذه المحاربة لإفساد الأمة هو ذلك الدور الذي يأتي بدور الحمايم، كالمنظمات الإغاثية، والمعاهد التدريبية التابعة للأيدي الخارجية، وغداً تكون هذه الحمايم الصقور التي تنقض على فريستها، فتفسد عليها دينها وديناها، ومع غفلة الأمة عن إدراك حقيقة الصراع وطبيعته يصبح دور الدعاة وخطباء الأمة أمراً لازماً لتبصير الأمة بهؤلاء الأعداء وأساليبهم ومؤامراتهم.

فإدراك الخطيب لهذا الواقع وأساليب الأعداء من أساليب اقتصادية وسياسية وفكرية وأخلاقية، وتنوع صورها من مؤسسات تنصيرية أو تبشيرية أو

استشراقية، أو ماسونية، وتحذيره الأمة وتبصيرها بذلك من شأنه أن يقيها ضربات موجعة مؤلمة.

الخامس: عنوان يناسب الواقع. واختيار العنوان المناسب من أصعب الأمور عند الخطيب الذي يعظم موضوع الخطبة، ويستشعر عظمة المسؤولية، ويستحضر شرف هذه العبادة، واختيار موضوع الخطبة أصعب في نظري من كتابة مطالع القصائد الشعرية.

ولهذا فالخطيب المتمكن هو الذي يجول خاطره منذ نزوله من المنبر في خطبته في التفكير في عنوان للخطبة القادمة.

فعلى الخطيب اختيار موضوع الخطبة من واقع الحياة التي يعيشه الناس، من تعليم الناس أمور دينهم وعبادة ربهم، ومناقشة المشكلات الاجتماعية والأخلاقية والتعبدية المتعددة، ومحاولة طرح الحلول لها، أما الموضوعات السلبية التي لا تعالج أمراض المجتمع وعلله المختلفة، فإن الاستفادة منها تكون قليلة.

وللأسف أن بعض الخطباء تأتي عليه ليلة الجمعة وهو ما زال لم يفكر في عنوان للخطبة، بل تعود بعضهم أن يدخل مواقع في النت يختار خطبة منها ثم يطبعها أو يكتبها ثم يخطب، وهذا -أيها الأخوة- من أكبر الأخطاء ومن أكبر الأسباب في عدم تأثير خطيب الجمعة.

الخطبة إذا لم تختلط بمشاعرك وبقلبك وفؤادك، وتكون جارية في روحك وجسدك مجرى الدم فلن يكون لها أثر يذكر.

وأنا لستُ ضد من يأخذ خطبة من كتاب أو موقع في النت، ولكن ضد من يأخذ لإزالة همٍّ عن نفسه دون النظر في مناسبة هذه الخطبة ومدى أثرها وتأثيرها، ويأخذها من غير استشعار لأهمية اختلاط موضوع الخطبة بالمشاعر والأحاسيس القلبية والتي هي من أساسيات التأثير.

السادس: من أركان الخطبة وإعدادها: التصفح والبحث والنظر في هذا العنوان الذي اخترته ومن كتب فيه. سواء في المراجع الشرعية أو غيرها مما له علاقة بالعنوان والواقع، ولا تكتفِ بمعلوماتك المحفوظة فقد تخونك، وقد لا تعطي العنوان حقه اكتفاء بما تحفظ.

السابع: جمع المعلومات المتكاملة، وليس مجرد نقولات مبتورة بعيدة عن الموضوع الذي تريد الحديث عنه. وقد يصل بك الأمر -أيها الخطيب- في الإعداد لزيارة شخصيات أو مرافق حكومية أو غيرها حتى يكتمل الموضوع، كمن يريد أن يتحدث عن المخدرات، وخطورة بعض الجرائم ودواعي انتشارها في المجتمع، فلا بد أن يزور الجهات المعنية الرسمية، ويجلس معهم، حتى يطلع على هذه الأمور عن قُرب، وليتحدث عن الواقع مما يصل إليهم.

الثامن: فرز المعلومات وترتيبها، حتى تكون متناسقة ومتسلسلة. وهنا إذا كان الفرز والترتيب يحتاج إلى أن تقسمها إلى سلسلة خطب بسبب طولها فهو أفضل وأنفع.

التاسع: صياغة الخطبة صياغة تتناسب مع حجم الموضوع وأهميته. وهذه

الصياغة هي الروح الذي ستنفخ وتبعث فيها الحياة، وهي من أصعب الأمور، وهي يسيرة على من استعان بالله ثم مارس ذلك وأكثر من القراءة والاطلاع، أما الذي لا يقرأ ولا يطلع ويكتفي بالمعلومات القديمة التي تعلمها فهو أشبه بالبئر التي جف ماؤها أو أصبحت طحالب لا يُنتفع بها؛ لأن القراءة تُشغل العقل والفكر والروح والمشاعر والأحاسيس، ومن فقد القراءة فقد ذهب عنه كل ذلك أو جُله. **وصدق الجاحظ حين قال:** "وَالْكِتَابُ هُوَ الَّذِي إِنْ نَظَرْتَ فِيهِ أَطَالَ إِمْتَاعَكَ، وَشَحَذَ طِبَاعَكَ، وَبَسَطَ لِسَانَكَ، وَجَوَّدَ بَيَانَكَ، وَفَحَّمَ أَلْفَاظَكَ، وَعَمَّرَ صَدْرَكَ، وَمَنَحَكَ تَعْظِيمَ الْعَوَامِّ وَصَدَاقَةَ الْمُلُوكِ، وَعَرَفْتَ بِهِ فِي شَهْرٍ مَا لَا تَعْرِفُهُ مِنْ أَفْوَاهِ الرَّجَالِ فِي دَهْرٍ" (1).

العاشر: عدم الإطالة؛ لأن النفوس في الخطبة غير مهياة لذلك، ومن أطال الخطبة فقد أذهب بريقها ورونها. ومن الخير للخطيب وجمهوره أن يَنْفُضُوا عنه وهم متعلقون به من غير ملل أو سامة (2).

وفي نظري أن الخطبة إذا زادت عن ثلث ساعة فهي طويلة، ولو كانت أقل

(1) كتاب الحيوان (1/39).

(2) قد نظم هذه الأركان الأخ عبد الله الصلاحي بقوله:

أَرْكَانُ خُطْبَتِكَ الْبَلِيغَةِ عَشْرَةٌ	ضُمَّتْهَا بَيِّنَاتٌ لِلْمُتَمَكِّنِ
هَمٌّ بِقَلْبِكَ، نِيَّةٌ، وَعَزِيمَةٌ	نَظْرٌ، لِرَوَاقِعِكَ الْمُلَاحِظِ عَنُونِ
وَتَصَفِّحٌ، بَحْثٌ، وَحُسْنُ صِيَاغَةٍ	مِنْ بَعْدِ تَرْتِيبٍ، وَقَصْرٌ، فَافْطِنِ
جُمِعَتْ بِدَرَسٍ لِلْحَبِيبِ مُحَمَّدٍ	شَيْخِي الْعَوَاضِي ذِي الْكَلَامِ الْمُتَقِنِ

كانت أفضل وأنفع. **جاء في صحيح مسلم عن أبي وائل** قال: «خَطَبَنَا عَمَّارٌ فَأَوْجَزَ وَأَبْلَغَ. فَلَمَّا نَزَلَ قُلْنَا: يَا أَبَا اليَقْظَانِ! لَقَدْ أَبْلَغْتَ وَأَوْجَزْتَ. فَلَوْ كُنْتَ تَنَفَّسْتَ! فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ: إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ، مِثْنَةٌ مِنْ فِقْهِهِ. فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ وَأَقْصِرُوا الخُطْبَةَ. وَإِنَّ مِنَ البَيَانِ سِحْرًا» (1).

ومن توفرت فيه الأركان السابقة فسيكون ولا شك بليغاً في كلامه، نافعاً في نصحه، شجاعاً في إلقاءه، متحققاً فيه ما جاء في (كتاب البيان والتبيين) للجاحظ: أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ، متخير اللفظ" (2).

أخي الخطيب: أخي الداعية: أنت تعتبر رقمًا كبيراً في الأمة، فإذا قرمت نفسك، وتجاهلت قدرك، وغفلت عن مكانك، فإن سهام أهل الشر ستصل إلى بعض مآربها ومقصدتها.

وما مثل الدعاة إلى الله الصادقين في دعوتهم، المحبين الخير لجميع الناس، الحريصين على إيصال الهداية لكل الناس، الحاملين هموم أمتهم، ما مثلهم هذه الأيام في ظل تكالب الأمم على أمة الإسلام إلا كمثل الرماة في جبل أحد، فاحذر -أخي الداعية أخي الخطيب- أن يؤتى الإسلام من قبلك أنت، ومتى ترك الرماة مواقعهم أصيبت الأمة إصابة كبيرة.

فأنت بين الناس شيء، آخر، فاعرف قدر نفسك، فمن عرف قدر نفسه ترك

(1) صحيح مسلم (869).

(2) البيان والتبيين (1/95).

سفاسف الأمور، فضلاً عن أراذلها وشهواتها المحرمة والقيحة.

لهذا احرص أن ترفع قيمتك، وتغلي ثمنك، ولا يكون ذلك إلا بعلم يهدب روحك ويرفعها، وعمل في نفسك، ودعوة وعزيمة ومزاحمة لأهل الشر.

قال رسول الله ﷺ: (مَنْ عَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ كَانَ لَهُ ثَوَابُهَا مَا تَلَيْتَ) (1).
وقال عليه السلام: (وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَعْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْحَيَاتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ) (2). **وقال**: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ) (3).

فهل ترضى -أخي الخطيب والداعية- أن تترك هذه الكنوز، وهذه الرفعة وهذه العظمة، وهذا الثواب الجزيل والأجر الكبير العظيم.

أخيراً؛ هذه الخطب التي بين يديك هي جهدٌ بشري، ولكن حسبي أني بذلت في كتابتها جهداً ووقتاً، حتى إن بعض الخطب كانت تأخذ من الوقت عشر ساعات إلى خمسة عشر ساعة.

وقد تم صياغة الخطب بطريقة سهلة قريبة من أذهان جميع الناس، كما تمت الصياغة بطريقة يمكن أن تلقى في المجالس العامة أو المحاضرات أو المناسبات أو غيرها، وقد حرصت كثيراً على أن تقترن الخطب بالآيات

(1) السلسلة الصحيحة (1335).

(2) سنن أبي داود (3641).

(3) سنن الترمذي (2685).

القرآنية، والأحاديث النبوية، وأقوال السابقين، من الصحابة فمن بعدهم، بل نقلت من كتب غير المسلمين لبيان خطر أعداء الإسلام وكيف يكيدون له كيدا عظيما، وقد تكررت بعض الكلمات والتنبيهات والإرشادات في خطب متفرقة، وما ذاك إلا لأهمية هذه المواضيع التي تم تكرار الحديث عنها، وهذه سنة نبوية لمن تأمل، كما اقترنت الخطب بشواهد شعرية مما يناسب المقام، وقد اقتصرْتُ في التخريج والإحالة على مصدر واحد غالبًا حتى لا أثقل الكتاب بالحواشي، كما ذكرت بعض الأحاديث مما فيه ضعف يسير، وهي قليلة جدًا؛ لأنها في مواطن الوعظ والإرشاد، كما كان هذا عادة كثير من السلف **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**.
وسميته: (فَتْحُ رَبِّ الْبَرِّيَّةِ فِي الْخُطْبِ الْمُنْبَرِيِّ).

وإني أقول كما قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "فيا أَيُّهَا النَّاطِرُ فيه، لك غُنْمه، وعلى مؤلفه غُرْمُهُ، ولك صَفْوُهُ، وعليه كَدْرُهُ، وهذه بضاعته الْمُزْجَاة تُعْرَضُ عليك، وَبَنَاتُ أَفْكَارِهِ تُزْفُّ إِلَيْكَ، فَإِنْ صادفت كَفْؤًا كَرِيمًا لن تعدم منه إمساكًا بمعروفٍ أو تسريحًا بإحسانٍ، وإن كان غيرَه فالله المستعان، فما كان من صواب فمن الواحد المَنَّانِ، وما كان من خطأ فمَنِّي ومن الشيطان، والله بريُّ منه ورسوله" (1).

أسأل الله الغنيَّ الكريمَ الرحمنَ أن يغفرَ لي ولوالديَّ، ولمشاخي وإخوتي، وأولادي، وطلابي، ولكل من ساهم في نشر الكتاب، ولجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات.

(1) حادي الأرواح (17/1).



الإخلاص

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ (1)،
 وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ
 الدِّينَ﴾ (2)، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله القائل: «إن الله لا يقبل من العمل
 إلا ما كان له خالصا وَابْتِغِي بِهِ وَجْهَهُ» (3) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**
 فاتقوا الله عباد الله حق التقوى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا
 تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (4).

أيها المؤمنون: إن أعظم العبادات، وأجل القربات، بل وأعظم الأصول في
 دين الإسلام هو تحقيق الإخلاص لله تعالى في العبادات، وفي جميع الطاعات،
 والابتعاد عن كل ما ينافي الإخلاص ويضاده من الرياء والسمعة والعجب
 والإدلال بالعمل وغير ذلك.

تخليلوا معي لو أن إنسانا اشترى أرضا واسعة وبنى بيتا فارها، وكان له أولاد،

(1) [البينة: 5].

(2) [الزمر: 2].

(3) السنن الكبرى للنسائي (4333).

(4) [آل عمران: 102].

ذكور وإناث، وله من جميع الأموال مع سعادة ظاهرة، ثم في عشية وضحاها ذهب كل ما يملك بحرق أو غرق أو غير ذلك، ذهبت هذه الأمور العظيمة أمام عينيه، وزالت أمام ناظريه، فكيف سيكون حاله؟ كم هي الهموم والأحزان والأوجاع والآلام التي ستنزل عليه؛ إنه أمر كبير، وخطر عظيم، إن مثل هذا الإنسان كمثل من يعمل طاعات وعبادات ويسابق إلى خيرات وحسنات، ولكنه مع هذه المسابقة وهذه المسارعة فقد الشرط الأعظم في قبول هذه الطاعات والحسنات، فقد الإخلاص لله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ (1)، ﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضِعْفَاءُ فَاَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (2).

وستتكلّم عن هذه العبادة الجليلة في النقاط الآتية وهي:

أولاً: تعريف الإخلاص:

قال العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللهُ: "الإخلاص أن يفعل المكلف الطاعة خالصة لله وحده، لا يريد بها تعظيماً من الناس ولا توقيراً، ولا جلب نفع ديني، ولا دفع ضرر دنيوي" (3).

(1) [الفرقان: 23].

(2) [البقرة: 266].

(3) قواعد الأحكام (1/ 146).

ويقول سهل بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ: **الإخلاص** أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة⁽¹⁾.

ويقول بعضهم: **المخلص** هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الناس من أجل صلاح قلبه مع الله تعالى، ولا يحب أن يطلع الناس على مثاقيل الذر من عمله⁽²⁾.

ثانياً: بعض أقوال العلماء عن هذه العبادة العظيمة:

عن سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ، قال: "ما عالجت شيئاً أشد علي من نيتي، إنها **تَقَلَّبُ عَلَيَّ**"⁽³⁾.

قال عبد الله بن أبي جَمْرَةَ رَحِمَهُ اللهُ: "وَدِدْتُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ مَنْ لَيْسَ لَهُ شُغْلٌ إِلَّا أَنْ يَعْلَمَ النَّاسَ مَقَاصِدَهُمْ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَيَقْعُدَ إِلَى التَّدْرِيسِ فِي أَعْمَالِ النِّيَّاتِ لَيْسَ إِلَّا؛ فَإِنَّهُ مَا أَتَيْتُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مِنْ تَضْيِيعِ النِّيَّاتِ"⁽⁴⁾.

وسئل سهل بن عبد الله التستري رَحِمَهُ اللهُ: "أَيُّ شَيْءٍ أَشَدُّ عَلَى النَّفْسِ؟! قال: "الإخلاص؛ لأنه ليس لها فيه نصيب"⁽⁵⁾.

(1) إحياء علوم الدين (4/384).

(2) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (18/260).

(3) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (2/288).

(4) المدخل لابن الحاج العبدري (1/3).

(5) الرسالة القشيرية (2/361).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: "والأعمال الظاهرة لا تكون صالحة مقبولة إلا بتوسط عمل القلب، فإن القلب ملكٌ، والأعضاء جنوده، فإذا خبث خبث جنوده، ولهذا قال النبي ﷺ: إنَّ في الجسد مضغة،... الحديث" (1).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "العملُ بغير إخلاص ولا اقتداءٍ كالمسافر يَمَلَأُ جرابه رمالاً يُثْقَلُهُ ولا يَنْفَعُهُ" (2).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: "والنوع الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمل فيه إخلاصه فيغفر الله له به كبائر، كالبغْيِ التي سقت كلباً، فقد حضر في قلبها من الإخلاص ما لا يعلمه إلا الله فغفر الله لها، وإلا فليس كل بَغْيٍ سقت كلبا يغفر لها. وكذلك هذا الذي نحى غصن الشوك عن الطريق، فَعَلَهُ إذ ذاك بإيمان خالص، وإخلاص قائم بقلبه، فَعُفِّرَ له بذلك؛ فإن الأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص، وإن الرجلين ليكون مقامهما في الصف واحداً، وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض. وليس كل من نحى غصن شوك عن الطريق يغفر له" (3).

ثالثاً: ثمرات الإخلاص وفوائده، للإخلاص ثمرات وفوائد كثيرة، منها:

1- أن الله عزَّ وجلَّ يحفظ عبده المخلص من الآفات المهلكة وينجيه من

(1) مجموع الفتاوى (81/11).

(2) الفوائد (66/1).

(3) منهاج السنة (222/6).

مضلات الفتن، يقول سبحانه عن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وامرأة العزيز: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (1).

وحديث الثلاثة الذين آوهم المبيت إلى الغار كل واحد منهم يقول: "اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه" (2)، فأنجاهم الله بإخلاصهم في أعمالهم في وقت الضيق والشدة ولم يكن يعلم حالهم فيه إلا الله.

2 - المخلص يحفظه الله من تسلط الشياطين:

قال سبحانه مخبراً عن إبليس: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (3).

3 - من ثمرات وفوائد الإخلاص حفظ القلب من الخيانة والحدق:

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: "نَصَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها وَحَفَظَهَا وَبَلَّغَهَا، فَرَبَّ حَامِلٍ فَفَقِهَ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، ثَلَاثٌ لَا يُغْلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبَ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمَنَاصِحَةُ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلِزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تَحِيْطُ مِنْ وَرَائِهِمْ" (4).

(1) [يوسف: 24].

(2) البخاري (2272).

(3) [ص: 82، 83].

(4) سنن الترمذي: (2658).

4- أن من أخلص لله تعالى فإنه يضاعف له الحسنات والدرجات، فقد يكون العمل يسيرا لكن يعظم أجره بالنية الصالحة، **فمن** سعد بن أبي وقاص **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجِرتَ عليها، حتى ما تجعل في فَمِ امْرَأَتِكَ» (1).

قال ابن المبارك **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "رَبَّ عَمَلٍ صَغِيرٍ تُعَظِّمُهُ النِّيَّةُ، وَرَبَّ عَمَلٍ كَبِيرٍ تُصَغِّرُهُ النِّيَّةُ" (2).

5- ومن ثمراته أيضا حفظ الأمة وتحقيق النصر: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم» (3).

6- ومن ثمراته تفريغ الشدائد والكروب: وقد ذكر الإمام الشوكاني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في البدر الطالع قصة عجيبة عن هذا الأمر فتأملوها، يقول **رَحِمَهُ اللَّهُ**: كان هناك رجل من الزَّرْعَةِ، وَكَانَ ذَا دِينَ وَصَدَقَةٍ، فَاتَّفَقَ أَنَّهُ بَنَى مَسْجِدًا يَصَلِّي فِيهِ، وَجَعَلَ يَأْتِي ذَلِكَ الْمَسْجِدَ كُلَّ لَيْلَةٍ بِالسَّرَاجِ وَبِعِشَائِهِ، فَإِنْ وَجَدَ فِي الْمَسْجِدِ مَنْ يَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ أَعْطَاهُ ذَلِكَ الْعِشَاءَ وَإِلَّا أَكَلَهُ وَصَلَّى صَلَاتَهُ، وَاسْتَمَرَ عَلَى ذَلِكَ الْحَالِ، ثُمَّ إِذَا اتَّفَقَتْ شِدَّةٌ وَنَضَبَ مَاءُ الْأَبَارِ، وَكَانَتْ لَهُ بَيْرٌ، فَلَمَّا قَلَّ مَاؤُهَا أَخَذَ يَحْتَفِرُهَا هُوَ وَأَوْلَادُهُ، فَخَرِبَتْ تِلْكَ الْبَيْرُ وَالرَّجُلُ فِي أَسْفَلِهَا خَرَابًا عَظِيمًا حَتَّى إِنَّهُ سَقَطَ مَا حَوْلَهَا مِنَ الْأَرْضِ إِلَيْهَا، فَأَيْسَ مِنْهُ أَوْلَادُهُ وَلَمْ يَحْفَرُوا لَهُ، وَقَالُوا: قَدْ

(1) صحيح البخاري (56).

(2) جامع العلوم والحكم (71/1).

(3) سنن النسائي (3178).

صَارَ هَذَا قَبْرَهُ، وَكَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عِنْدَ خَرَابِ الْبُئْرِ فِي كَهْفٍ فِيهَا، فَوَقَّعَتْ إِلَى بَابِهِ خَشَبَةٌ مَنَعَتْ الْحِجَارَةَ مِنْ أَنْ تَصِيبَهُ، فَأَقَامَ فِي ظُلْمَةٍ عَظِيمَةٍ، ثُمَّ إِنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ جَاءَهُ السَّرَاجُ الَّذِي كَانَ يَحْمَلُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَذَلِكَ الطَّعَامُ الَّذِي كَانَ يَحْمَلُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ، وَكَانَ بِهِ يُفَرِّقُ مَا بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَاسْتَمَرَّ لَهُ ذَلِكَ مُدَّةَ سِتِّ سِنِينَ وَالرَّجُلُ مُقِيمٌ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، ثُمَّ إِنَّهُ بَدَأَ لِأَوْلَادِهِ أَنْ يَحْفَرُوا الْبُئْرَ لِإِعَادَةِ عِمَارَتِهَا، فَحَفَرُوهَا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى أَسْفَلِهَا فَوَجَدُوا أَبَاهُمْ حَيًّا، فَسَأَلُوهُ عَنِ حَالِهِ، فَقَالَ لَهُمْ: ذَلِكَ السَّرَاجُ وَالطَّعَامُ الَّذِي كُنْتُ أَحْمَلُ إِلَى الْمَسْجِدِ يَأْتِينِي عَلَى مَا كُنْتُ أَحْمَلُهُ تِلْكَ الْمُدَّةَ، فَعَجَبُوا مِنْ ذَلِكَ، فَصَارَتْ قَضِيَّةً مَوْعِظَةً يَتَوَعَّظُ بِهَا النَّاسُ فِي أَسْوَاقِ تِلْكَ الْبِلَادِ (1).

7- ومن ثمرات الإخلاص مغفرة الذنوب وإن كانت كبيرة:

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: **قال النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بينما كلب يطيف بركية، كاد يقتله العطش، إذ رأته بغيٌّ من بغيِّ بني إسرائيل، فنزعت موقها أي خفها فسقته فغفر لها به» (2).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضا: **أن رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال:** «بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره، فشكر الله له فغفر له» (3)، **قال**

(1) البدر الطالع (1/ 492).

(2) صحيح البخاري (3467).

(3) صحيح البخاري (652).

النووي رَحِمَهُ اللهُ: أي يتنعم في الجنة بملاذها بسبب قطعة الشجرة من الطريق وإبعادها عنه⁽¹⁾. فكيف بمن يبعد ما هو أكبر من ذلك مما يؤذي المسلمين مخلصا عمله لله تعالى.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: وكذلك هذا الذي نحى غصن الشوك عن الطريق فعله إذ ذاك بإيمان خالص وإخلاص قائم بقلبه فغفر له بذلك فإن الأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص وإن الرجلين ليكون مقامهما في الصف واحداً وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض وليس كل من نحى غصن شوك عن الطريق غفر له⁽²⁾.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: **قال رسول الله ﷺ:** «من عاد مريضاً أو زار أخاه في الله ناداه مناد أن طبت وطاب ممشاك وتبوات من الجنة منزلاً»⁽³⁾.

رزقنا الله وإياكم الإخلاص في القول والعمل. أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه فيا فوز المستغفرين.

(1) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (16/171).

(2) منهاج السنة (6/221).

(3) سنن الترمذي (2008).

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، والصلاة والسلام على نبينا محمد الداعي إلى رضوانه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، **أما بعد:**

أيها المؤمنون: ومما يتعلق بحدِيثنا عن الإخلاص وهو الأمر الرابع:

الوسائل المعينة على الإخلاص: فهناك أمور تعين على الإخلاص وتحقيقه منها:

1- **أن يعرف الإنسان** ما الإخلاص وكيف يصل إليه، ويقرأ كلام السلف الصالح عنه.

2- **معرفة الله** وعظمته وقدره وفضله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾⁽¹⁾.

3- **معرفة النفس** وأنها في الأصل جاهلة ظالمة، طبعها الكسل وحب الشهوات وحب الظهور.

4- **أن يتذكر الإنسان** ما بعد الموت، وأنه يموت وحده، ويدخل القبر وحده، ويبعث وحده، ويحاسب وحده.

5- **استحضار الآيات** والأحاديث التي تبين عواقب الرياء.

(1) [النور: 21].

6- الاستعانة بالله عزَّ وجلَّ والإلحاح عليه بالدعاء أن يرزقك الله الإخلاص قبل العمل وأثناء العمل وبعده.

خامسا: ما يتوهم أنه رياء وشرك وليس برياء ولا شرك: فمن ذلك:

1- **حمد الناس** للإنسان على عمل الخير والثناء عليه. فهذا من فضل الله على الإنسان وليس عليه شيء.

عن أبي ذر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال: قيل لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه؟ قال: «تلك عاجل بشرى المؤمن»⁽¹⁾.

2- **بعض الناس يحدث الآخرين** بعد توبته بما فعل من المعاصي حتى لا ينظروا له نظرة إجلال، وهذا غير صحيح، فمن ارتكب شيئا من هذه القاذورات والذنوب فليستر بستر الله، ولا يجوز له أن يتحدث بما حصل له وفعله قبل توبته.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كل أمتي معافي إلا المجاهرين، وإن من الممجانة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله، فيقول: يا فلان، عمِلْتُ البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه»⁽²⁾.

3- **ومن الأمور التي ينبغي التنبه لها،** عَدَمُ ترك الطاعات خوفا من الرياء؛ لأن هذا من مكائد الشيطان، فأنت عليك بفعل الطاعات ولا تلتفت لوسوسة

(1) صحيح مسلم (2642).

(2) صحيح البخاري (6069).

الشیطان أنك فعلت هذا من أجل فلان أو فلان.

قال الحارث بن قيس الجعفي رَحْمَةُ اللَّهِ: إذا هممت بخير فلا تؤخر، وإذا أتاك الشيطان وأنت تصلي، فقال: إنك ترائي، فزدها طولاً⁽¹⁾.

وقال شيخ الإسلام رَحْمَةُ اللَّهِ: "ومن كان له وردٌ مشروع من صلاة الضحى أو قيام ليل أو غير ذلك فإنه يصلية حيث كان، ولا ينبغي له أن يدع ورده المشروع لأجل كونه بين الناس إذا علم الله من قلبه أنه يفعله سرا لله مع اجتهاده في سلامته من الرياء ومفسدات الإخلاص؛ **ولهذا قال الفضيل بن عياض رَحْمَةُ اللَّهِ:** ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك، وفعله في مكانه الذي تكون فيه معيشته - أي في دكانه وسوقه - التي يستعين بها على عبادة الله خير له من أن يفعله حيث تتعطل معيشته، ويشتغل قلبه بسبب ذلك، فإن الصلاة كلما كانت أجمع للقلب وأبعد من الوسواس كانت أكمل، ومن نهي عن أمر مشروع بمجرد زعمه أن ذلك رياء فنهيه مردود عليه"⁽²⁾.

4- نشاط الإنسان بالعبادات والطاعات عند رؤية العابدين والعاملين لها، فبعض الناس يظن أن هذا رياء، وهذا غير صحيح، فهو استعان بعملهم على فعل عمله لا أنه عمله من أجلهم.

قال بعض العلماء: قد يبیت الرجل مع المتجهدين، فيصلون أكثر الليل،

(1) الزهد لوكيع (ص 516).

(2) مجموع الفتاوى (23 / 174).

وعادته قيام ساعة، فيوافقهم، أو يصومون فيصوم، ولولاهم ما انبعث هذا النشاط، فربما ظن ظان أن هذا رياء، وليس كذلك على الإطلاق، بل فيه تفصيل، وهو أن كل مؤمن يرغب في عبادة الله تعالى، ولكن تعوقه العوائق فربما اندفعت هذه الشواغل، وحصلت له أسباب تبعث على الخير، منها مشاهدة العابدين (1).

5- اكتساب العبد الشهرة من غير طلب لها، فهذا لا يدخل في الرياء ولا

السمعة، بل قد تكون وسيلة لنشر الخير، فكما أن الشهرة بالباطل وسيلة لنشر الشر والفساد كما هو الحال في اشتهاار الفاسدين اليوم في القنوات ووسائل التواصل، فكذلك الشهرة بالخير وسيلة لنشر الخير، وقد أخبر الله تعالى عن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال لملك مصر: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (2).

اللهم أتمم علينا نعمتك الوافية، وارزقنا الإخلاص في أعمالنا والصدق في أقوالنا وعُدْ علينا بإصلاح قلوبنا، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(1) مختصر منهاج القاصدين (ص32)..

(2) [يوسف:55].



فضل لا إله إلا الله

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي أحاط بكل شيء علماً، ووسع كل شيء حفظاً، والحمد لله الذي أحاط بكل شيء سلطانه، ووسعت كل شيء رحمته، لا إله غيره، ولا رب سواه، ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁽¹⁾، **وأشهد أن لا إله إلا الله له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سيد المرسلين، وإمام المتقين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:**

فاتقوا الله عباد الله حق التقوى، وتمسكوا بالعروة الوثقى، فمن ثبت عليها نجا، ومن انحرف عنها خسر ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾⁽²⁾.

أيها المؤمنون: احمدا الله على نعمه العظيمة، وآلائه الجسيمة، ومننه الكريمة، التي لا يحصيها عدد، ولا يحصرها أحد، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾⁽³⁾.

(1) [الجاثية: 36].

(2) [إبراهيم: 27].

(3) [إبراهيم: 34].

ألا وإن أجل نعمة أنعم الله بها علينا أن جعلنا مسلمين، وهدانا إلى الصراط المستقيم، **وعرّفنا كلمة التوحيد:** (لا إله إلا الله محمد رسول الله، صلى الله عليه وسلم)، ووقفنا لهذه الكلمة العظيمة، التي هي أعظم الكلمات على الإطلاق، وهي أجل الكلمات، وأرفعها شأنًا، وأعلاها مكانة، إنها كلمة قامت بها الأرض والسموات، ولأجلها خلقت جميع المخلوقات، ولأجلها أنزل الله كتبه، وشَرَعَ شرائعه، ولأجلها نُصبت الموازين، ووُضعت الدواوين، ولأجل هذه الكلمة خُلقت الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى مؤمنين وكفار، فهي منشأ الأجر والثواب، وعنّها وعن حقوقها السؤال والحساب، وعليها يقع الثواب والعقاب، وهي حقٌّ على جميع العباد، فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام.

أيها المؤمنون: إن لهذه الكلمة العظيمة فضائل كثيرة، ومزايا متعددة، ونتائج جميلة، وأثارا حميدة، لا يمكن عدّها، وليس من السهل حصرها.

قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللهُ: "ما أنعم الله على العباد نعمة أعظم من أن عرّفهم (لا إله إلا الله)، وإنَّ (لا إله إلا الله) لأهل الجنة كالماء البارد لأهل الدنيا"⁽¹⁾. ولأجلها أُعدت دار الثواب ودار العقاب، فمن قالها ومات عليها كان من أهل دار الثواب، ومن ردها كان من أهل العقاب.

وإليكم أيها المؤمنون بعض فضائل هذه الكلمة.

فمن فضائل هذه الكلمة:

(1) حلية الأولياء (7/272).

أولاً: أن هذه الكلمة هي العروة الوثقى التي من تمسك بها نجا في الدنيا والآخرة. **قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:** ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (1).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أي: من خَلَعَ الأنداد والأوثان وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يُعبد من دون الله، ووجد الله فعبدته وحده وشهد أن لا إله إلا هو ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ أي: فقد ثبت في أمره واستقام على الطريقة المثلى والصراط المستقيم (2).

ثانياً: ومن فضائل هذه الكلمة: أنها كلمة الحق قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (3).

قال الإمام الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: ومعنى (من شهد بالحق) من شهد أنه لا إله إلا الله (4).

ثالثاً: وهي كلمة التقوى التي قال الله فيها: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (5).

(1) [البقرة: 256].

(2) تفسير ابن كثير (1/ 683).

(3) [الزخرف: 86].

(4) تفسير الرازي (27/ 648).

(5) [الفتح: 26].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: وهي قول: "لا إله إلا الله" (1).

قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: كلمة التقوى هي: شهادة أن لا إله إلا الله، وهي رأس كل تقوى (2).

رابعاً: وهي القول الثابت التي قال الله عنها: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (3).

قال البغوي رَحِمَهُ اللهُ: كلمة التوحيد، وهي قول: لا إله إلا الله (4).

خامساً: وهي الكلمة الطيبة التي قال الله فيها: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (5).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في قوله: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ شهادة أن لا إله إلا الله، ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ وهو المؤمن، ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ يقول: لا إله إلا الله في قلب المؤمن، ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ يقول: يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء (6).

سادساً: وهي كلمة النجاة التي قال فيها مؤمن آل فرعون: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي

(1) تفسير ابن كثير (7/345).

(2) تفسير ابن أبي حاتم (10/3301).

(3) [إبراهيم: 27].

(4) تفسير البغوي (4/349).

(5) [إبراهيم: 24].

(6) تفسير ابن كثير (4/491).

أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿١﴾.

قال الإمام الرازي رَحِمَهُ اللهُ: يعني أنا أدعوكم إلى الإيمان الذي يوجب

النجاة (2).

سابعاً: وهذه الكلمة أعلى شعب الإيمان: **فمن** أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال

رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول:

لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» (3).

ثامناً: وهذه الكلمة أعظم الحسنات الماحية للسيئات: **فمن** أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

قال: قلت: يا رسول الله، أوصني، قال: "إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها"

قال: قلت: يا رسول الله، أمن الحسنات لا إله إلا الله؟ قال: "هي أفضل

الحسنات» (4).

فالحمد لله الذي وفقنا لها، ونسأل الله الكريم بفضله أن يثبتنا عليها حتى

نلقاه. أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو

الغفور الرحيم.

(1) [غافر: 41].

(2) تفسير الرازي (27 / 519).

(3) صحيح مسلم (35).

(4) مسند أحمد (21487).

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي جعل التوحيد أعظم العبادات وأجل القربات، والصلاة والسلام على رسوله الذي بعثه بأعظم الكلمات وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

أيها المؤمنون: تأملوا في هذين الحديثين في فضل هذه الكلمة الجليلة وعظمتها:

عن أبي سعيد الخدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: "قال موسى: يا رب علمني شيئاً أذكرك به وأدعوك به، قال: يا موسى: لا إله إلا الله، قال موسى: يا رب: كل عبادك يقول هذا، قال: قل: لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا أنت، إنما أريد شيئاً تخصني به، قال: يا موسى، لو أن السموات السبع وعَامِرُهُنَّ غيري، والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله" (1).

وعن عبد الله بن عمرو **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: "إن نبي الله نوحاً **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاص عليك الوصية: أمرك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين، أمرك بلا إله إلا الله، فإن السموات السبع، والأرضين السبع، لو وضعت في كفة، ووضعت لا إله إلا الله في كفة، رجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السموات

(1) السنن الكبرى للنسائي (10602).

السبع، والأرضين السبع، كن حلقة مبهمه، قصمتهن لا إله إلا الله" (1).

لا إله إلا الله:

هي أجمل الكلمات قلها كلما ضج الفؤاد وضقت الأزمان

أيها المؤمنون: إن (لا إله إلا الله) كلمة التوحيد العظيمة التي ينبغي أن نتأمل في معناها حتى لا نقع فيما يخدش كمالها أو يزيل حقيقتها.

إن حقيقة التوحيد - أيها المؤمنون - أن نعبد الله وحده، فلا يُدعى إلا الله، ولا يُخشى إلا الله، ولا يتقى إلا الله، ولا يتوكل إلا على الله، ولا يكون الدين إلا له، لا لأحد من الخلق، وألا نتخذ الملائكة والنبين أربابا فكيف بالأئمة والشيوخ والعلماء والملوك وغيرهم.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: التوحيد أَلطَفُ شَيْءٍ وَأَنْزَهُ وَأَنْظَفُهُ وَأَصْفَاهُ؛ فَأَدْنَى شَيْءٍ يَخْدِشُهُ وَيُدْنِسُهُ وَيُؤْثِرُ فِيهِ؛ فَهُوَ كَأَبْيَضِ ثَوْبٍ يَكُونُ يُؤْثِرُ فِيهِ أَدْنَى أَثَرٍ، وَكَالْمِرَاةِ الصَّافِيَةِ جَدًّا أَدْنَى شَيْءٍ يُؤْثِرُ فِيهَا، وَلِهَذَا تُشَوِّشُهُ اللَّحْظَةُ وَاللَّفْظَةُ وَالشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ؛ فَإِنْ بَادَرَ صَاحِبَهُ وَقَلَعَ ذَلِكَ الْأَثَرَ بَضْدِهِ، وَإِلَّا اسْتَحْكَمَ وَصَارَ طَبَعًا يَتَعَسَّرُ عَلَيْهِ قَلْعُهُ (2).

أيها المؤمنون: ما دُفعت الشدائد في الدنيا بمثل التوحيد، ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد، ودعوة ذي النون **عَلَيْهِ السَّلَامُ** التي ما دعا بها مكروب إلا فرج الله

(1) مسند أحمد (6583).

(2) الفوائد (2/282).

كربه بالتوحيد، فلا يلقي في الكروب العظام إلا الشرك، ولا ينجي منها إلا التوحيد، فهو مفرع الخليقة وملجؤها، وحصنها وغيائها، فما أعظمها من كلمة، وأجملها من لفظة.

وَيَا أَجَلَ حُرُوفٍ فِي مَعَانِيهَا	اللَّهُ يَا أَعْدَبَ الْأَلْفَاظِ فِي لُغْتِي
نَفْسِي وَفَاضَ سُرُورِي حِينَ أَرُوبِهَا	اللَّهُ يَا أَمْتَعَ الْأَسْمَاءِ كَمْ سَعِدْتُ
اللَّهُ يَا زِينَةَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا	اللَّهُ أَنْسِي وَبُسْتَانِي وَقَافِيَتِي
وَحِينَ أَبْصَرْتُهَا نَقَشًا وَأُمْلِيهَا	اللَّهُ يَرْتَاحُ قَلْبِي حِينَ أَسْمَعُهَا
لَا أَجْتَنِي الْأَنْسَ إِلَّا مِنْ مَعَانِيهَا	اللَّهُ رُوحِي طُمُوحِي رَاحَتِي سَكْنِي
فَالجَاءَ إِلَيْهَا فَفِيهَا مَا يُجَلِّبُهَا	اللَّهُ إِنْ جَاءَتْ الدُّنْيَا بَضَائِقَةً
فِي ظِلِّهَا مِنْ مُعَانَاةٍ يُعَانِيهَا	اللَّهُ مَا سَكَنْتَ قَلْبًا فَبَاتَ لَهُ
يَرَى الْمُحِبُّ أَفَانِينَ الْمُنَى فِيهَا	اللَّهُ يَا سَلْوَةَ الْقَلْبِ يَا أَمَلًا
مِنْ أَحْرَفٍ فِي مَرَايَاهَا تُسَامِيهَا	اللَّهُ يَا أَحْرَفَ الْإِجْلَالِ لَيْسَ لَهَا
أَرَادَ يَعْْبَقُ إِجْلَالًا وَتَأْلِيهَا	إِسْمٌ تَسْمَى بِهِ الْبَارِي فَكَانَ كَمَا

اللهم ثبتنا على نهج الاستقامة، وأعدنا من موجبات الحسرة والندامة يوم القيامة، وخفف عنا ثقل الأوزار، وارزقنا عيشة الأبرار، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.



كلمة التوحيد وما يناقضها

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾⁽¹⁾، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾⁽²⁾، **وأشهد** أن محمدا عبده ورسوله، الذي هدى الله به من الضلالة وبصر به من الغواية، فتركنا على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك، صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾⁽³⁾.

أيها المسلمون: إن نعمة الإسلام هي أجل النعم وأوفاهها وأعلاها قدرا، ولهذا يجب على المسلم أن يحمد الله ليلا ونهارا على هذه النعمة العظيمة والمنة الكريمة والمنحة الكبيرة؛ إذ جعله الله من أهل التوحيد الخالص والدين الحق، قال سبحانه ممتنا على عباده بإكمال الدين وإتمام هذه النعمة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾⁽⁴⁾ **قال المفسرون:** هذه أكبر

(1) [آل عمران: 19].

(2) [آل عمران: 85].

(3) [آل عمران: 102].

(4) [المائدة: 3].

نعم الله **عَزَّوَجَلَّ** على هذه الأمة حيث أكمل لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دينٍ غيره ولا إلى نبي غير نبيهم، ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله الله، ولا حرام إلا ما حرمه الله، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خُلف⁽¹⁾.

ولهذا كان كثير من العارفين بالله يقول في مناجاته: كفى بي فخرا أني لك عبدٌ، وكفى بي شرفا أنك لي رب⁽²⁾.

أيها المسلمون: ألا وإن من أكرمه الله وحباه هذا الدين القويم وجعله من أهل الإسلام عليه أن يعرف لهذه النعمة قدرها ويرعى لها مكانتها، حفظاً ومحافظه ورعاية لها من كل ما ينقصها أو يناقضها من الأعمال الباطلة والمخالفات السيئة وما يناقض هذا الدين أو يعارضه، وسنذكر في هذه الخطبة معنى كلمة التوحيد، ومعنى كون الإنسان عبداً لله تعالى مع ذكر الآيات والأحاديث التي تحذر من كل ما يناقض ذلك، ثم نذكر مظاهر الشرك التي قد يقع فيها بعض المسلمين جهلاً منهم لِمَا يناقض هذه الكلمة أو يعارضها.

قال الوزير أبو المظفر رَحِمَهُ اللهُ في "الإفصاح": قوله: شهادة أن لا إله إلا الله يقتضي أن يكون الشاهد عالماً بأنه لا إله إلا الله، كما قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾⁽³⁾ **قال:** واسم (الله) بعد (إلا) من حيث أنه الواجب له الإلهية، فلا

(1) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (199 / 18).

(2) اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملاء الأعلى (ص 114).

(3) [محمد: 19].

يستحقها غيره سبحانه قال: وجملة الفائدة في ذلك: أن تعلم أن هذه الكلمة مشتملة على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، فإنك لما نفيت الإلهية وأثبت الإيجاب لله سبحانه كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله⁽¹⁾.

وقال مكي بن أبي طالب رَحْمَةُ اللَّهِ: لا إله إلا هو أي: لا معبود إلا هو⁽²⁾.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ: لا إله إلا أنت فيه إثبات انفراده بالإلهية، والإلهية تتضمن كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته، ففيها إثبات إحسانه إلى العباد فإن "الإله" هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحق أن يُعبد، وكونه يستحق أن يعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب المخضوع له غاية الخضوع؛ والعبادة تتضمن غاية الحب بغاية الذل⁽³⁾.

وقال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ: (الإله) هو الذي تأله القلوب: محبة، وإنابة، وإجلالا، وإكراما، وتعظيما، وذلا، وخضوعا، وخوفا ورجاء، وتوكلا⁽⁴⁾.

وقال ابن رجب رَحْمَةُ اللَّهِ: (الإله)، هو الذي يطاع فلا يعصى هيبته له وإجلالا ومحبةً وخوفاً ورجاءً وتوكلاً عليه وسؤالاً منه ودعاءً له، ولا يصلح هذا كله إلا لله عَزَّوَجَلَّ، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من

(1) البحر المحيط الشجاع في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (1/589).

(2) الهداية إلى بلوغ النهاية (7/4695).

(3) مجموع الفتاوى (10/249).

(4) إغاثة اللهفان من مصايد (1/27).

خصائص الإلهية، كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قول (لا إله إلا الله) وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك (1).

وقال البقاعي رَحْمَةُ اللَّهِ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ﴾ أي الشأن الأعظم الذي ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي انتفى انتفاء عظيمًا أن يكون معبود بحق غير الملك الأعظم، فإن هذا العلم هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة، وإنما تكون عالمًا إذا كان نافعًا، وإنما يكون نافعًا إذا كان مع الإذعان، والعمل بما يقتضيه، وإلا فهو جهل صرف (2).

أيها المؤمنون: إن من أعظم ما يجعل الإنسان يتذكر نعمة الله عليه أن هداه لهذا الدين هو أن يقرأ الآيات التي تحذر من الشرك وأن خطره عظيم وعاقبته وخيمة، **ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾** (3)، **وهذه من أعظم الآيات** التي توجب الخوف من الشرك؛ لأن الله قطع المغفرة عن المشرك وأوجب له الخلود في النار.

ولهذا قال الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ كما أخبر الله عنه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (4) وهذا

(1) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها (ص 23).

(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (18/230).

(3) [النساء: 48].

(4) [إبراهيم: 35، 36].

أيضا يبعث الخوف، فإذا كان الخليل إبراهيم أفضل الأنبياء بعد نبينا عليهما الصلاة والسلام يخاف من الوقوع في الشرك فغيره من باب أولى وأحرى، **ولهذا قال إبراهيم التيمي: مَنْ يَأْمَنُ مِنَ الْبَلَاءِ بَعْدَ خَلِيلِ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ، حِينَ يَقُولُ: رَبِّ وَاجْتَنِبْنِي وَبَيْتِي أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ** (1)، فهذا أمر لا يؤمن الوقوع فيه. فلا يأمن الوقوع في الشرك إلا من هو جاهل به وبما يخلصه منه: من العلم بالله، وبما بعث به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من توحيده، والنهي عن الشرك به.

لا تقل: إن الكلام قد كثر كل يوم عن الشرك، والناس موحدون والحمد لله، وهم مسلمون، سبحان الله! هل أنت أكثر توحيداً من إبراهيم الخليل؟! لا، والله، لما أمره الله تعالى أن يبني هذا البيت العظيم، الذي هو قبلة الموحدين في جميع أنحاء العالم إلى يوم الدين، **ماذا قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهُ:** **﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا** (2) يا إبراهيم! ابن البيت، ولا تشرك بي شيئاً، فهذا أول أمر يؤمر به إمام الموحدين: ألا يشرك بالله، فلم يقل: يا رب! أنا إمام الموحدين، أنا الذي وحدتك تنهاني عن الشرك؟ وإذا نهيت أحداً أو تكلمت أو حذرت من الشرك، قيل: ليس عند هؤلاء الناس إلا الشرك؟ ولا يتكلمون بغير الشرك؟ سبحان الله!

وماذا قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو إمام الدعوة إلى الله، الذي يجب على كل داعية أن يقتدي به إذا كان من أتباعه: **﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ**

(1) تفسير الطبري (13/687).

(2) [الحج:26].

مِنْ قَبْلِكَ لَيْسَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ
 وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١﴾. **فمحمد** صلى الله عليه وسلم **يقول له ربه:** قد أوحى إليك يا رسول الله،
 وإلى الذين من قبلك من الرسل - ومنهم إبراهيم إمام الموحدين - لئن وقع
 منك ذلك الشرك ليحبطن عملك، وحاشاه أن يقع في ذلك، ولكنه بيان لأتباعه
 عن خطورة الشرك.

فما أعظم كلمة التوحيد وما أجمل معانيها وما أحسن أثرها وتأثيرها.

فاللهم اجعلنا من أهل (لا إله إلا الله) في الدنيا والآخرة، أحينا عليها وتوفنا
 عليها واحشرنا يوم القيامة تحت لوائها، وأدخلنا بها جنتك.

أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(1) [الزمر: 65 - 66].

الخطبة الثانية

الحمد لله المتفرد بالألوهية والربوبية وأشهد أن لا إله إلا الله له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

أيها المؤمنون: إن هناك أمورا شركية قد يقع فيها بعض المسلمين من حيث لا يشعرون، فأرجو التأمل فيها والحذر منها والتحذير عنها.

عن محمود بن لبيد رضي الله عنه، **أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:** "إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر" قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: "الرياء، يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جُزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء"⁽¹⁾.

وفي الحديث بيان أن الشرك ينقسم إلى قسمين: أكبر مخرج من الملة، وأصغر هو معصية وذنوب كبير وعظيم.

ألا وإن من مظاهر الشرك الظاهرة في أوساط المسلمين: تعليق التمايم بأن يجعل خيطا أو يعلق نعلا أو حديدة ظانا أن ذلك يمنع عنه الحسد أو الشر، وقد جاءت أحاديث تمنع من ذلك وتبين أنه من الشرك، **ومن ذلك:**

(1) مسند أحمد (23630)

عن عقبة بن عامر الجهني **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أقبل إليه رهطاً، فبايع تسعة وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله، بايعت تسعة وتركت هذا؟! قال: "إن عليه تميمة" فأدخل يده فقطعها، فبايعه، وقال: "من علق تميمة فقد أشرك" (1).

ومن ذلك التبرك بالأشجار والأحجار والأضرحة وغير ذلك، وهذا مظهر من مظاهر الشرك التي حذر منها النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، **فَعَن** أبي واقد الليثي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لما خرج إلى حنين، مر بشجرة للمشركين يقال لها: ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: "سبحان الله، هذا كما قال قوم موسى ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ (2) والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم" (3).

ومنها الذبح لغير الله، سواء لقبر أو ما يسمى بالذبح للهجر عند حصول خلاف بين أناس فيذبحون إرضاء لهم، ومن الذبائح المشهورة أن بعض الناس إذا سكن بيت جديد ذبح خوفاً من الجن، وليس شكراً لله وإكراماً لمن يأتي بمناسبة دخول البيت.

فَعَن أبي الطفيل قال: «قلنا لعلي بن أبي طالب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أخبرنا بشيء أسره

(1) مسند أحمد (17422)

(2) [الأعراف: 138].

(3) سنن الترمذي (2180)

إليك رسول الله ﷺ. فقال: ما أسر إلي شيئا كتّمه الناس، ولكنني سمعته يقول: لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثا، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من غير المنار»⁽¹⁾.

ومنها إتيان الكهان أو تصديقهم، والكاهن والمنجم، والعَرَّاف هو من ينظر في الكف ويدعي بكشف أو علم الغيب.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "من أتى كاهنا أو عرفا، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد"⁽²⁾.

ويدخل في هذا ما هو موجود في بعض المجالات ما يسمى بالأبراج، وهي نوع من أنواع التكهّن، كأن يقال له: من كان برجه كذا تكون حياته كذا.

ومن ذلك السحر والذهاب للسحرة والمشعوذين، وقد كثروا في هذه الأيام وسيكون لهم خطبة خاصة، إن شاء الله.

ومن ذلك اعتقاد أن الموتى ممن يزعمون أو يرون أنهم من الأولياء والصالحين وأنهم يقضون الحاجات لهم ويفرجون الكربات ويستعينون بهم أو يستغيثون بهم، **والله يقول:** ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾⁽³⁾ **كأن يقول:** يا ابن

(1) صحيح مسلم (1978).

(2) مسند أحمد (9536).

(3) [النمل: 62].

علوان أو يا بدوي ويا زينب ويا حسين.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: ومن أنواعه: طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم. وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، فضلا لمن استغاث به وسأله قضاء حاجته، أو سأله أن يشفع له إلى الله فيها⁽¹⁾.

ومن الشرك الأصغر الحلف بغير الله، **فغن** سعد بن عبيدة، أن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا سمع رجلا يقول: لا، والكعبة، فقال ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا يُحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»⁽²⁾.

فيحرم على الإنسان أن يحلف بأبيه أو أمه أو أولاده أو بأي شيء من المخلوقات، فغن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن النبي ﷺ قال: «من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت»⁽³⁾.

وعن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: "ليس منا من حلف بالأمانة، ومن خيب على امرئ زوجته أو مملوكه، فليس منا"⁽⁴⁾.

وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أنه أدرك عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في رَكْب وهو يحلف بأبيه، فناداهم رسول الله ﷺ: «ألا، إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم،

(1) مدارج السالكين (1/ 533).

(2) سنن الترمذي (1535).

(3) صحيح البخاري (2679).

(4) مسند أحمد (22980).

فمن كان حالفا فليحلف بالله، وإلا فليصمت»⁽¹⁾.

وعن عبد الله بن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: «لَأَنْ أَحْلَفَ بِاللَّهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بغيرِهِ صَادِقًا»⁽²⁾.

وإنما قال ذلك لأن حسنة التوحيد الصافي الخالص أعظم من الصدق، وسيئة الكذب أقل من سيئة الشرك، وهذا يدل على أن الحلف بغير الله أكبر إثما من الكذب، مع أن الكذب محرم في جميع الملل؛ ولهذا أجمع العلماء على أن اليمين لا تكون إلا بالله أو بصفاته، وأجمعوا على المنع من الحلف بغير الله، **قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ:** "لا يجوز الحلف بغير الله **عَزَّ وَجَلَّ** في شيء من الأشياء ولا على حال من الأحوال وهذا أمر مجتمع عليه"⁽³⁾.

ولهذا ينبغي الحذر من الحلف برأس الأولاد أو بالأمانة لما تقدم أنه من الكبائر وأنه حُرِّم تحريما شديدا. **جاء مصنف ابن أبي شيبة عن** عكرمة قال: "قال عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** «حَدَّثْتُ قوما حديثا فقلت: لا وأبي، فقال رجل من خلفي: لا تحلفوا بأبائكم، فالتفتُ فإذا رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: لو أن أحدكم حلف بالمسيح هلك والمسيح خير من آبائكم»⁽⁴⁾.

(1) صحيح البخاري (6108).

(2) مصنف ابن أبي شيبة (12281).

(3) التمهيد (366 / 14).

(4) مصنف ابن أبي شيبة (12664)، **قال الحافظ** في الفتح (531 / 11): وهذا مرسل يتقوى

ومن الشرك الأصغر قول القائل: ما شاء الله وشئت، أنا عند الله وعندك، توكلت على الله وعليك، لولا الله وفلان لحصل كذا، **فمن** حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله، ثم شاء فلان" (1).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رجلا قال: يا رسول الله، ما شاء الله وشئت. فقال: "جعلني الله عدلا، بل ما شاء الله وحده" (2).

عن كل وجهٍ قد صرفتُ عبادتي وعبدت وجهك وحده مختارا
منك الوجود بدايةً وإليك بعدُ نهايةً وبك استقر قرارا
أنت الموحّد صانعاً ومدبراً تهب الحياة وتمسك الأقدارا
لله سبحانه في السماوات العلى والأرض ما يبدو وما يتوارى (3)

اللهم أحيانا في الدنيا مؤمنين موحدين طائعين، وتوفنا مسلمين تائبين، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

(1) سنن أبي داود (4980).

(2) مسند أحمد (2561).

(3) تسييح ومناجاة (ص 188).



مقتضيات شهادة أن محمداً رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (1)

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (1)، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَإِن تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (2)، **وأشهد** أن محمداً عبده ورسوله القائل: (كل أمي يدخلون الجنة إلا من أبي). قالوا: يا رسول الله، ومن أبي؟ قال: (من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى) (3)، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (4).

أيها الناس: إن أعظم الوجبات بعد قول المسلم: (أشهد أن لا إله إلا الله) ومعرفة بمعانيها ومقتضياتها وأركانها أعظم الواجبات بعد تلك الكلمة العظيمة

(1) [المائدة: 92].

(2) [النور: 54].

(3) صحيح البخاري (7280).

(4) [الحشر: 18].

هي كلمة (وأشهد أن محمدا رسول الله) ﷺ.

وقد تقدم في خطبة سابقة الحديث عن مقتضيات شهادة أن لا إله إلا الله،

وحديثنا اليوم أيها الأحاب عن شهادة أن محمدا رسول الله ﷺ.

أيها المؤمنون: إن معنى قول المسلم (وأشهد أن محمدا رسول الله ﷺ)

هو التصديق الجازم من صميم القلب المواطئ لقول اللسان بأن محمدا عبده ورسوله، إلى كافة الناس إنسهم وجنهم ﴿شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾⁽¹⁾ فيجب تصديقه في جميع ما أخبر به من أنباء ما قد سبق، وأخبار ما سيأتي، وفيما أحل من حلال وحرم من حرام، والامتنال والانقياد لما أمر به، والكف والانتها عما نهى عنه، واتباع شريعته والتزام سنته في السر والجهر، مع الرضا بما قضاه، والتسليم له، وأن طاعته هي طاعة الله، ومعصيته معصية الله؛ لأنه مبلغ عن الله رسالته، ولم يتوفه الله حتى أكمل به الدين، وبلغ البلاغ المبين، وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك.

هذه الشهادة العظيمة التي لا يصح إسلام إنسان حتى يقولها، وقد يقع من بعض الناس في نواقض لها أو تقصير ونقص في حقها.

وسوف نذكر في هذه الخطبة إن شاء الله هذه الأمور تحت عنوان

(مقتضيات شهادة أن محمدا رسول الله ﷺ):

(1) [الأحزاب: 45].

فمن مقتضيات شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ أمور منها:

الأمر الأول: الإيمان الجازم بالنبى ﷺ رسولاً ونبياً، وأنه آخر الأنبياء، وأنه مرسل للعالمين، **قال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾ (1).

فمن اعتقد أنه رسول للعرب فقط، أو أنه رسول لزمان دون زمان، **أو اعتقد** أن هناك نبيا بعده، أو أن شريعته لا تصلح لهذا الزمان، زمان التقدم التكنولوجي والقرية الواحدة، من قال ذلك **أو اعتقده** فإنه لم يحقق هذه الشهادة وهو كافر بها، وإن قال إنه مؤمن بها؛ لأن الإيمان بشهادة أن محمداً رسول الله يقتضي الإيمان بما تدل عليه، وليست مجرد قول يردده اللسان.

ألا وإن مما يناقض هذه الكلمة العظيمة والشهادة الجليلة القول بأن الأديان الموجودة اليوم صحيحة، وأن أهلها مسلمون، وهذا ناقض للشطر الأول من الكلمة (لا إله إلا الله) كما هو ناقض للشطر الثاني محمد رسول الله ﷺ؛ لأن الله قد ذكر في القرآن الكريم أن محمداً رسول الله ﷺ أرسله للعالمين، وذكر أن اليهود والنصارى كفار، فمن اعترض على ذلك، أو أنكر ذلك فلم يؤمن بهذه الكلمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: اليهود والنصارى كفار كفراً معلوماً بالاضطرار من دين الإسلام (2).

(1) [النساء: 136].

(2) مجموع الفتاوى (201/35).

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن من بلغته رسالة النبي فلم يؤمن به فهو كافر لا يقبل منه الاعتذار بالاجتهاد لظهور أدلة الرسالة وأعلام النبوة⁽¹⁾.

فكم تشاهد من جهل كثير من المسلمين بهذا الأمر، وكم ترى من أناس إذا مات كافر من الكفار وكان له اختراع دنيوي كم ترى من أناس يترحمون عليه، بل ويجزمون ويشهدون أنه من أهل الجنة.

ألهذا الحال وصل الجهل ببعض المسلمين بمعنى هذه الكلمة العظيمة.

إن الله عَزَّجَلَّ يقول: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ﴾⁽²⁾ **ويقول سبحانه:** ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾⁽³⁾ **فالله عَزَّجَلَّ يقول عنهم:** إنهم كفار، وهذا الذي يظن نفسه رحيمًا بهم يقول: لا بل مسلمون، فيا ترى من نصدق.

ولولا كثرة من يتكلمون في مثل هذا الأمر حتى انتشر في أوساط الناس في المجالس ووسائل التواصل المختلفة، بل وفي أوساط المتعلمين لولا ذلك لما ذكرته ولا تكلمت عنه لأن معلوم لكل مسلم.

إن تحكيم العواطف في مثل هذه المسائل من ضعف الإيمان واليقين، ومن

(1) مجموع الفتاوى (12 / 496).

(2) [المائدة:73].

(3) [المائدة:17].

الجهل بعظمة التوحيد وعظمة الشرك والكفر بالله، فإن الكافر مهما فعل أو انتفعت الأمم باختراعاتهم مثلاً فهذا ليس نافعاً له في الآخرة إذا مات على كفره وشركه، ومن مات كافراً ممن وصلته دعوة الإسلام فهو من أهل النار قطعاً؛ لأن الجنة لا يدخلها إلا موحد غير مشرك به، **قال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾** (1).

وفي صحيح مسلم رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار» (2).

الأمر الثاني: ومن مقتضيات شهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم الإيمان بسنته والتصديق بها وقبولها وعدم ردها.

ألا وإن مما يناقض شهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنكار سنته صلى الله عليه وسلم أو ردها وعدم قبول شيء منها، أو إنكار ورد بعضها بجهل وهوى، والله عز وجل يقول: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (3) **ويقول**

(1) [المائدة: 72].

(2) صحيح مسلم (153).

(3) [النساء: 80].

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾⁽¹⁾، ولا تكون هذه الطاعة إلا بالإقرار بسنته صلى الله عليه وعلى آله وصحبه واتباع منهجه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، والتصديق بها وعدم الإنكار لها.

قال العلامة الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ: اعلم أنه قد اتفق من يعتد به من أهل العلم على أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام، وأنها كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام... **والحاصل** أن ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية، ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في دين الإسلام⁽²⁾.

وقال العلامة الشاطبي رَحِمَهُ اللهُ: والرد إلى الله هو الرد إلى الكتاب، والرد إلى الرسول هو الرد إلى سنته بعد موته، **قَالَ:** ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾⁽³⁾، وسائر ما قرن فيه طاعة الرسول بطاعة الله؛ فهو دال على أن طاعة الله ما أمر به ونهى عنه في كتابه، وطاعة الرسول ما أمر به ونهى عنه مما جاء به مما ليس في القرآن؛ إذ لو كان في القرآن لكان من طاعة الله⁽⁴⁾.

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وقد اتفق السلف والخلف على أن الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول هو الرد إليه في حياته والرد إلى سنته بعد وفاته⁽⁵⁾.

(1) [المائدة:92].

(2) إرشاد الفحول (1/96).

(3) [المائدة:92].

(4) الموافقات (4/321).

(5) الرسالة التبوكية (ص43).

قال بعض أهل العلم: ثبت بالدليل القاطع: أن محمداً رسول الله، ومعنى الرسول: هو المبلغ من الله، ومقتضى الإيمان برسالته: لزوم طاعته، والانقياد لحكمه، وقبول ما يأتي به، وبدون ذلك لا يكون للإيمان به معنى. ولا تتصور طاعة الله والانقياد إلى حكمه، مع المخالفة لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

فكما أن القرآن وحي من الله سبحانه، فالسنة النبوية وحي كذلك، ولقد صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين قال: **يُوشِكُ أَحَدُكُمْ أَنْ يُكَذِّبَنِي هُوَ مَتَكِيٌّ عَلَيَّ أَرِيكَتَهُ** يُحَدِّثُ بِحَدِيثِي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمانه، ألا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل ما حرم الله ⁽¹⁾.

وفي رواية: ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل ينشني شعباناً على أريكته يقول: عليكم بالقرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ⁽²⁾.

قال في مرقاة المفاتيح: عن تكرار (ألا) في هذا الحديث: في تكرير كلمة التنبيه (ألا) توبيخ وتقريع نشأ من غضب عظيم على من ترك السنة والعمل بالحديث استغناء بالكتاب، فكيف بمن رجح الرأي على الحديث ⁽³⁾.

(1) مسند الإمام أحمد (17194).

(2) مسند الإمام أحمد (17174).

(3) مرقاة المفاتيح (1/246).

وعن حسان رَحْمَةُ اللَّهِ، قال: «كان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ينزل على النبي ﷺ بالسنة، كما ينزل عليه بالقرآن»⁽¹⁾.

وإنما أطلت في ذكر هذا الموضوع وسوف يتكرر ذكره معنا كثيراً؛ لأن أعداء الإسلام اليوم دخلوا في محاربة الإسلام من باب السنة النبوية وإنكارها، وقد تأثر بهذا الأمر أناس حتى أصبحوا دعاة لمحاربة السنة والتشويه لها والاعتراض عليها، وأصبح لهؤلاء انتشار في الجامعات وغيرها من الأماكن العامة ووسائل التواصل المختلفة.

الأمر الثالث: ومن مقتضيات شهادة أن محمداً رسول الله: الانقياد التام والطاعة المطلقة للنبي ﷺ، **قال تعالى:** ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾⁽²⁾، **وقال سبحانه:** ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾⁽³⁾. **قال العلامة السعدي في معنى هذه الآية:** يخبر تعالى خبراً في ضمنه الأمر والحث على طاعة الرسول والانقياد له، وأن الغاية من إرسال الرسل أن يكونوا مُطَاعِينَ يَنقَادُ لَهُمُ الْمُرْسَلُ إِلَيْهِمْ فِي جَمِيعِ مَا أَمَرُوا بِهِ وَنَهَوْا عَنْهُ، وَأَنْ يَكُونُوا مَعْظَمِينَ تَعْظِيمُ الْمُطِيعِ لِلْمُطَاعِ.

وفي هذا إثبات عصمة الرسل فيما يبلغونه عن الله، وفيما يأمرون به وينهون عنه؛ لأن الله أَمَرَ بِطَاعَتِهِمْ مُطَلَقًا، فَلَوْلَا أَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ لَا يَشْرَعُونَ مَا هُوَ خَطَأً،

(1) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (3/ 35).

(2) [آل عمران: 31].

(3) [النساء: 65].

لما أمر بذلك مطلقاً (1).

الأمر الرابع: ومن مقتضيات شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ: تصديق النبي ﷺ فيما أخبر به من أمور الغيب في الماضي والمستقبل مما يتعلق بالأخبار والتشريعات وغيرها؛ لأن كل ما جاء به النبي ﷺ فهو وحى، وسواء كانت هذه الأحاديث آحاداً أو متواترة، **قال تعالى:** ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ (2).

ألا وإن من أصول الإيمان بالله عزَّ وجلَّ ولوازمه، ومن مقتضيات "أشهد أن محمداً رسول الله" التصديق الجازم والتسليم الكامل بكل ما أخبر به النبي ﷺ من أمور غيبية جاءت في الأحاديث النبوية الصحيحة، ولو تعارضت هذه الأحاديث في ظاهرها مع العقل.. وذلك لأن أي حديث صحت نسبه للنبي ﷺ لا يمكن أن يتعارض مع العقل الصريح، لأن ما أخبر به النبي ﷺ وحى من الله عزَّ وجلَّ. كما أنه لا يمكن أن يتعارض صحيح النقل (الأحاديث النبوية) مع صريح العقل (العقل السليم من الانحراف والشُّبه)، وإذا وُجِدَ ما يُوهِمُ التعارض بين النقل الصحيح في أمر غيبي أو غيره مع العقل، وجب تقديم النقل على العقل، لأن النقل ثابت، والعقل متغير، ولأن النقل معصوم، والعقل ليس كذلك، ولا يوجد هذا التعارض غالباً إلا في عقول بعض الناس الذين يستمعون إلى شبهات المعارضين عن السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

(1) تفسير السعدي (ص 184).

(2) [هود: 49].

جاء عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: (لَمَّا أُسْرِي بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى، أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتدّ ناس ممّن آمن، وسعوا إلى أبي بكر، فقالوا: هل لك في صاحبك، يزعم أنّه أُسْرِيَ به الليلة إلى بيت المقدس! قال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن قال ذلك لقد صدق، قالوا: وتصدّقه! قال: نعم، إني لأصدّقه بما هو أبعد من ذلك، أصدّقه بخبر السماء في غدوة أو روحة. فلذلك سُمِّي الصديّق) (1).

فهؤلاء الذين ارتدوا لأنهم قدموا عقولهم وأصغوا إلى شبهات كفار قريش فكذبوا بالإسراء والمعراج وهو أمر غيبي، ولكن الصديّق رضي الله لما كان يقينه تاما وثابتا بكلمة (أشهد أن محمدا رسول الله) لم يستمع إلى تلك الشبهات، ولم يُصغِ إلى تلك الأراجيف، فقال كلمته المشهورة: قال: لئن قال ذلك لقد صدق.

فكن أخي المسلم كأبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حين تسمع حديثا عن النبي ﷺ ولا يستوعب عقلك معناه، قل: صدق رسول الله ﷺ وكذب المشككون بالسنة النبوية، لأن كل ما أخبر به الرسول ﷺ عن ربه، فإنه يجب الإيمان به، سواء عرفنا معناه أو لم نعرف، لأنه الصادق المصدوق. فما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل مؤمن الإيمان به، وإن لم يفهم معناه.

اللهم اجعلنا من المتبعين لسنة نبيك والمحبين لأصحاب رسولك ﷺ. **أقول ما سمعتم** وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(1) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (1430)

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

أيها المؤمنون: ومن مقتضيات شهادة أن محمدا رسوله الله وهو:

الأمر الخامس: اتباع النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه في جميع الأقوال والأفعال، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (صلوا كما رأيتموني أصلي)⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾⁽²⁾، وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁽³⁾، وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾⁽⁴⁾، وقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»، قالوا: يا رسول الله، ومن أبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»⁽⁵⁾.

(1) سنن الدارقطني (1069).

(2) [النساء: 115].

(3) [النور: 63].

(4) [الحشر: 7].

(5) صحيح البخاري (7280).

الأمر السادس: ومن مقتضيات شهادة أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم: اتخاذ النبي القدوة الحسنة، **قال تعالى:** ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾⁽¹⁾، **قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:** هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله⁽²⁾.

اليوم أصبحت قدوات كثير من الناس هي كثير من الفنانين والفنانات والممثلين والممثلات والرياضيين الكافرين، حتى ظهرت الألبسة القبيحة والقصات الغريبة والحركات المتميعة، وضاعت من كثير من الشباب الرجولة المطلوبة، ومن كثير من النساء الحياء والحشمة.

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قدوةً كاملةً في جميع جوانب سيرته، إيمانياً وعبادياً، وخلقاً وسلوكاً وتعاملاً مع غيره، وفي جميع أحواله، كانت سيرته مثالا للتطبيق على أرض الواقع، فلماذا يتخلى البعض عن هذه القدوة الكاملة إلى قدوات فاسدة أو فاجرة أو فارغة عن كل صفات الحياء والأخلاق والمروءة، فأين العقول الراقية والنفوس الزاكية؟

اللهم ارزقنا اتباع نبيك والتمسك بستته والاهتداء بهديه وثبتنا على ذلك حتى نلقاك.

(1) [الأحزاب: 21].

(2) تفسير ابن كثير (6/391).



الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾⁽¹⁾، **وأشهد أن** لا إله إلا الله وحده لا شريك له **القائل:** ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽²⁾، **وأشهد أن** محمدا عبده ورسوله **القائل:** «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»⁽³⁾ **أجمعين**، وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾⁽⁴⁾.

أيها المؤمنون: تقدم معنا في خطبة سابقة الحديث عن بعض مقتضيات شهادة أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وقد بقي معنا بعض هذه المقتضيات لهذه الشهادة العظيمة والكلمة الكريمة الكبيرة، وهذا المقتضيات ليست كلمات تقال ولا ألفاظا تردد، بل هي إيمان قلبي وتطبيق واقعي حياتي.

(1) [آل عمران: 132].

(2) [آل عمران: 31].

(3) صحيح البخاري (15).

(4) [آل عمران: 102].

أيها الناس: ومن مقتضيات شهادة أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو:

الأمر السابع: اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في جميع الأقوال والأفعال، لأن أقواله وأفعاله وحي من الله تعالى، **قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:** (صلوا كما رأيتموني أصلي) (1). **وقال تعالى:** ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (2)، **وقال تعالى:** ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (3)، **وقال تعالى:** ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (4)، **وقال تعالى:** ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (5).

وفي صحيح البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال صلى الله عليه وسلم: «كل أمي يدخلون الجنة إلا من أباي»، قالوا: يا رسول الله، ومن أباي؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أباي» (6).

إخواني الأحباب: إن المتبعين للنبي صلى الله عليه وسلم بصدق في أقواله وأفعاله تعبدوا الله تعالى: هم أشرح الناس صدراً، وأهنئهم عيشاً، وأسعدهم حياة، وأثبتهم قلباً،

(1) صحيح البخاري (631).

(2) [آل عمران: 31].

(3) [النساء: 115].

(4) [النور: 63].

(5) [الحشر: 7].

(6) صحيح البخاري (7280).

وأسلمهم ضميراً، ولو أصابهم من المحن والابتلاء ما أصابهم.

قدوتهم مَنْ أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، ومن الضلال والغي والعمى إلى الهدى والرشد والإبصار.

يصلون كصلاته، ويذكرون الله بطريقة ذكره، ويهتدون بهديه، ليس لهم أقوال غريبة في أذكارهم، ولا طرق من الرقص وهز الرؤوس في أذكارهم، وليس لهم أولياء مزعومين يعلمون الغيب، ويتحكمون في الكون كما تزعمه بعض الفرق الضالة.

الأمر الثامن: من مقتضيات شهادة أن محمداً رسول الله: تقديم قول النبي صلى الله عليه وسلم على أقوال جميع الناس. **قال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (1).

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (لا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ): «لَا تَقُولُوا خِلَافَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ» (2).

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية: وفي هذا النهي الشديد عن تقديم قول غير الرسول صلى الله عليه وسلم على قوله، فإنه متى استبانت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجب اتباعها، وتقديمها على غيرها، كائناً ما كان (3).

(1) [الحجرات: 1].

(2) تفسير الطبري = جامع البيان (22/ 272).

(3) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: 799).

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: هل كان في الصحابة من إذا سمع نصَّ رسول الله ﷺ عارضه بقياسه أو ذوقه أو وجدته أو عقله أو سياسته؟ وهل كان قط أحدٌ منهم يقدم على نصِّ رسول الله ﷺ عقلاً أو قياساً أو ذوقاً أو سياسة أو تقليد مقلد؟ فلقد أكرم الله أعينهم وصانها أن تنظر إلى وجه من هذا حاله أو يكون في زمانهم (1).

وقد ابتلينا في هذا الزمان بأناس يقدمون عقولهم على أقواله، وأذواقهم على سنته وسياستهم على منهجه؛ فضلوا وأضلوا.

الأمر التاسع: من مقتضيات شهادة أن محمداً رسول الله: محبة النبي ﷺ أكثر من محبة النفس والمال والوالد والولد والناس أجمعين. وهذه المحبة تتجلى في طاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وتصديقه فيما أخبر.

في صحيح البخاري رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ «لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» (2).

إن محبة محمد ﷺ طريق إلى الجنة، وبوابة إلى حب الله عزَّجَلَّ، وعبور إلى منازل الجنان، ودليل كبير على إيمان المرء وإخلاصه لله، وذلك بتطبيق محبة الرسول ﷺ في امثال أوامره واجتناب نواهيه، فاتباع سنة محمد ﷺ أكبر دليل وأعظم برهان على صدق محبته والإخلاص في حبه، ومن كانت محبة رسول

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (1/ 334).

(2) صحيح البخاري (15).

الله صلى الله عليه وسلم متربعة في نفسه على بقية الناس فإنه يحظى بثواب من الله عظيم، **جاء في صحيح مسلم رحمه الله عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: «وما أعددت للساعة؟» قال: حبَّ الله ورسوله، قال: «فإنك مع من أحببت» قال أنس: فما فرحنا، بعد الإسلام فرحا أشد من قول النبي صلى الله عليه وسلم: «فإنك مع من أحببت» قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله، وأبا بكر وعمر، فأرجو أن أكون معهم، وإن لم أعمل بأعمالهم (1).

فجزاء محبته صلى الله عليه وسلم هي أن مُحِبِّه سيكون معه صلى الله عليه وسلم في الجنة، وسيكون قريباً منه في المنزلة والدرجة، **أخرج الطبراني رحمه الله عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا** قالت: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إنك لأحب إلي من نفسي، وإنك لأحب إلي من أهلي، وأحب إلي من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك، فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك، عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وأني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك، " فلم يُردَّ إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً "، حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (2).

يا لها من منزلة رفيعة، ودرجة عالية، ومكانة عظيمة، إنها ثمرة محبة النبي الكريم، ثمرة محبة الحبيب وطيب القلوب، من تسعد القلوب وترتاح إذا

(1) صحيح مسلم (2639).

(2) المعجم الصغير للطبراني (52).

امتلات بحبه، وتسموا النفوس إذا أنست بحبه، وترتاح الأجساد إذا تعبت في اتباع سنته، **روي عنه** صلى الله عليه وعلى آله وصحبه (ومن أحبني كان معي في الجنة) (1). وهذا الحب يقتضي الاستقامة على دينة والتمسك بهديه وسنته صلى الله عليه وعلى آله وصحبه.

الأمر العاشر: من مقتضيات شهادة أن محمدا رسول الله: التسليم التام لحكم النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والرضا به، **قال تعالى:** ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (2).

إن عدم التسليم لأحكام النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صفة من صفات المنافقين وعلامة من علاماتهم، **قال سبحانه وتعالى:** ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ (3).

ولعظيم هذه العبادة وهي التسليم للرسول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والرضا بذلك لعظيم هذا الأمر ذكره الله في القرآن الكريم في أكثر من عشرين موضعا، وكل موضع منها يحمل دلالة معينة وإشارة وحكما كبيرا يدل على عظيم هذا الأمر.

الأمر الحادي عشر: من مقتضيات شهادة أن محمدا رسول الله: اتخاذ النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه القدوة الحسنة، **قال تعالى:** ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (4)، **قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:**

(1) سنن الترمذي (2678).

(2) [النساء: 65].

(3) [النور: 49].

(4) [الأحزاب: 21].

هَذِهِ الأَيَّةُ الكَرِيمَةُ أَصْلُ كَبِيرٌ فِي التَّاسِي بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ (1).

اليوم أصبحت قدوات كثير من الناس الفنانين والفنانات، والممثلين والممثلات، والرياضيين الكافرين حتى ظهرت الألبسة القبيحة، والقصات الغريبة، والحركات المتميعة، وضاعت من كثير من الشباب الرجولة المطلوبة، ومن كثير من النساء الحياء والحشمة.

لقد كان النبي ﷺ قدوةً كاملةً في جميع جوانب سيرته، إيماناً وعبادياً وخلقا وسلوكا وتعاملا مع غيره، وفي جميع أحواله، كانت سيرته مثاليةً للتطبيق على أرض الواقع، فلماذا يتخلى البعض عن هذه القدوة الكاملة إلى قدوات فاسدة أو فاجرة أو فارغة عن كل صفات الحياء والأخلاق والمروءة، فأين العقول الراقية والنفوس الزاكية.

إذا غابت القدوات أو غُيبُوا، فانتظر جيلاً تافهاً في تفكيره واهتماماته، ومن يزرع الشوك فلا يتحسّن خروج العنب، إذا فُقدت القُدواتُ في باب العمل، فانتظر جيلاً خاملاً كسولاً، وإذا فقدت قدوات الأمانة، فارتقب حينها جيلاً خائناً فاسداً، للحقوق آكلاً ومُضَيِّعاً، وإذا غابت القدوات في العلم فسيأخذ الناس رؤوساً جهَّالاً، فغياب القدوة الصالحة نتیجتة الحتمية: ظهور قدوات فاسدة، وهذا ما فهمه وأدركه أعداء الإسلام والمسلمين فعملوا على زرعه في

(1) تفسير ابن كثير (6/391).

شباب المسلمين ونسائهم.

وإنَّ نظرةً سريعةً لحال الشباب المسلم بنين وبنات، والنظر في ملابسهم وقصّات شعورهم، وجديد الموضحة عندهم، وحال أخلاقهم والتمعّن في دراسة ظاهرهم كافية لتدلّك على ما في قلوبهم، وإن استبياناً سريعاً حول مَنْ تُحِبُّ أن تكون؟ أو مَنْ هو قدوتك الأولى؟ أو مَنْ هو مثلك الأعلى؟ يكفي لفضح المستوى الذي وصل إليه حال أبنائنا وشبابنا وبناتنا، ومدى النجاح الذي حقّقه الساعون في تضليل الأمة وإسقاطها، والمحاربون لدين الله وشرعه.

وفقنا الله وإياكم لطاعته واتباع سنة رسوله وهدية حتى نلقاه. أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله المبدئ المعيد ذي الفضل الكبير والعذاب الشديد، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

أيها المؤمنون: ومن مقتضيات شهادة أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو:

الأمر التاسع: محبته أصحابه وأهل بيته وقرابته صلى الله عليه وآله وسلم.

أيها الناس: إن هناك اليوم تجنيا على أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى قرابته من أهل بيته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

أيها الإخوة: ما كنا نظن أن نعيش إلى أن نسمع ونشاهد في وسائل التواصل والمجالس وغيرها من يتعرض لأصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولآل بيته بالسب أو الشتم أو التنقص مُعلنًا ذلك.

إن هناك اليوم أناسا يترحمون على قاتل الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويتقصون من الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كما أن هناك أناسا يتقصون أو يسبون أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم كأبي بكر وعمر وعثمان وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

فهل وصل الجهل بحال أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم والجهل بحال قرابته وآل بيته حتى يُتكلم عليهم في المجالس ووسائل التواصل، هل هذا الأمر مما يقرب إلى الله، هل هذا الأمر مما يرضى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هل هذا الأمر مما يحبه رسول

الله ﷺ هل هذا الأمر مما بيني أمة الإسلام ويقوي نهضتها، هل هذا الأمر مما أمر به القرآن الكريم، فيا من تنتقص من الصحابة والآل، يا من تنتقص من أبي بكر وعمر وعثمان وأبي هريرة ويا من تنتقص من الإمام علي والحسن والحسين، ألم تسمع قول الله تعالى في أصحابه وقرابته: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (1).

إن أعداء الإسلام لا يفرحون بشيء فرحهم بتفريق المسلمين، وزرع الشحناء والبغضاء بينهم، ونشر وتشجيع أسباب التفريق والتمزق في أوساطهم، وإثارة النعرات والخلافات والتشجيع عليها، وبث أتباعهم في أوساط المسلمين وتشجيع العملاء والمغفلين على إثارتها بطرق متنوعة وأساليب مختلفة.

فهل يعقل المتزعمون لهذه الفتن أضرارها وعواقبها وكوارثها؟

نحن اليوم أحوج ما نكون لبناء جيل متسلح بالإيمان، بعيدا عن استرجاع الخلافات التاريخية المؤدية إلى تفريق الأمة وتمزيق وحدتها وتلاحم صفها.

فيا من تنتقص من الصحابة والآل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَلَمْ تَقْرَأْ أن الله تعالى قد زكاهم ورفع قدرهم فشهد لهم بالإيمان حتى امتلأت قلوبهم به فقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبَ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضَلَّ مِنْ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (2).

(1) [التوبة: 100].

(2) [الحجرات: 7].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (1).

ولقد أثبت سبحانه وتعالى لهم التقوى والفوز والفلاح والثبات، ففي التقوى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (2)، فهو سبحانه عليم بكل شيء، ومن ذلك استحقاقهم لهذا الوصف العظيم.

وأثبت سبحانه وتعالى لهم الفوز، فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (3) أي هم الفائزون بهذه الأوصاف لا غيرهم.

كما أثبت لهم الفلاح فقال سبحانه: ﴿لَكِنَّ الرَّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (4).

وكل هذا المدح والثناء شامل لجميع الصحابة والقراة من آله صلى الله عليه وآله وسلم **كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن والحسين وأبي هريرة وعائشة رضي الله عنهم** أجمعين، سواء ممن أسلم قبل الفتح أو ممن أسلم بعده، **كما قال جَلَّ وَعَلَا:** ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا

(1) [الأنفال: 74].

(2) [الفتح: 26].

(3) [التوبة: 20].

(4) [التوبة: 88].

مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١﴾، والحسنى هي الجنة، فالجميع موعودون بالجنة.

فاحذروا رحمكم الله من جهل الجهلاء، وشبه المشككين، وطول ألسنة الظالمين، واحذروا ممن لا يعرف للصحابة قدرهم، ولا يعرف لهم مكانتهم، فوالله إننا نسمع أناسا يتكلمون بكلمات تقشعر منها الأبدان، حتى وصل الحال بجهل البعض إلى الترحم على قاتل الإمام علي رضي الله عنه، فهل هذا يرضى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهل هذا إلا منهج النواصب الذي قابلوا به الروافض، فالحذر الحذر من هؤلاء الجهلة الذين يُحَكِّمُونَ العواطف بردود أفعال تسيء إلى الصحابة أو القرابة، فكلهم عندنا معظمون ومحبيون وفائزون.

اللهم بحبنا لنبيك وأصحابه وقرابته ثبتنا على نهجك القويم وعلى صراطك المستقيم حتى نلتاق وأنت راض عنا يا رب العالمين.

(1) [الحديد: 10].



مكانة النبي ﷺ في القرآن

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾⁽¹⁾، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له **القائل:** ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾⁽²⁾، **وأشهد** أن محمدا عبده ورسوله الذي رفع الله شأنه، وأعلى مكانه، وفضله على جميع خلقه. بلغ العُلا بكماله، كشف الدجى بجماله، حَسُنْتَ جميعُ خصاله، صَلُّوا عليه وآله، ﷺ **ف** أصحابه أجمعين، **أما بعد:**

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾⁽³⁾.

أبها المؤمنون: إن مكانة النبي ﷺ لعظيمةٌ عند رب العزة والجلال، وهذه المكانة العظيمة تتجلى عظمتها في كثير من الآيات القرآنية، من تأملها بقلبه

(1) [التوبة: 128].

(2) [القلم: 4].

(3) [الأحزاب: 70، 71].

واستشعرها بروحه، ونظر إليها بعين البصر والبصيرة، علم ذلك التعظيم الكبير والإجلال من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذا التعظيم في هذه الآيات القرآنية ليست لمجرد العرض لهذا التعظيم فقط، وإنما هو لبيان أن اتباعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعظيم لله تعالى، وأن طاعته طاعة لله، وأن تصديقه بكل ما أخبر تصديق بما جاء من عند الله، **لأنه مبلغ عن الله كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (1).**

أيها المؤمنون: سنذكر إن شاء الله تعالى في هذه الخطبة بعض الجوانب التي تدل على تعظيم الله لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. **ومن ذلك:**

أولاً: من تعظيم الله لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القرآن الكريم: أن الله سبحانه جعل بعثته **مِنَّةً عَظِيمَةً** على المؤمنين، وهذا من أعظم الجوانب التي تبين عظمة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما تبين تعظيم الله له وإكرامه، **قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (2).**

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: إنَّ أعظم نعم الله على هذه الأمة إظهار محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم وبعثته وإرساله إليهم، **كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ**

(1) [النجم: 3، 4].

(2) [آل عمران: 164].

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١﴾، فَإِنَّ النُّعْمَةَ عَلَى الْأُمَّةِ يَارْسَالِهِ أَعْظَمُ مِنَ النُّعْمَةِ عَلَيْهِمْ بِإِيجَادِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالرِّيَّاحِ، وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَإِنزَالِ الْمَطَرِ، وَإِخْرَاجِ النَّبَاتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ هَذِهِ النُّعْمَ كُلَّهَا قَدْ عَمَّتْ خَلْقًا مِنْ بَنِي آدَمَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبُرُسُلِهِ وَبِلِقَاءِهِ، فَبَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كَفْرًا، وَأَمَّا النُّعْمَةُ بِإِرْسَالِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَإِنَّهَا تَمَّتْ مَصَالِحُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَكَمَّلَتْ بِسَبَبِهَا دِينَ اللَّهِ الَّذِي رَضِيَهُ لِعِبَادِهِ، وَكَانَ قَبُولُهُ سَبَبَ سَعَادَتِهِمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَآخِرَتِهِمْ، فَصَيَّامٌ يَوْمٌ تَجَدَّدَتْ فِيهِ هَذِهِ النُّعْمُ مِنَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ حَسَنٌ جَمِيلٌ، وَهُوَ مِنْ بَابِ مَقَابَلَةِ النُّعْمِ فِي أَوْقَاتٍ تَجَدَّدُهَا بِالشُّكْرِ (٢).

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: إِنْ ذَكَرْنَا مِنْهُ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بَبِعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ دَلِيلٌ عَلَى تَعْظِيمِ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَعْظِيمًا كَبِيرًا، لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْعَظِيمِ لَا يَمُنُّ إِلَّا بِمَا هُوَ عَظِيمٌ، وَفِي الْآيَةِ حَثٌ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُتْرَجَمُوا هَذِهِ الْمَنَّةَ الْعَظِيمَةَ إِلَى وَاقِعٍ عَمَلِيٍّ بِالْإِذْعَانِ لَهُ وَالْحَبُّ لَهُ.

وَلَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي سِيَاقِ هَذِهِ الْمَنَّةِ تَزْكِيَةَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِأُمَّتِهِ وَتَعْلِيمَهُمُ الْكِتَابَ، وَفِي ذِكْرِ هَذِهِ الْأُمُورِ فِي سِيَاقِ هَذِهِ الْمَنَّةِ دَلَالَةٌ عَلَى أُمُورٍ لَا يَدْرِيهَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَأَمَّلُوهَا، وَمِنْ ذَلِكَ:

الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: أَنَّ حُبَّ النَّبِيِّ ﷺ وَتَعْظِيمَهُ وَالِاهْتِمَامَ بِذَلِكَ لَا يَقَارَنُ بِحُبِّ أَحَدٍ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ.

(١) [آل عمران: 164].

(٢) تفسير ابن رجب الحنبلي (1/ 223).

الأمر الثاني: ومن ذلك أن تزكية النفس بفعل الطاعات وترك المحرمات من أفضل ما يكون لتعظيم النبي ﷺ، لأنه جاء داعياً لذلك، فمن قصر في ذلك فحبه للنبي ﷺ ناقص بقدر نقص هذه التزكية التي جاء بها **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

الأمر الثالث: ومن ذلك أن الحكمة المذكورة في آية المنة هي السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

والنبي ﷺ كما علّم وبلغ القرآن كذلك علم وبلغ السنة النبوية، والسنة النبوية قرينة القرآن، فكما يجب الإيمان بالقرآن الكريم واتباع هديه والتصديق به، فكذلك يجب الإذعان والإيمان والتصديق بالسنة النبوية وعدم ردها والاعتراض عليها، وأن من يفعل ذلك معترضاً لها زاعماً أن بينهما تعارضاً فقد فرق بين الوحي الذي جاء من عند الله تعالى.

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: وسمعت من أَرْضَى من أهل العلم يقول في **قول الله تعالى:** ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (1) **يقول:** الحكمة سنته ﷺ (2).

ثانياً: ومن تعظيم الله للنبي ﷺ في القرآن الكريم: إعداده لمهام عظيمة يقوم بها، وذلك لأن الأعمال العظيمة لن يقوم بها إلا رجل عظيم تدل على عظمته

(1) [آل عمران: 164].

(2) الأم للإمام الشافعي (6/150).

وعظمة المهمة التي كُلف بها، **قال الله عزَّ وجلَّ:** ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿1﴾.

والنور في هذه الآية هو محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذي أنار به الحق، وأظهر به الإسلام، ومحق به الشرك، فهو نور لمن استنار به.

هذا النور الذي هو محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ذكر الله عزَّ وجلَّ أنه يهدي به من اتبعه ويخرجه من الظلمات إلى النور، ويهديه إلى صراط مستقيم.

فمتى تحقق من الأمة ذلك حصل لها العزة والكرامة والهداية والاستقامة، ومتى انحرفت عن ذلك وخالفت ذلك حصل لها من الضلال والإذلال والظلمات والاعوجاج بقدر مخالفتها، وكذلك هذا في الأفراد والجماعات والدول.

لأن هذا وعد من الله، ووعد الله حق، فمتى استنارت الأمة بهديه، واستكانت لشرعه وأحكامه، حصلت لها العزة والكرامة، ومتى انحرفت عن ذلك وقعت في المهالك وتشعبت في الأودية والمسالك، وذلت بتسلط الأعداء عليها، ولم تأت العزة لهذه الأمة إلا بالإسلام الذي جاء به نبيها صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، فمتى تخلت عنه رجعت إلى حالها.

ومن المهام العظيمة التي ذكرها الله للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْقُرْآنِ قَوْلُهُ **تعالى:** ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ

(1) [المائدة: 15، 16].

وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾.

ثالثا: ومن تعظيم الله سبحانه للنبي ﷺ في القرآن: ما منحه الله وأعطاه له، فقد ذكر ربنا **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في القرآن الكريم ما خص به نبينا محمدا ﷺ بأمرٍ كثيرة لم يعطها لأحد قبله، ومن ذلك: ما ذكره الله في سورة الشرح والفتح والكوثر فتأملوها.

ومن ذلك أن الله جعل طاعة الرسول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** من طاعته، فقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (2).

وهذه الطاعة هي الاهتداء بهديه، والتصديق والعمل بسنته، كما أكرمه الله سبحانه وشرفه باستمرارية صلاته هو وملائكته عليه دون انقطاع، كما يدل عليه الفعل المضارع الذي يدل على الدوام والاستمرار، **قال تعالى:** ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (3).

وتأملوا هذا التعظيم حيث بدأ الله تعالى بذكره هو سبحانه، ثم ذكر ملائكته الكرام، وكم يدل هذا على عظم النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** عند ربه، ثم حث

(1) [الأعراف: 157].

(2) [النساء: 80].

(3) [الأحزاب: 56].

المؤمنين أن يكثرُوا من الصلاة عليه فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (1) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما تعاقب الليل والنهار مدى الأزمان صلاة تجعلنا من أهل الجنة والنجاة من النيران.

تجلو هموم القلب والحسرات	إن الصلاة على النبي محمد
شمس تضيء الكون بالسُّبُحاتِ	إن الصلاة على النبي محمد
بدر منير في دجى الظلماتِ	إن الصلاة على النبي محمد
ماء الحياة لظامئِ الفلواتِ	إن الصلاة على النبي محمد
روح الحياة سَرَتْ بجسم مواتِ	إن الصلاة على النبي محمد
كنز عظيمُ النفعِ واللذاتِ	إن الصلاة على النبي محمد
أنسُ القلوبِ فُلْدُ مع الإخباتِ (2)	إن الصلاة على النبي محمد

رزقنا الله وإياكم اتباع نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحب أصحابه أجمعين.

أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(1) [الأحزاب: 56].

(2) من قصيدة كتبها في الثناء على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي فضل نبيه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه على سائر المخلوقات، وجعل أصحابه من أفضل البريات، فصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين،
أما بعد:

أيها المؤمنون:

رابعا: ومن تعظيم الله سبحانه في القرآن الكريم للنبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه: التشديد الكبير على وجوب الأدب معه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن ذلك ما جاء في سورة الحجرات في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (1) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (1).

وهذا شامل لكل أنواع التقديم في حياته صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وبعد موته في العمل والتصديق

لسنته صلى الله عليه وعلى آله وصحبه.

ومعنى الآية: لا تقولوا حتى يقول، ولا تأمروا حتى يأمر، ولا تفتوا حتى يفتي، وقال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى الآية: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة (2).

(1) [الحجرات: 1، 2].

(2) تفسير الطبري (21/ 335).

فهل يَعْقِل أولئك الذين يردون سنته بحجة أنها خالفت عقولهم، أو واقعهم.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (2) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (1).

فإذا كان رفع الصوت محبطا للعمل، فكيف بالذين يقدمون آراءهم وعقولهم وسياستهم على شريعته وسنته صلى الله عليه وسلم؟ كيف بأولئك الذين ينكرون أحكاما ويردون أخبارا صحت عنه صلى الله عليه وسلم في أصح الكتب كصحيح البخاري ومسلم؟ فيقول: لا أقبلها، أو يردها بزعمه أنها تعارض القرآن، أليس هذا أولى أن يكون فعله هذا محبطا لعمله.

اليوم هناك شبهات كثيرة للتشكيك في سنته صلى الله عليه وسلم والرد والإنكار لها من بعض من ضعف إيمانه وقل يقينه، ومن بعض من يزعم أن له عقلا يردُّ به على الصحابة الكرام والأئمة الأعلام بجهل عجيب، حتى ينكر بذلك أحكاما شرعية متفقا عليها، كعذاب القبر ونعيمه وغير ذلك من الأحداث والوقائع والأحكام.

إن الآيتين السابقتين تبيان بوضوح أن العمل الصالح مهما كان كثيرا لا ينفع صاحبه مع الإساءة للنبي عليه الصلاة والسلام، لأن تلك الأعمال مهما كثرت

(1) [الحجرات: 2، 3].

ستصبح هباء منثورا مع أدنى إساءة للنبي ﷺ، ومنها الرد لسنته ﷺ.

خامسا: من جوانب تعظيم الله للنبي عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم: ما نجده من حب الله سبحانه لرضاه ﷺ، **قال الله عز وجل:** ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (1)، **قال بعض أهل العلم:** هذه أرجى آية في كتاب الله عز وجل، **وقال الباقر رضي الله عنه:** أهل القرآن يقولون أرجى آية: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (2) **وإنما أهل البيت نقول:** أرجى آية قوله تعالى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (3) **والله إنها الشفاعة ليعطاها في أهل لا إله إلا الله حتى يقول: رضيت (4).**

وليس معنى الآية كما يظن من قصر فهمه أن معناها التساهل في الذنوب والمعاصي لانتظار الشفاعة، فالمؤمن لا يزال خائفا من عذاب الله، خائفا ألا تدرکه الشفاعة، وقد يعذب في جهنم بسبب ذنوبه عذابا لا يُقدِّره أحد من شدته.

فالشفاعة ثابتة، لكن ما يدريك أيها المذنب أنها ستصل إليك، فقد تحرَّم منها لأسباب أخرى، ثم إن التساهل بالذنوب والمعاصي بريد الكفر، فقد يتساهل بها حتى يقع في الكفر وهو لا يشعر، فالشفاعة ثابتة في الكتاب والسنة وإجماع العلماء المهتدي بهديهم، ولكن ليس في إثباتها إذن بالذنوب كما يزعم من ينكرها.

(1) [الضحى: 5].

(2) [الزمر: 53].

(3) [الضحى: 5].

(4) التوحيد لابن خزيمة (2/673)، تفسير الرازي (31/194).

كما أن الله من أسمائه الغفور الرحيم، فهل في إثبات مغفرته ورحمته وستره
إذن في التساهل في الذنوب والمعاصي؟!

وما أحسن ما قاله العلامة الخازن صاحب التفسير عن هذا الأمر، قال
رَحْمَةُ اللَّهِ: **فإن قلت:** حمل هذه الآية على ظاهرها يكون إغراء بالمعاصي، وإطلاقاً
في الإقدام عليها، وذلك لا يمكن. **قلت:** المراد منها التنبيه على أنه لا يجوز أن
يظن العاصي: أنه لا مخلص له من العذاب، فإن من اعتقد ذلك؛ فهو قانط من
رحمة الله؛ إذ لا أحد من العصاة إلا ومتى تاب زال عقابه، وصار من أهل
المغفرة، والرحمة، **فمعنى قوله:** ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ **أي:** إذا تاب،
وصحت توبته، غفرت ذنوبه، ومن مات قبل أن يتوب، فهو موكول إلى مشيئة الله
تعالى، فإن شاء؛ غفر له، وعفا عنه، وإن شاء؛ عذبه بقدر ذنوبه، ثم يدخله الجنة
بفضله ورحمته، فالتوبة واجبة على كل واحد، وخوف العقاب مطلوب، فلعل الله
يغفر مطلقاً، ولعله يعذب، ثم يعفو عنه بعد ذلك⁽¹⁾.

فالذين ينكرون السنة الثابتة والأحكام الشرعية بحجة عقولهم القاصرة عن
فهمها، لو تأملوا أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم ومعانيها لما حصل عندهم
مثل هذا الإشكال ولا هذا الإنكار.

اللهم ثبتنا على دينك واتباع سنة نبيك حتى نلقاك يا رب العالمين.

(1) تفسير الخازن (4/61).



ولد الهدى

الخطبة الأولى

الحمد لله ربّ العالمين، نحمدك اللهم على نعمة الإيمان، وعلى أن هديتنا للقرآن، وجعلتنا من أمة النبي العدنان، ورفعت شأننا بين بنى الإنسان، فجعلتنا خير أمة أخرجت للناس.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يُفَضَّلُ ما شاء بما شاء كيف شاء:
 ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾⁽¹⁾، فَضَّلَ بعض النبيين على بعض، وبعض الليالي على بعض، وبعض الأيام على بعض، وبعض الكتب على بعض، وما دام التفضيل من العزيز الجليل فله الحكم وله الأمر، وإليه المرجع والمصير.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله:

وَمَعِيَ بِهِذَا شَاهِدٌ وَدَلِيلٌ	كُلُّ الْقُلُوبِ إِلَى الْحَبِيبِ تَمِيلُ
فَتَرَى دُمُوعَ الْعَارِفِينَ تَسِيلُ	أَمَّا الدَّلِيلُ إِذَا ذَكَرْتَ مُحَمَّدًا
هَذَا لِكُلِّ الْعَالَمِينَ رَسُولُ	هَذَا رَسُولُ اللَّهِ نِيرَاسَ الْهُدَى
مَا لَاحَ بَدْرٌ فِي السَّمَاءِ دَلِيلُ	صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ يَا عَلَمَ الْهُدَى

(1) [الأنبياء: 23].

صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ يَا عَلَمَ الْهُدَى مَاحَنَ مُشْتَاقٍ وَسَارَ جَمِيلٌ (1)

اللهم صلِّ وسلم وبارك على رحمتك العظمى لجميع الأنام، والذي خَصَّصْتَهُ بمقام الشفاعة يوم الزحام، وجعلته مفتاحاً لدار السلام، هَدَيْتَ به بعد ضلالة، وَعَلَّمْتْ به بعد جهالة، وَأَغْنَيْتَ به بعد فاقة، وَأَعَزَّزْتْ به بعد ذلَّة، سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ النَّبِيِّ التَّقِيِّ الْأَمِيِّ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَكُلِّ مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ يَوْمَ الدِّينِ، وَعَلَيْنَا مَعَهُمْ أَجْمَعِينَ، **أما بعد:**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (2).

أبها المؤمنون: إن أفضل المنن، وأكرم الهبات على هذه الأمة، أن جعل منها نبيا هو أفضل الأنبياء، وسيد الأتقياء، وإمام الحنفاء، ألا وإن أعظم حدث في تاريخ البشرية، وأحسن منة على هذه الأمة المحمدية، هو ميلاد وبعثة خير البشرية، ومجيء أفضل الرسل إلى البرية، لقد كان الظلام قبل ميلاده وبعثته ^{صلى الله عليه وعلى آله وصحبه} مخيمًا، والضلال في جميع النواحي حالًا، والجهل في جميع البلدان مسيطرًا، بميلاد محمد **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وبعثته ولد الهدى، فأشرق الضياء، وعم النور، بميلاد محمد ^{صلى الله عليه وعلى آله وصحبه} وبعثته بيض الله وجه الأرض، وعطر نسيم الكون، ونظم شؤون الحياة، وغير الواقع السيئ.

لقد كانت ولادته ^{صلى الله عليه وعلى آله وصحبه} **فتحًا، وبعثته فجرًا**، هدى الله به من الضلالة، وأرشد به من الغواية، وعلم به من الجهالة، وفتح الله به أعينا عميًا، وأذانا صمًا، وقلوبا

(1) لم أفق على قائله.

(2) [آل عمران: 102].

غلفاً، وكثر به بعد القلة، وأعزَّ به بعد الذلة.

وُلِدَ الهُدَى فَالكَائِنَاتُ ضِيَاءُ
الرُّوحِ وَالْمَلَأُ الْمَلَائِكُ حَوْلَهُ
وَالْعَرْشُ يَزْهُو وَالْحَظِيرَةُ تَزْدَهِي
إِسْمُ الْجَلَالَةِ فِي بَدِيعِ حُرُوفِهِ
يَا خَيْرَ مَنْ جَاءَ الوُجُودَ تَحِيَّةً
بِكَ بَشَّرَ اللّهُ السَّمَاءَ فزَيَّنَتْ
وَبَدَأَ مُحَيَّاكَ الَّذِي قَسَمَاتُهُ
اللّهُ لِلأَمْرِ الْجَلِيلِ أَعَدَهُ

وَفَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَتَنَاءُ
لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا بِهِ بُشْرَاءُ
وَالْمُتَهَيِّ وَالسِّدْرَةُ الْعَصْمَاءُ
أَلْفٌ هُنَالِكَ وَاسْمُ طَةَ البَاءِ
مِنْ مُرْسَلِينَ إِلَى الهُدَى بِكَ جَاؤُوا
وَتَضَوَّعَتْ مِسْكَاً بِكَ الْغَبْرَاءُ
حَقٌّ وَعُزَّتُهُ هُدًى وَحِيَاءُ
إِنِ الْعِظَائِمُ كَفُوْهَا الْعِظْمَاءُ (1)

لقد كان ميلاد النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وبعثته ميلاً للقيم والأخلاق، وميلاً للمثل العليا، وإشراقاً للعالم، كان ميلاده وبعثته ميلاً للحضارة بجميع صورها الحسنة، وأخلاقها المستحسنة.

بميلاده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعثته غير الله الواقع السَّيِّء الذي كانت تعيشه البشرية: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (2).

لقد كانت حاجة البشرية إلى ميلاده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعثته أشدَّ من حاجة المريض إلى

(1) قصيدة لأحمد شوقي عارض بها بردة البوصيري.

(2) [آل عمران: 164].

الشفاء، والظمان إلى الماء، والعليل إلى الدواء، والنظر الذي تتمناه العين العمياء.

يصور لنا جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحوال الناس في مكة قبل بعثته **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فيقول للنجاشي: "أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام"⁽¹⁾.

في ليلة مولده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأت أمه نورًا خرج منها أضواء لها قصور الشام.

فقده روى ابن هشام في السيرة النبوية وابن كثير في البداية والنهاية بسند صحيح: **عن** خالد بن معدان الكلاعي: أن نفرا من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالوا له: يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك؟ قال: "نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى أخي عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضواء لها قصور الشام"⁽²⁾.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: "خروج هذا النور عند وضعه؛ إشارة إلى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أهل الأرض، وأزال به ظلمة الشرك منها،

(1) سيرة ابن هشام: (1/336).

(2) سيرة ابن هشام: (1/166).

كما قال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾⁽¹⁾.

وقال ابن كثير: وتخصيص الشام بظهور نوره إشارة إلى استقرار دينه وثبوته ببلاد الشام، ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلاً للإسلام وأهله، وبها ينزل عيسى ابن مريم بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها، **ولهذا جاء في الصحيحين:** "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك"، **وفي صحيح البخاري:** "وهم في الشام"⁽²⁾.

كانوا حيارى بليلٍ كله ظلم فأشرقت شمس طه واهتدى العرب⁽³⁾

عن حسان بن ثابت قال: "وَاللَّهِ إِنِّي لَعَلَّامٌ يَفَعَّةٌ، ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ أَوْ ثَمَانٍ، أَعْقَلَ كُلِّ مَا سَمِعْتُ، إِذْ سَمِعْتُ يَهُودِيًّا يَصْرُخُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ عَلَى أَطْمَةِ بَيْتِ رَبِّ: يَا مَعْشَرَ يَهُودٍ، حَتَّى إِذَا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، قَالُوا لَهُ: وَيَلِكَ مَالِكَ؟ قَالَ: طَلَعَ اللَّيْلَةَ نَجْمٌ أَحْمَدُ الَّذِي وُلِدَ بِهِ"⁽⁴⁾.

وعن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "قال زيد بن عمرو بن نفيل: "قَالَ لِي حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الشَّامِ: قَدْ خَرَجَ فِي بَلَدِكَ نَبِيٌّ، أَوْ هُوَ خَارِجٌ، قَدْ خَرَجَ نَجْمُهُ، فَارْجِعْ فَصَدَّقَهُ وَاتَّبِعْهُ"⁽⁵⁾.

(1) [المائدة: 16].

(2) سُبُلُ السَّلَامِ مِنْ صَحِيحِ سِيرَةِ خَيْرِ الْأَنْبَاءِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (ص 11).

(3) موسوعة الرقائق والأدب (ص 827).

(4) سيرة ابن هشام (1/ 159).

(5) السيرة النبوية لابن كثير (1/ 214).

قال عن مولده عمه العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَأَنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ وَضَاءَتْ بِبُورِكَ الْأَفْقُ
فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضَّيَاءِ وَفِي النُّورِ وَسُبُلِ الرَّشَادِ نَحْتَرِقُ (1)

عند مولده صلى الله عليه وعلى آله وصحبه خرج به جده عبد المطلب ودخل به الكعبة وسماه محمداً،

وهذا الاسم لم يكن معروفاً من قبل ذلك بتوفيق من الله سبحانه (2).

سمي محمداً لأنه كان محموداً عند ربه، ومحموداً عند أهل السماء، ومحموداً

عند أهل الأرض، وهو صلى الله عليه وعلى آله وصحبه محمود في صفاته وأخلاقه، وهو صلى الله عليه وعلى آله وصحبه محمود مع أصحابه، ومع أعدائه، وعند أهله، وأقاربه، وأرحامه، فهو عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ محمود

في كل شيء، وصدق حسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قال في وصفه:

أَغْرُ، عَلَيْهِ لِلنَّبُوءَةِ خَاتَمٌ مِنْ اللَّهِ مَشْهُودٌ يُلَوِّحُ وَيُشْهَدُ
وَضَمَّ الْإِلَهَ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَذِّنُ أَشْهَدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيَجْلَهُ فذو العرشِ محمودٌ، وهذا محمدٌ (3)

أيها المؤمنون: إذا كان ميلاد النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وبعثته ميلاً للتوحيد

والطاعة، وامتثالاً لهدي القرآن، فهل نحن ممثلون لذلك، متبعون لهذا الهدي،

هل طبقناه واقعاً في حياتنا، إذا كان ميلاد النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ميلاً للعدل

(1) الزاهر في معاني كلمات الناس (1/ 175).

(2) سير أعلام النبلاء (1/ 36).

(3) ديوان حسان بن ثابت (ص 42).

ودحرا للظلم فهل نحن اليوم كمسلمين ممثلين لهذا؟ هل نشرنا العدل في حياتنا؟ هل طبقناه على أنفسنا؟ هل عرف كل واحد منا حقه فترك الظلم وأعطى العدل ورفع ما عنده من مظالم للآخرين؟ هذا تساؤل موجه لجميع المسلمين أفرادا وجماعات وأحزابا وتنظيمات وغيرهم.

أيها المسلمون:

-إننا حين نتحدث عن ميلاد النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** نريد أن تتمثل هذا الحديث في حياتنا، وأن نتمثله واقعا في سلوكنا، وأن نطبقه واقعا في أخلاقنا وتعاملاتنا، وأن نطبقه الجماعات والأحزاب والمؤسسات والتنظيمات في أخلاقها وتعاملاتها، وأن نطبقه واقعا في كل شؤون الحياة كأفراد وجماعات وأحزاب وتنظيمات وحكومات.

- إن فرح المؤمن بمولده **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** يجب أن يصحبه اتباعٌ لهديه، وتطبيق لشرعه، وامثال لتوجيهاته، ومحبة لأصحابه وآل بيته: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (1)، وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (2).

أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، فيا فوز المستغفرين.

(1) [آل عمران: 31].

(2) [النساء: 80].

الخطبة الثانية

أيها المؤمنون: إن الله عزَّ وجلَّ جَمَّلَ النبي ﷺ خَلْقًا وخلقًا، فكان أكمل الخلق أخلاقًا، وأجملهم صورة، وقد جاءت الآثار بذلك فتعالوا بنا لنستمع إلى من تحدث عن صورته وهيبته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

عن جابر بن سمرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: " رأيت رسول الله ﷺ في ليلةٍ إِضْحِيَانٍ، فجعلتُ أنظر إلى رسول الله ﷺ وإلى القمر، وعليه حُلَّةٌ حمراء، فإذا هو عندي أحسنُ مِنَ القمر " (1) إِضْحِيَانٍ أَي: مضيئة مقمرة.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: " ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ، كأن الشمس تجري في وجهه، وما رأيت أحداً أسرع في مشيته من رسول الله ﷺ، كأنما الأرض تطوى له، إنا لنجهد أنفسنا، وإنه لغير مكترث " (2).

وعن أبي إسحاق، قال: سئل البراء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أكان وجه النبي ﷺ، مثل السيف؟ قال: لا، بل مثل القمر " (3).

وعن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، قال: قلت لِلرُّبَيْعِ بِنْتِ مَعُوذِ بْنِ عَفْرَاءَ: "صفي لنا رسول الله ﷺ، فقالت يَا بَنِيَّ لَوْ رَأَيْتَهُ رَأَيْتَ الشَّمْسَ طَالِعَةً" (4).

(1) سنن الترمذي (2811).

(2) مسند أحمد (8943).

(3) صحيح البخاري (3552).

(4) سنن الدارمي (61).

وعن عبد الله بن كعب، قال: سمعت كعب بن مالك، يحدث حين تخلف عن تبوك، قال: فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يبرق وجهه من السرور، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا سرَّ استنارَ وجهه حتى كأنه قطعة قمرٍ وكنا نعرف ذلك منه⁽¹⁾.

وقد صدق حسان بن ثابت حين قال:

وَأَحْسَنَ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي وَأَجْمَلَ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ
خُلِقْتَ مُبْرَأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ⁽²⁾

وقال كعب بن زهير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

مَسَّحَ النَّبِيُّ جَبِينَهُ فَلَهُ بَيَاضٌ بِالْخُدُودِ
وَبَوَّجَهُ دِيبَاجَهُ كَرُمُ النَّبُوءَةِ وَالْجُدُودِ⁽³⁾

وصدق النصيبي حين قال:

نَبِيِّ سَخِيٍّ حَيٍّ وَفِيٍّ أَبْرَ الْبَرِّيَّةِ قَوْلًا وَفِعْلًا
وَسِيمٍ عَلَيْهِ يَلُوحُ الْقَبُولُ وَسِيمَا السَّعَادَةِ مَذْكَانِ طِفْلًا⁽⁴⁾

(1) صحيح البخاري (3556).

(2) ديوان حسان بن ثابت (ص 66).

(3) ديوان كعب بن زهير (ص 79).

(4) الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد (ص 616).

وقال آخر:

إن فاتكم أن تروه بالعيون فما يفوتكم وصفه هاذي شمائله
مكمل الذات في خلق وفي خلق وفي صفات فلا تُحصى فضائله⁽¹⁾

فالفرح بمولده عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إنما يكون بامثال أوامره في حياتنا كلها، في تعاملاتنا، في أخلاقنا في مصداقيتنا، في العدل وترك الظلم، في المحافظة على العبادات، في اجتناب المعاصي والمحرمات، في الترضي عن أصحابه والحب لآل بيته، في الدعوة إلى دينه ونشره وعرضه كما عرضة نبي الإسلام صافياً من البدع والخرافات والدماء والانحرافات، هذا هو الحب الحقيقي والفرح الحقيقي بمولده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا يكون ملازماً للمسلم في كل حياته حتى يلقى ربه **عَزَّوَجَلَّ** وهو على ذلك.

اللهم اعصمنا عن المخالفة والعصيان، وألهمنا ذكرك وشكرك يا كريم يا منان، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين.

(1) مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع (1/310).



الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾⁽¹⁾، **وأشهد** أن لا إله إلا الله القائل: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾⁽²⁾، **وأشهد** أن سيدنا وقدوتنا نبينا محمدًا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾⁽³⁾.

أيها المؤمنون: لقد كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه معتدلاً في أخلاقه، جميلاً في معاملاته، سهلاً لنا في تصرفاته، دائم البشر والابتسام، طيب المحيا والمداعبة.

ومع أنه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه كان نبيا يوحى إليه، عظيماً معظماً بين أصحابه، مهاباً فيهم، إلا أنه كان يضحك وبتتسم، ويداعب ويمازح أصحابه وأطفالهم وأهل بيته.

قال العلامة ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: وكان من أخلاقه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أنه جميل العشرة دائم

(1) [الأحزاب: 21].

(2) [التوبة: 128].

(3) [الأحزاب: 71].

البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته، ويضحك نساءه، حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين يتودد إليها بذلك. قالت: سابقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته، وذلك قبل أن أحمل اللحم، ثم سابقته بعد ما حملت اللحم فسبقتني، فقال: "هذه بتلك" (1).

فما أكرم أخلاقه وأعلاها، وما أجمل صفاته وأبهاها
ضحكت لك الأيام يا علم الهدى واستبشرت بقدمك الأعوام
وتوقف التاريخ عندك مُدْعِنًا تُملي عليه وصحْبُكَ الأَقلامُ
اضحك لأنك جئت بشري للورى في راحتك السِّلمُ والإسلامُ (2)

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "وكان صلى الله عليه وسلم يضحك مما يُضحك منه، وهو مما يتعجب من مثله، ويستغرب وقوعه ويستندر" (3).

وإليكم أيها الأخوة نماذج من مزاحه صلى الله عليه وسلم وضحكه؛ ليعلم الآخرون أن ديننا دينٌ فسحةٌ وفيه ترويحٌ للنفس.

فمن مزاحه صلى الله عليه وسلم مع أصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، ما صح عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:
أن رجلا من أهل البادية كان اسمه زاهرا، وكان يُهدي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدية من البادية، فيجهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

(1) تفسير ابن كثير (2/ 242).

(2) لم أفق على قائله.

(3) زاد المعاد (1/ 175).

"إن زاهرا باديتنا، ونحن حاضر وه"، وكان النبي ﷺ يحبه، وكان رجلا دميما، فأتاه النبي ﷺ يوما وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه، ولا يبصره الرجل، فقال: أرسلني، من هذا؟ فالتفت، فعرف النبي ﷺ، فجعل لا يألو ما أَلَصَقَ ظَهْرَهُ بصدر النبي ﷺ حين عرفه، وجعل النبي ﷺ يقول: "من يشتري العبد؟" فقال: يا رسول الله، إِذْنُ والله تجدني كاسدا. فقال النبي ﷺ: "لكن عند الله لست بكاسد" أو قال: "لكن عند الله أنت غال" (1).

فلك أن تتخيل بفكرك أعظم الخلق ونبي الرحمة، الذي كان إذا دخل في الصلاة سُمع صوت بكائه كالقِدْر حين تغلي بالماء يمزح هذا المزاح، وأين هذا المزاح؟ في وسط السوق.

واليوم لو مزح أحد المشايخ والدعاة وأظهر ذلك في وسائل التواصل أو أرسل صورة وهو يتسم أو كان معه الورد قال بعض الناس بل بعض من هو محسوب على الدعوة: ما هذا؟! أيش من شيخ؟ وما هذا من داعية؟ وهذا من الجفاء والجهل بسيرته ﷺ.

ومن مزاحه ﷺ بأفعاله مزاحه مع زوجته، ومن ذلك أنه كان يتسابق مع بعض زوجته. **فعن** عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أنها كانت مع النبي ﷺ - في سفر، قالت: فسابقته فسابقته على رجلي، فلما حملت اللحم سابقته فسبقني، فقال: "هذه بتلك السبقة" (2).

(1) مسند الإمام أحمد (12648).

(2) سنن أبي داود (2578).

إن ديننا أيها الناس دين الرحمة ودين الابتسامة والمزاح الصادق والكلمة الطيبة والدعابة التي تدخل السرور على الآخرين.

اليوم بعض الناس قد يستقيم على الدين لكنه متجهم الوجه، عبوسٌ مقطبٌ الجبين، سيئ الأخلاق، وهذا لا يمثل الدين ولا الإسلام ولا المتدينين، وفي الطرف الآخر أرى بعض الناس إذا رأى متدينا أو شيخ علم أو داعية يمزح أو يرسل في وسائل التواصل ما فيه ترويح للنفس من الفكاهات الصادقة يقول: كيف شيخ علم وتمزح، ما يصلح، وكأن الضحك والابتسامة والمزاح حلال لبعض الناس حرام على غيرهم.

ومن مزاحه صلى الله عليه وسلم **وضحكه مع الأطفال، ما جاء عن** عبد الله بن الحارث **رضي الله عنه** قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف عبد الله وعبيد الله وكثيراً، بني العباس، ثم يقول: "من سبق إلى كذا وكذا"، قال: فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدرة، فيقبلهم ويلتزمهم" (1).

ومن مزاحه صلى الله عليه وسلم **مع العجائز وكبار السن، ما جاء عن** عائشة **رضي الله عنها**، أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أتته عجوز من الأنصار، فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: «إن الجنة لا يدخلها عجوز»، فذهب نبي الله صلى الله عليه وسلم فصلى، ثم رجع إلى عائشة، فقالت عائشة: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ كَلِمَتِكَ مَشَقَّةً وَشِدَّةً، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: «إن ذلك كذلك، إن الله تعالى إذا أدخلهن الجنة، حوّلهن أبكاراً» (2)،

(1) مسند الإمام أحمد (1836).

(2) المعجم الأوسط (5/357) (5545).

وفي رواية: فَوَلَّتْ تَبْكِي، قَالَ: " أَخْبَرُوهَا أَنَّهَا لَا تَدْخُلُهَا وَهِيَ عَجُوزٌ، إِنْ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَا هُنَّ إِنِشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ (1).

ومن مزاحه صلى الله عليه وسلم مع أصحابه أيضا، ما جاء في **مصنف ابن أبي شيبة** عن محمد بن سيرين، قال: حَدَّثْتُ، أَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «ضَحِكَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مِنْ رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ ضَحِكًا مَا رَأَيْتُ ضَحِكَ مِنْ شَيْءٍ قَطُّ أَشَدَّ مِنْهُ». قَالَ مُحَمَّدٌ: وَقَدْ عَلِمْتُ مَا الرُّؤْيَا، وَمَا تَأْوِيلُهَا: رَأَى كَأَنَّ رَأْسَهُ قُطِعَ، قَالَ: فَذَهَبَ يَتَّبِعُهُ، فَالِرَّاسِ: النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَالرَّجُلُ يُرِيدُ أَنْ يَلْحَقَ بِعَمَلِهِ عَمَلَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ لَا يُدْرِكُهُ» (2).

ومن معرفة الصحابة رضي الله عنهم **أجمعين لمزاح النبي** عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَدْ كَانُوا يَمْزَحُونَ مَعَهُ. **فغن** عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قَالَ: «أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمَ، فَسَلَّمْتُ فَرَدَ، وَقَالَ: ادْخُلْ فَقُلْتُ: أَكَلِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: كُلُّكَ فَدَخَلْتُ» (3).

وعن **صهيب** رضي الله عنه، قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَبَيْنَ يَدَيْهِ خَبْزٌ وَتَمْرٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «إِذْنُ فُكْلٍ» فَأَخَذْتُ أَكُلُّ مِنَ التَّمْرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «تَأْكُلُ تَمْرًا وَبِكَ رَمْدٌ؟» قَالَ، فَقُلْتُ: إِنِّي أَمْضُغُ مِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (4).

(1) شرح السنة للبعوي (13 / 183).

(2) مصنف ابن أبي شيبة (30520)

(3) سنن أبي داود (5000).

(4) سنن ابن ماجه (3443).

فما أعظمها من أخلاق، وأحسنها من صفات، وألطفها من مداعبة،
وأجملها من ابتسامة. وصدق الله القائل في أخلاقه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ
عَظِيمٍ﴾ (1).

اللهم ارزقنا التخلق بأخلاقه، والاهتداء بهديه، واتباع شرعه وسنته، أقول ما
سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(1) [القلم: 4].

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي منَّ على عباده بدين الإسلام، وجعله شاملاً لمطالب الروح والجسد ولكل الأنام، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. أما بعد:

أيها المؤمنون: ولقد وضعت الشريعة الإسلامية للمزاح آداباً لا بد من مراعاتها، ومنعت من تصرفات لا بد من اجتنابها.

ومن ذلك ألا يتضمن المزاح والضحك شيئاً معظماً في الشرع، كذكر الله ورسله، ولا شعائر الإسلام، كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَدِرُوا قَدْحَكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بَأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (1).

كذلك أن يكون المزاح صدقاً لا كذب فيه، لأن الكذب لا يجوز لا في جدِّ ولا هزل، فبعض الناس يخلع ويخترع حكايات وقصص مكدوبة ويتكلم بها أو يرسلها في وسائل التواصل، وهذا لا يجوز، لقول النبي ﷺ: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ» (2).

(1) [التوبة: 65، 66].

(2) سنن أبي داود (4990).

قال العلامة الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ: وذلك لأن الكذب محرم، والإضحاك به يزيده تحريمًا؛ لأن الضحك مذموم، ويحرم على السامعين سماعه إذا علموه كذبا؛ لأنه إقرار على المنكر، بل يجب عليهم النكير أو القيام من الموقف، وقد عدَّ الكذب من الكبائر، قال الروياني من الشافعية: إنه كبيرة، ومن كذب قصدا رُدت شهادته، وإن لم يضر بالغير؛ لأن الكذب حرام بكل حال⁽¹⁾.

ومن ذلك -أيضًا- ألا يتضمن المزاح أذىً لأحد من الناس، كالترويع والتخويف، لقول النبي ﷺ: «من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه»⁽²⁾.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: فيه تأكيد حرمة المسلم والنهي الشديد عن ترويعه وتخويفه والتعرض له بما قد يؤذيه، **وقوله ﷺ:** "وإن كان أخاه لأبيه وأمه" مبالغة في إيضاح عموم النهي في كلِّ أحدٍ سِوَاءِ مَنْ يُتَّهَمُ فِيهِ وَمَنْ لَا يُتَّهَمُ، وسواء كان هذا هزلاً ولعباً أم لا؛ لأن ترويع المسلم حرام بكل حال⁽³⁾.

وفي مسند الإمام أحمد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلي، قال: حدثنا أصحاب رسول الله ﷺ: أنهم كانوا يسيرون مع رسول الله ﷺ في مسير، فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى نبلٍ معه فأخذها، فلما استيقظ الرجل، فزع، فضحك القوم، فقال: "ما يضحككم؟" فقالوا: لا، إلا أنا أخذنا نبل هذا، ففزع، فقال رسول الله

(1) شرح الجامع الصغير (11/48)، سبل السلام (2/683).

(2) صحيح مسلم (2616).

(3) شرح النووي على مسلم (16/170).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً" (1).

ولهذا ما يسمى اليوم بالمقابل والتي انتشرت في الفترة الأخيرة في وسائل التواصل الاجتماعي ما كان فيها ترويع وتخويف للإنسان فهي حرام، بل هي من كبائر الذنوب كما ذكر ذلك العلامة ابن حجر في كتابه (الزواجر عن اقتراف الكبائر) (2)، **ولهذا** نجد بعض الناس ربما يغمى عليه أو يموت بسبب هذه المقالب القبيحة.

ومن الآداب في المزاح أيضاً: أن لا يكون المزاح كثيراً: فإن البعض يغلب عليهم هذا الأمر ويصبح ديدناً لهم، وهذا عكس الجد الذي هو من سمات المؤمنين، والمزاح فسحة ورخصة لاستمرار الجد والنشاط والترويح عن النفس.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: "المزاح المنهي عنه هو الذي فيه إفراط ويداوم عليه، فإنه يورث الضحك وقسوة القلب، ويشغل عن ذكر الله تعالى: ويؤول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء، ويورث الأحقاد، ويسقط المهابة والوقار، فأما من سَلِمَ من هذه الأمور فهو المباح الذي كان رسول الله ﷺ يفعلُه (3).

ومن الآداب أيضاً: معرفة مقدار الناس: فإن البعض يمزح مع الكل بدون اعتبار، فللعالم حق، وللكبير تقديره، وللشيخ توقيره، ولهذا يجب معرفة

(1) مسند أحمد (38/163) (23064).

(2) (2/159).

(3) الأذكار للنووي (ص 521).

شخصية المقابل، فلا يمازح السفيه ولا الأحمق ولا من لا يُعرف.

أخيرا: أخي المسلم أؤكد وأقول: أدخل السرور على نفسك وعلى من حولك، وتبسم فالابتسامة صدقة، وامزح ولا تقل إلا حقا، ولا تبالغ، واعلم أن التَّجَهُمَ والعبوس ليس من الأخلاق الإسلامية، ولا من الآداب الإنسانية.

ولقد سار على هذه الآداب الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ اقتداء برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقد كان الصحابة يتمازحون وهم سادة الخلق إخلاصا وعبادة وزهدا وصلاحا.

يقول الدكتور محمد علي الهاشمي بعد ساق نماذج من مزاح الصحابة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:** وبعْدُ، فليس بعد هذه الآثار وأمثالها دليل أنصح على ما يريده الإسلام لأبنائه من خفة ظل، ومرح نفس، وعدوبة رُوح، وإنما لصفات تكسب صاحبها شخصية دمثة محببة، تستطيع أن تغزو القلوب، وتغلغل في بواطن النفوس، والمسلم الداعية في أشد الحاجة إلى مثل هذه الشخصية وتلك الصفات⁽¹⁾.

وسار على هذا أيضا التابعون اقتداء بما رآه من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فهذا محمد بن سيرين الزاهد العابد العالم المحدث، والذي قال عنه الطبري: كان ابن سيرين فقيها عالما ورعا أديبا كثير الحديث صدوقا، وقال أبو عوانة: رأيت محمد بن سيرين في السوق فما رآه أحد إلا ذكر الله⁽²⁾.

(1) شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة (ص 194).

(2) سير أعلام النبلاء (4/ 610).

كان رَحْمَةُ اللَّهِ صاحب ضحك ومزاح، وربما يضحك حتى تدمع عيناه، فإذا سئل عن الحلال والحرام تغير لونه حتى يقال: كأنه ليس بالذي يُقال.

قال أشعث: كان ابن سيرين إذا سئل عن الحلال والحرام، تغير لونه حتى تقول: كأنه ليس بالذي كان (1).

قال يونس أحد تلاميذه: «كان محمد بن سيرين صاحب ضحك ومزاح» (2).

وقال هشيم بن منصور قال: كان ابن سيرين يضحك حتى تدمع عيناه (3).

إن ديننا دين الرحمة والابتسامة والمزاح الصادق، والكلمة الطيبة، والدعابة التي تدخل السرور على الآخرين، ولقد كان الصحابة ومن بعدهم يتمازحون بأدب من غير فحش، وكانت قلوبهم تلين بالقرآن ووجوههم تلين بالابتسامة للناس.

وقد سئل ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هل كان أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يضحكون؟ قال: «نَعَمْ، وَالْإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ أَعْظَمُ مِنَ الْجَبَلِ»، وقال بلال بن سعد: «أَدْرَكْتُهُمْ يَشْتَدُّونَ بَيْنَ الْأَعْرَاضِ، وَيَضْحَكُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ كَانُوا رُهْبَانًا» (4).

(1) سير أعلام النبلاء (4/ 613).

(2) اصطناع المعروف لابن أبي الدنيا (ص 42).

(3) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (7/ 147).

(4) مشكاة المصابيح 3/ 1343

فهذا هو ديننا وسماحتة، فلك الحمد ربنا عدد خلقك ورضا نفسك وزنة
عرشك ومداد كلماتك على هذه النعمة، ونسألك ربنا دوامها تفضلا منك
وكرما حتى نلقاك.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله
وأصحابه أجمعين.



الخطبة الأولى

الحمد لله القائل في وصف الذين أنعم الله عليهم: ﴿إِذَا تَتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾⁽¹⁾، وأشهد أن لا إله إلا الله القائل في وصف أولي العلم ممن قبلنا: ﴿وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾⁽²⁾، وأشهد أن سيدنا محمدا الذي قال ابن مسعود في وصفه عند سماعه للقرآن منه: "فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان"⁽³⁾، وأصحابه أجمعين، أما بعد:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾⁽⁴⁾.

أيها المؤمنون: حديثنا اليوم عن سيد العظماء وأفضل الأتقياء، وأشرف الرسل والأنبياء، ولا يجادل أحد أن أفضل الخلق عند الله وأقرب الأنبياء والرسل إلى الله، وأكثر الناس تعبدا لله وخشية له وأن أحب المخلوقات إليه هو

(1) [مريم: 58].

(2) [الإسراء: 109].

(3) صحيح البخاري (5050).

(4) [الحج: 1].

نبينا محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وصدق حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قال في مدح النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

وَأَحْسَنَ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي وَأَجْمَلَ مِنْكَ لَمْ تَلِدْ النَّسَاءُ
خُلِقْتَ مَبْرَأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ⁽¹⁾

وَمِنْ أَحْسَنَ مَا مَدَحَهُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَوْلُهُ:

لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبَيَّنَةٌ كَانَتْ بَدِيهَتُهُ تُنْسِكُ بِالْخَبْرِ⁽²⁾

ولقد أوتي النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من الخلال أحسنها، ومن الصفات أعلاها، ومن الآداب أرفعها، مع رقة في قلبه وخشية لربه، ورأفة بأمته، وخشوع في صلاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولقد مرت برسول الله مواقف مختلفة اهتزت لها مشاعره، وتأثر بها وجدأته، فترجمت ذلك عيناه بذرْفِ الدموع، ولم تكن دموع النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سببها الحزن فقط، أو الألم فحسب، بل تجاوزت ذلك إلى الرحمة والشوق والمحبة والشفقة على الآخرين، مما يمثل مشهدا من المشاهد الإنسانية عند رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وفوق ذلك كله كان أكثر دموعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسبب خوفه وخشيته من الله، ولقد رأى الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين هذه الدموع من العينين الشريفتين فحفظوا لنا مواقف من بكائه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

(1) ديوان حسان بن ثابت (ص 66).

(2) المجالسة وجواهر العلم (3/130).

ونقلوها إلينا لتكون لنا عبرة وعظة وسلوكا وأدبا.

وإليكم أيها الإخوة بعض هذه المواقف:

أولا: بكاؤه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي صَلَاتِهِ إِذَا نَاجَى رَبَّهُ مُسْتَحْضِرًا عِظْمَةَ اللَّهِ فِي **مَنَاجَاتِهِ**، ورحمة الله ونعم الله وجلال الله، فتفيض عَبْرَتُهُ، وتنزل على خده دمعته

صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الْوَسِيَّةُ

عن مطرف بن عبد الله بن الشخير، عن أبيه قال: «أتيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو يصلي، وَلِجَوْفِهِ أَرِيْزٌ كَأَرِيْزِ الْمَرْجَلِ»، يعني: يبكي (1).

وأريز المرجل: هو الصوت الذي يصدره الوعاء عند غليانه.

وتأملوا في هذا المشهد العظيم: فعن عطاء، قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقال عبيد بن عمير: حدثينا بأعجب شيء رأيت من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فبكت، فقالت: قام ليلة من الليالي، فقال: يا عائشة ذريني أتعبد لربي، قالت: قلت: والله إني لأحب قربك وأحب ما يسرك، قالت: فقام، فتطهر، ثم قام يصلي، فلم يزل يبكي حتى بَلَ حِجْرَهُ، ثم بكى، فلم يزل يبكي حتى بَلَ الأَرْضَ، وجاء بلال يؤذنه بالصلاة فلما رآه يبكي، قال: يا رسول الله تبكي، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدا شكورا؟ لقد نزلت علي الليلة آيات، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (2).

(1) سنن النسائي (1214) ..

(2) أخلاق النبي لأبي الشيخ الأصبهاني (568).

وسرعان ما كانت تنزل الدموع من عينيه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه إذا سمع آيات القرآن العظيم.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال لي النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه: «اقرأ علي»، قلت: يا رسول الله، اقرأ عليك، وعليك أنزل، قال: «نعم» فقراءت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾⁽¹⁾ قال: «حسبك الآن» فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان⁽²⁾

كما بكى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه اعتبارا بمصير الإنسان بعد موته ولوقوفه على أهوال القبور وشدتها، **فعن** البراء رضي الله عنه، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه في جنازة، فجلس على سفير القبر، فبكى، حتى بل الثرى، ثم قال: «يا إخواني، لمثل هذا فأعدوا»⁽³⁾.

وبكى رقة ورحمة وشفقة وحنانا على موت بعض أولاده أو أصحابه، كبكائه عليه الصلاة والسلام لموت ابنه إبراهيم. **فعن** أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه على أبي سيف القين، وكان ظئرا لإبراهيم عليه السلام⁽⁴⁾ لإبراهيم عليه السلام، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه إبراهيم، فقبله، وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عيننا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟ فقال: «يا بن عوف إنها

(1) [النساء: 41].

(2) صحيح البخاري (5050).

(3) سنن ابن ماجه (4195).

(4) **الظئر**: هي المرضعة التي ترضع ولد غيرها، ويطلق ويراد به أيضا الذي يرضع مع غيره من امرأة واحدة.

رحمة»، ثم أتبعها بأخرى، فقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه: «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربُّنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»⁽¹⁾.

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه، قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه إذ جاءه رسول إحدى بناته، يدعوه إلى ابنها في الموت، فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه: «ارجع إليها فأخبرها أن الله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمرها فلتصبر ولتحتسب»، فأعدت الرسول أنها قد أقسمت لتأتينها، فقام النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وقام معه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، فدفع الصبي إليه ونفسه تقفع كأنها في شئ، ففاضت عيناه، فقال له سعد: يا رسول الله، ما هذا؟ قال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»⁽²⁾.

ومن بكائه على موت أصحابه أو مرضهم بكاؤه في مرض سعد بن عبادة رضي الله عنه وبكاؤه على شهداء مؤته رضي الله عنهم. **فعن** عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «اشتكى سعد بن عبادة شكوى له، فأتى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه يعوده مع عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود، فلما دخل عليه، وجدته في غشية، فقال: أقد قضى؟ قالوا: لا يا رسول الله! فبكى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، فلما رأى القوم بكاء رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه بكوا، فقال: ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا يحزن القلب، ولكن يعذب بهذا (وأشار إلى لسانه) أو يرحم»⁽³⁾.

(1) صحيح البخاري (1303).

(2) صحيح البخاري (7377).

(3) صحيح مسلم (924).

وقد بكى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حين زار قبر أمه، **فمن** أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «زار النبي ﷺ قبر أمه، فبكى، وأبكى من حوله فقال: استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور، فإنها تذكرو الموت» (1).

تأملوا معي إخواني النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يبكي على أمه، وكم من أناس اليوم تبكي أمه بسببه، بسبب عصيانه لها، تنكره لها، إعراضه عنها، سوء خلقه معها، قسوته عليها، والله المستعان.

ولقد بكى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من أجل أمته كثيرا، رحمة بها وشفقة عليها، **فمن** عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «أن النبي ﷺ تلا قول الله عَزَّوَجَلَّ في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ الآية. وقال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فرفع يديه وقال: اللهم، أمي أمتي، وبكى، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: يا جبريل، اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال، وهو أعلم، فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك» (2).

وفي غزوة بدر دمعت عينه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خوفا من أن يكون هذا اللقاء

(1) مسند أحمد (9688).

(2) صحيح مسلم (202).

مُؤذِنًا بِنهَايَةِ كَثِيرٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَهَزِيمَتِهِمْ عَلَى يَدِ أَعْدَائِهِمْ.

فَعَنَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَا كَانَ فِينَا فَارِسٌ يَوْمَ بَدْرٍ غَيْرَ الْمَقْدَادِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا فِينَا قَائِمٌ إِلَّا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يَصْلِي تَحْتَ شَجَرَةٍ وَيَبْكِي حَتَّى أَصْبِحَ» (1).

فَهَذَا هُوَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الرَّحْمَةُ الْمَهْدَاةُ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ صَاحِبُ الْخَلْقِ الْقَوِيمِ.

يا رب صل على النبي المجتبي	ما غردت في الأيك ساجعة الرُّبَا
يا رب صل على النبي وآله	ما اهتزت الأتلاث من نفس الصِّبَا
يا رب صل على النبي وآله	ما لاح برق في الأباطح أو قبا
يا رب صل على النبي وآله	ما أمت الزوار نحوك يثربا
يا رب صل على النبي وآله	ما قال ذو كرم لضيف مرحبا
يا رب صل على النبي وآله	ما كوكب في الجوق قابل كوكبا
صلى وسلم ذو الجلال عليك ما	أزكأك في الرسل الكرام وأطيبا (2)

أَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ بِفَضْلِهِ أَنْ يَرْزُقَنَا خَشِيَّتَهُ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا قُلُوبًا خَاشِعَةً، وَعَيُونًا مِنْ خَشِيَّتِهِ دَامِعَةً، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(1) مسند أحمد (1023).

(2) ديوان البرعي (ص 89).

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي تحيا القلوب بذكره والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي تسعد النفس بقراءة سيرته وشمائله، صلى الله عليه وسلم وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

أيها الناس: البكاء لا يعيب الرجال إذا كان عن رحمة وشفقة ورقة قلب وحب خير، وغلظة القلوب مذمومة، ومن لا يرحم لا يرحم.

والرحمة صفة محمودة، اتصف بها الرحمن سبحانه، "وإنما يرحم الله من عباده الرحماء"⁽¹⁾، وأعلى البكاء وأفضله ما كان خشوعاً وخشية لله تعالى، وهو غالب بكاء الرسل والأنبياء كما **قال تعالى:** ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾⁽²⁾ وقد أثنى الله على أهل العلم فقل **جَلَّ وَعَلَا:** ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾⁽³⁾.

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ

(1) صحيح البخاري (1284).

(2) [مريم: 58].

(3) [المائدة: 83].

لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١﴾.

ومن السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم القيامة: "ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه" (2).

إن البكاء من خشية الله من الأمور التي يحبها الله، فعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه قال: «ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين، قطرة من دموع في خشية الله، وقطرة دم تهراق في سبيل الله، وأما الأثران: فأثر في سبيل الله، وأثر في فريضة من فرائض الله» (3).

وإن الله حرم على النار عين بكت من خشية الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه: «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع» (4).

وعن ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه يقول: «عينان لا تمسهما النار»: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله» (5).

وختاما أيها الأخوة: لو سأل كل واحد منا نفسه متى آخر مرة بكى من

(1) [الإسراء: 107 - 109].

(2) صحيح البخاري (660).

(3) سنن الترمذي (1669).

(4) سنن الترمذي (1633).

(5) سنن الترمذي (1639).

خشية الله، متى آخر مرة فاضت عينه من خشية الله، ومتى بكى عند تلاوة القرآن، «فَمَا ضُرِبَ عَبْدٌ بِعُقُوبَةٍ أَكْبَرُ مِنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ» كما قال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾.

اللهم وفقنا لسلوك مناهج المتقين، وخصنا بالتوفيق المبين، واجعلنا بفضلك من المقربين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين.

(1) الزهد للإمام أحمد (ص259).



الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾⁽¹⁾، **وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل في الرسول ﷺ:** ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾⁽²⁾، **وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير، والبشير النذير ﷺ وأصحابه أجمعين، أما بعد:**

فاتقوا الله عباد الله حق التقوى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾⁽³⁾.

أيها الناس: إن هناك منكرا عظيما تكاد القلوب منه تنفطر، وجُرما كبيرا تكاد الجبال من هوله تنهد، ورَسما قبيحا تكاد السماوات من قبحه أن تسقط، منكرا عظيم يظهر فيه الرسول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** الكريم والنبي العظيم برسوم شنيعة وصور قبيحة.

(1) [الأنبياء: 107].

(2) [التوبة: 128].

(3) [آل عمران: 102].

خطب عظيم له الأكوان تَنْفَطِرُ إِنَّ الدَّمُوعَ مِنَ الْأَمَاقِ تَنْحَدِرُ
 كلب قبيح أتى بالشر مبتهجاً رسم قبيح لخير الخلق ينتشر
 خطب عظيم يَعُمُّ الأرض قاطبة تكاد من هولته الأوطان تندثر⁽¹⁾

هذا المنكر انتشر وشاع حتى رفع على البنايات الشاهقة، وتكلم عنه مادحا رئيس تلك الدولة بكل وقاحة وتحداً للمسلمين ومشاعرهم، مع سكوت كثير من الدول مريب، وصمت من كثير من الأحزاب والجماعات والمؤسسات عجيب، لو أن كلباً أوذى في البلاد العربية والإسلامية أو أسىء إلى زعيم من زعمائهم لرأيت المنافقين من أبناء جلدتنا يتسابقون لإنكار ذلك ويكتبون الإدانات ويظهر في الوسائل المختلفة والقنوات المتعددة.

إني لأعجب من قوم لهم لُسْنٌ إِنَّ ذَلَّ كَلْبٌ بِأَرْضِ الْعُرْبِ يَنْتَصِرُوا
 أو كان ظلم بأرض الكفر خَلَّتْهُمُوا صُمًّا وَبُكْمًا جَمِيعًا مَا لَهُمْ خَيْرٌ⁽²⁾

فأين كلماتهم في الوقت الذي أسىء فيه لأشرف المخلوقات وسيد السادات الرحيم الكريم، هؤلاء المنافقون أعداء الإسلام احذروهم واعرفوا مواقفهم، سواء كانوا أحزاباً أو جماعات أو أفراد.

وأشدُّ ما يُدْمِي الْقُلُوبَ مُخَذَّلٌ بِاسْمِ التَّسَامُحِ يَزْعُمُ الدُّخْلَاءُ!
 قَتَلُوا الْعَزَائِمَ فِي النُّفُوسِ كَأَنَّهُمْ لِلْغُرْبِ عَنِ سَقَطَاتِهِ وَكَوَلَاءُ!

(1) من قصيدة كتبها دفاعاً عن النبي ﷺ.

(2) السابق.

أَمِنَ التَّسَامُحَ أَنْ يُسَاءَ لَدِينَنَا بِاسْمِ التَّحَرُّرِ وَالْإِنَّمَا غِضَاءُ!
 وَيُقَالُ: إِرْهَابُ الْعُدَاةِ عَدَالَةٌ وَالْكُرْهُ ضِدُّ الْمُسْلِمِينَ إِخَاءُ!
 وَيُسَبُّ فِي وَضَحِ النَّهَارِ نَبِيَّنَا وَيُقَالُ: فِيمَ تَغَضَبُ الدُّنْيَاءُ؟!
 فَمَتَى إِذْنُ تُحَمَى الْعَقِيدَةُ وَالْحِمَى وَيُثَوِّرُ إِيمَانَ بِهِ وَوَلَاءُ؟!
 بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتَ كُلُّ نَفْسِنَا تَفْدِيكَ وَالْآبَاءُ وَالْأَبْنَاؤُ
 وَالْأَرْضُ وَالْعَرِضُ الْمَصُونُ وَسَائِرُ الدُّنْيَا لِعَرِضِكَ جَنَّةٌ وَوَقَاءُ(1)

إن الدفاع عن رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** ليس واجب العلماء والدعاة والوعاظ فحسب، بل هو واجب على كل مسلم ومسلمة، وهو واجب الدول والحكومات والأحزاب والمنظمات والجماعات والأفراد كل بحسبه.

إني أقول، وللدموع حكاية عن مثلها تتحدث الأمطارُ
 إننا نعلم أن قدر نبينا أسمى وأن الشائنين صغارُ
 لكنه ألم المحب يزيده شرفاً، وفيه لمن يحب فخارُ(2)

أيها الناس: قد يقول قائل: وكيف تكون نصررة رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فنقول: إن هناك طرقاً متنوعة وأساليب متعددة، وبعضها أشد من بعض ونذكر منها:

أولاً: المقاطعة العامة لجميع السلع الصادرة من أي دولة تسيء للنبي

(1) منقول.

(2) منقول.

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهذا سلاح فتاك أثره كبير وتأثيره عظيم، وإذا كانت هذه المقاطعة بتوجيه من الدول المسلمة الأثر يكون أشد وأعظم؛ لأن الناس غالباً تبع لحكامهم، ويدخل في هذا أيضاً منع تصدير ما تحتاجه هذه الدولة مما هو من مقومات حياتها، وهذا السلاح الفتاك لو تملأت عليه الدول الإسلامية واتفقت عليه الدول العربية لكان سلاحاً ناجحاً يؤثر خلال أيام قليلة تأثيراً عجبياً، يجعل الدولة النجسة تخضع وتعتذر وتعرف قدرها، ومما يدل على جواز هذه المقاطعة وتأثيرها وإن كان هذا الأمر لا يحتاج إلى دليل، ولكن هناك من قد يجهل ذلك كما أن هناك من قد يُلبس على الآخرين أن هذا لا ينفع ولا يجوز، فمن أدلته قصة ثمامة بن أثال، **فمن** أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال: «بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْلًا قَبْلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَّةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ، فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمُ تُنْعِمَ عَلَيَّ شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ، فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ، قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمُ تُنْعِمَ عَلَيَّ شَاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ، فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ، فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، فَقَالَ: أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ، فَانْطَلَقَ إِلَى نَجْلِ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاعْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَيَّ الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهَكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَاصْبَحَ دِينَكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ

أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ، وَإِنْ خَيْلَكَ أَخَذْتَنِي، وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ، قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَسَلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا وَاللَّهِ، لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ (1).

ثانيا: ومن الوسائل في نصرة رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: عرض سيرته الحميدة، وشمائله الجميلة، وصفاته العظيمة ورحمته العميمة حتى تصل هذه الأمور إلى تلك الدول ليعرفوا حقيقة أخلاق هذا النبي الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

يا أمة الإسلام، أين هي تلك القنوات التي ينفق عليها الملايين والمليارات؟ أين القنوات التي يشاهدها مئات الألوف والملايين؟ أين تلك القنوات التي تشرف عليها الدول الإسلامية وتنفق عليها الملايين؟ أين هي كلها من نشر سيرته العطرة وشمائله الجميلة؟ أين هي من نشرها بلغات متعددة؟ أرأيتم لو اطلع هؤلاء على عظيم أخلاقه وكريم صفاته وجميل سجاياه، فكيف سيكون حالهم عند الاطلاع عليها؟ فقد كان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عظيم الأخلاق، كريم السجاياء، مهذب الطباع، نقي الفطرة، جَمِّ الحياء، حَيِّي العاطفة، جميل السيرة، طاهر السريرة، أُلْسِ لباس الهيبة، وتُوِّج تاج السيادة، قالت عنه أم معبد وصدقت: "ظَاهِرُ الْوَضَاءَةِ، أَبْلَجُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الْخُلُقِ، إِنْ صَمَتَ فَعَلَيْهِ الْوَقَارُ، وَإِنْ تَكَلَّمَ سَمَاهُ وَعَلَاهُ الْبَهَاءُ، أَجْمَلُ النَّاسِ وَأَبْهَاهُ مِنْ بَعِيدٍ، وَأَحْلَاهُ وَأَحْسَنُهُ مِنْ قَرِيبٍ، حُلُوُ الْمِنْطِقِ، فَضْلٌ لَا هَذِرٌ وَلَا تَزْرُ، كَأَنَّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتٌ نَظْمٌ يَتَحَدَّرْنَ،

(1) صحيح البخاري (4372).

رَبْعٌ لَا يَأْسَ مِنْ طَوْلٍ، وَلَا تَقْتَحِمُهُ عَيْنٌ مِنْ قِصْرِ، غُضْنٌ بَيْنَ غُضْنَيْنِ فَهُوَ أَنْضَرُ
الثَّلَاثَةِ مَنْظَرًا، وَأَحْسَنُهُمْ قَدْرًا، لَهُ رُفَقَاءُ يَحْفُونُ بِهِ، إِنْ قَالَ أَنْصَتُوا لِقَوْلِهِ، وَإِنْ أَمَرَ
تَبَادَرُوا إِلَى أَمْرِهِ، مَحْفُودٌ مَحْشُودٌ لَا عَابِسٌ وَلَا مُفَنَّدٌ⁽¹⁾.

قمرٌ تفرد بالكمال كماله وحوى المحاسن حسنه وجماله
وتناول الكرم العريض نواله وحوى المفاخر فخره المتقدم
والله ما ذرأ الإله ولا برا بشرا ولا ملكا كأحمد في الورى
فعليه صلى الله ما قلم جرى وجلا الدياتجي نوره المتبسم⁽²⁾

لقد وقف المنصفون من المفكرين والعلماء الغربيين على هذه السيرة العطرة
للنبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فكتبوا يشهدون لشخصيته بكلمات عجيبة منها:

ما كتبه الأديب الإنجليزي الشهير جورج برنارد شو (أديب إيرلندي) إذ
يقول: إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد هذا النبي الذي وضع
دينه دائماً موضع الاحترام والإجلال فإنه أقوى دين خالد خلود الأبد⁽³⁾.

ويقول مايكل هارت: إن اختياري محمداً ليكون الأول في أهم وأعظم
رجال التاريخ قد يدهش القراء، لكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح
أعلى نجاح على المستويين: الدنيوي والديني⁽⁴⁾.

(1) الطبقات الكبرى (1/ 198)، الرحيق المختوم (ص 440).

(2) ديوان الشاعر البرعي (ص 75).

(3) موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللثام (1/ 304).

(4) موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللثام (1/ 344).

إن كثيرا من الغربيين لا يعرفون عن الإسلام إلا من خلال القنوات الهابطة، أو من خلال تصرفات كثير من المسلمين الرعناء الفاسدة، من شرب للخمر وزيارة للملاهي والكذب والغش والخداع في تلك الدول، حتى صوروا الإسلام بصورة قبيحة وأخلاق سيئة، حتى قال لي أحدهم وبعد أن أسلم وسألته هذا السؤال: ما الفرق بين الإسلام والكفر؟ فقال: الفرق بين الإسلام والكفر كالفرق بين الظلمات والنور، ثم قال كلمته الشهيرة: والحمد لله أني عرفت الإسلام قبل أن أعرف المسلمين؛ لأنه لو عرف المسلمين قبل أن يعرف الإسلام سيعرف الكذب والغش، وسيعرف أنهم يشربون الخمر هناك ويأتون المراقص ويكذبون ويعربدون، والله المستعان.

أيها الناس: أرأيتم لو عُرضت معجزاته **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** مع شمائله بلغات شتى وأساليب جذابة في القنوات الفضائية ووسائل التواصل المتنوعة والتي تصل إلى تلك الدول والشعوب فكيف سيكون أثرها؟ فإن لبينا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** معجزات تبهر العقول وترقق القلوب وتُدْرِفُ الدموع.

إن حب الحيوان والشجر والحجر والجماد لبينا محمد **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** يمثل جانبا هاما من معجزاته ودلائل نبوته العظيمة.

الجذع يحن على فراقه، والحصى يسبح في كفه، والشجر يخط الأرض استجابة لطلبه، والماء ينبع من بين أصابعه، والحجر يسلم عليه، مع عرض المعجزات العلمية في القرآن الكريم والسنة النبوية عرضا علميا يصل إلى

القلوب والأرواح.

لك معجزات أعجزت كل الورى
نطق الذراع بِسُْمه لك معلنا
والذئب جاءك والغزاة قد أتت
وكذا الوحوش أتت إليك وسلمت
ودعوت أشجارا أتتك مطيعة
والماء فاض براحتيك وسبحت
وعليك ظللت الغمامة في الورى
وفضائل جَلَّت فليس تُحاكى
والضب قد لباك حين أتاك
بك تستجير وتحمى بحماكا
وشكى البعير إليك حين رآكا
وسمعت إليك مجيبة لنداكا
صم الحصى بالفضل في يمانكا
والجذع حن إلى كريم لقاكا⁽¹⁾

اللهم وفقنا لطاعتك واتباع سنة رسولك، وارزقنا حبه وحب أصحابه
أجمعين، برحمتك يا أرحم الراحمين. أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم
فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(1) المستطرف في كل فنّ مستظرف (ص 237).

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي جعل الإسلام سعادة ونورا والصلاة والسلام على من أرسله الله بالدين الحنيف نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

أيها الناس: إن شائتي الرسول الكريم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه على مدار التأريخ هم حثالة الرعاع والأقزام الذين يعيشون في المستنقع الآسن والدرك الهابط والظلام البهيم، ختم على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم، هم داء البشرية الظالمون الفاسدون والمفسدون، أعداء الفطرة السليمة والعقول المستقيمة، ولكن والله لولا تفرق المسلمين وضعفهم لما تجرأ خبيث حاقد وصعلوك جاهل أن يفعل هذا الفعل الإجرامي الإرهابي، بل أشد ما يدمي القلوب المؤمنة سكوتٌ عجيب وصمت مريب وتجاهل وتخاذل من قبل الحكومات والأحزاب والجماعات والمنظمات، فإذا كانت قد ماتت قلوب هؤلاء فإن قلوب الشعوب لم تمت، فإن حبهم لنبينهم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه لم يمت، ونصرتهم له وتعظيمهم له لم يمت.

يقول الإمام الرافعي رَحِمَهُ اللهُ: عجيبٌ أن يجهل المسلمون حِكْمَةَ ذِكْرِ النبي العظيم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه خمسَ مراتٍ في الأذانِ كلِّ يومٍ، يُنادَى باسمه الشريف ملءَ الجوّ؛ ثم حكمة ذِكْرِهِ في كل صلاةٍ من الفريضة والسنة والنافلة، يُهمَسُ باسمه الكريم ملءَ النَّفْسِ! وهل الحكمةُ من ذلك إلاَّ الفرضُ عليهم ألاَّ ينقطعوا من نبينهم ولا يوماً واحداً من التاريخ، ولا جُزءاً وحِداً من اليوم، فيمتد الزمنُ مهما امتدَّ

والإسلامُ كأنه على أوَّلِهِ، وكأنَّه في يومِهِ لا في دَهْرٍ بعيدٍ، والمسلمُ كأنه مع نبيِّه بين يديه تبعته رُوحُ الرسالة، ويسطعُ في نفسه إشراقُ النُّبُوَّةِ، فيكونُ دائماً في أمره كالمُسلمِ الأوَّلِ الذي غيَّرَ وجهَ الأرضِ، ويظهرُ هذا المسلمُ الأوَّلُ بأخلاقه وفضائله وحميته في كل بقعةٍ من الدنيا مكانِ إنسانِ هذه البقعة، لا كما نرى اليوم؛ فإنَّ كلَّ أرضٍ إسلاميةٍ يكادُ لا يظهرُ فيها إلاَّ إنسانُها التاريخي بجهله وخرافاتِهِ وما ورثَ مِنَ القِدَمِ؛ فهنا المسلمُ الفرعوني، وفي ناحيةِ المسلمِ الوثني، وفي بلدِ المسلمِ المجوسي، وفي جهةِ المسلمِ المعطلِّ.. وما يريدُ الإسلامُ إلاَّ نفسَ المسلمِ الإنساني.

أيها المسلم! لا تنقطعُ من نبيك العظيم، وعِشْ فيه أبداً، واجعله مثلك الأعلى؛ وحين تذكره في كل وقت فكن كأنك بن يديه؛ كن دائماً كالمسلم الأول؛ كن دائماً ابنَ المُعْجِزَةِ⁽¹⁾.

ألا وإن من نصرة نبينا الاستقامة على شرعة واتباع سنته والحب لأصحابه.

اللهم قوِّ إيماننا بك وبملائكتك وبكتبك وبرسلك وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، اللهم نور قلوبنا بطاعتك، وحلِّ بيننا وبين معصيتك، وألهمناذكرك وشكرك، واجعلنا هداة مهتدين، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

(1) وحي القلم (8/2).



الخطبة الأولى

الحمد لله القائل في حق طاعة الرسول ﷺ ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁽¹⁾، **وأشهد** أن لا إله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾⁽²⁾، **وأشهد** أن محمدا عبده ورسوله الذي قال الله عنه فيما يبلغه للناس: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾⁽³⁾، ﷺ وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

فاتقوا الله عباد الله وأطيعوا الله واتبعوا سنة رسوله الله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾⁽³⁾.

أيها المؤمنون: إن الله تعالى برحمته ومنتته أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، وبين لنا مصادر شرعه الحنيف ومرجع ملته السمحة، فجعل كتابه الكريم وسنة نبيه الرحيم ﷺ مصدر الشرع الإسلامي ومرجع الدين القويم

(1) [النور: 63].

(2) [المائدة: 92].

(3) [الأنفال: 24].

فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ (1) وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (2).

وقد بين سبحانه أن الذكر الذي أنزله، والشرع الذي شرعه محفوظ من التبديل والتحريف والزيادة والنقصان، فقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (3)، والذكر المحفوظ في هذه الآية هو القرآن الكريم والسنة النبوية؛ لأنها وحي من الله سبحانه، لأن الذكر يطلق ويراد به القرآن والسنة قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (4) فالذكر في هذه الآية المراد به السنة النبوية.

وحفظ القرآن متوقف على حفظ السنة النبوية، وصونه مستلزم لصونها؛ لأنها حصنه الحصين، ودرعه المتين، وحارسه الأمين، وشارحه المبين، تُفصل مجمله وتفسر مشكله وتوضح مبهمه وتقيده مطلقه.

أيها المؤمنون عباد الله: إن للسنة النبوية مكانة كبرى ومنزلة عظيمة ودرجة رفيعة ومحلا عظيما في الشريعة الإسلامية، فهي وحي من الله أنزله الله، وحكم من الله شرعه، وبيان من الله بينه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (5).

(1) [النساء: 59].

(2) [آل عمران: 132].

(3) [الحجر: 9].

(4) [النحل: 44].

(5) [النجم: 3، 4].

أيها المسلمون: وقد بُلينا في هذا الزمان الذي كثرت فيه العجائب، وانتشر فيه الجهل، بلينا بدعاة للضلالة والانحراف، والعلمنة والجهل، ينكرون ما ثبت من الأحاديث النبوية يقينا، ويردون ما جاء منها مُستفيضا، ويُعرضون عن أحكامها واعتقادها بحجج واهية وألفاظ ساقطة وتأويلات باطلة، بعقول جاهلة، وأفكار دخيلة، تركوا علماء الإسلام وما اتفق عليه المؤمنون وما توارثه المسلمون، ولم يكن فيه خلاف ولا نزاع ولا اختلاف ولا فرقة، بل هو محل اتفاق ومكان إجماع، وأقبلوا على شُبهه وضعها أعداء الإسلام وتلقاها هؤلاء الجهلة مستيقنين لها ومقدسين لها، ترى الواحد منهم لم يقرأ كتابا في اللغة والنحو، ولم يحفظ كتابا في الحديث والمصطلح، ولم يطلع على كتاب في رجال الحديث، ولم يفهم أو يقرأ كتابا في التفسير، بل لم يحافظ البعض منهم على الشعائر الدينية كالصلاة في أوقاتها، وأصبح هذا الجاهل يناطح العلماء الكبار، بل يناطح الصحابة الأجلاء، ويقارن فهمه الساقط وعقله الجاهل بعقل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن عباس وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل ومالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة وكأنه عالم زمانه ومجتهد أوانه، فيا أسفى على من يُصدق هؤلاء، ويسمع لهؤلاء ويتأثر بهؤلاء.

جَهُولٌ فِي الكِتَابَةِ يَدَّعِيهَا كَدَعْوَى آلِ حَرْبٍ فِي زِيَادٍ
فَدَعُ عَنْكَ الكِتَابَةَ لَسْتَ مِنْهَا وَلَوْ غَرَّقْتَ ثَوْبِكَ فِي المَدَادِ⁽¹⁾

يريد هؤلاء الجهلة أن يضاهاوا بسخافاتهم علوم الراسخين، ويطاولوا

(1) العقد الفريد (4/253).

بجهلهم الأكابر، في قلة حياء وقماءة دين وكبرياء صاغرين، يزعمون بذلك تجديدا ويرون ذلك تحديثا.

كَنَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيُوْهِنَهَا فَلَمْ يَضْرُهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ⁽¹⁾

لقد تحولت هجمة العلمانيين، ودعاة الحدائثة ومن تأثر بهم بجهل وحُمق تحولت للنيل من السنة النبوية والأحاديث المحمدية، بعد أن ضيع العلمانيون والمستشرقون أعمارا في تحريف القرآن وأعياهم أن ينالوا شيئا، فرجعوا إلى محاولة تحريف السنة النبوية وردِّ الأحاديث والتكذيب بها والطعن في نقلها ونقلتها، وقد فاق هؤلاء الجهلة المتقدمين جرأة وسفاهة، فلم يُقيموا للسنة وزنا ولا لروايتها قيمة، ويزعمون أنهم يصححون فهم الناس للسنة النبوية.

أبيها المؤمنون: إن السنة النبوية والأحاديث المروية والقبول لها والإيمان بها شعار المفلحين، وآية الصادقين وعلامة حُب رب العالمين: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽²⁾.

السنة النبوية تعبدَ بنقلها والعمل بها المسلمون، وتقرب بحفظها وتعليمها أهل العلم الراسخون، السنة النبوية من عمل بها رُحِم، ومن تمسك بها عُصِم، ومن اتبعها غفر له: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾⁽³⁾.

(1) ديوان الأعشى (ص 48).

(2) [آل عمران: 31].

(3) [آل عمران: 132].

السنة النبوية هي الجُنَّة الحصينة لمن تدرع بها، والشرعة المعينة لمن تمسك بها، درعها صافٍ، وظلها ضافٍ، وبيانها وافٍ، وبرهانها شافٍ.

منكر السنة والراد لأحاديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متوعد بالعذاب الأليم والطرده من رحمة رب العالمين: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (1).

وأخيراً: السنة النبوية والعمل بها والتمسك بها سفينة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، من ركبها نجا ومن أعرض عنها هلك.

قال مالك بن أنس رَحِمَهُ اللهُ: «السنة سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق» (2).

انظروا إخواني كيف كانوا يعظمون سنة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ويقدرونها، يقول أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لست تاركا شيئا كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعمل به إلا عملت به، وإني لأخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ (3).

قال الإمام ابن بطه رَحِمَهُ اللهُ: «هَذَا يَا إِخْوَانِي الصِّدِّيقُ الأَكْبَرُ يَتَخَوَّفُ عَلَى نَفْسِهِ الزَّيْغَ إِنْ هُوَ خَالَفَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَاذَا عَسَى أَنْ يَكُونَ مِنْ زَمَانٍ

(1) [النور: 63].

(2) ذم الكلام للهروي (4 / 124).

(3) البخاري (2926).

أَضْحَى أَهْلُهُ يَسْتَهْزِئُونَ بِنَبِيِّهِمْ وَأَبْوَآمِرِهِ، وَيَتْبَاهُونَ بِمُخَالَفَتِهِ، وَيَسْخَرُونَ بِسُنَّتِهِ؟
نَسَأَلُ اللَّهَ عِصْمَةً مِنَ الزَّلَلِ وَنَجَاةً مِنْ سُوءِ الْعَمَلِ (1).

يقول هذا الكلام في زمانه رَحْمَةُ اللَّهِ فكيف لو رأى زماننا.

رزقنا الله وإياكم التمسك بكتابه الكريم وسنة نبيه الرحيم وأماتنا على ذلك،
أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(1) الإبانة (2/ 245).

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم والسنة النبوية على رسوله الأمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

أيها المؤمنون: ما كنا نظن أننا سنعيش حتى نسمع من أبناء جلدتنا وإخوان ملتنا من ينكر أحاديث ثبتت عن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بعقول لم تشم رائحة العلم، ولم تُرَ في حلقات العلوم، ولم نعلم أنهم درسوا العلوم الشرعية، بل عقولهم من العلم خالية، وأجسادهم عن الجلوس بين أيدي العلماء بعيدة، لبعضهم شهادات في تخصصات ليست علومًا شرعية، ويريد أن يدخل نفسه مع العلماء الأعلام جهلاً بحجمه وتطاولاً على شرع الله.

إن حملة القرآن الذين وصل إلينا القرآن عن طريقهم هم أنفسهم حملة السنة الثابتة الصحيحة المسندة بأسانيد صحيحة، تناقلتها أمة الإسلام كابراً عن كابر، كتابة في السطور، وحفظاً في الصدور كما تناقلوا القرآن الكريم.

وعليه فقد تقرر لدى جميع علماء الإسلام من القرن الأول إلى يومنا هذا ما يأتي:

أولاً: الطاعنون في سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه جُملة هم طاعنون في القرآن جملة وتفصيلاً، لما سبق من مقدمة متفق عليها، وهو أن نقلة القرآن هم أنفسهم نقلة السنة.

يستغرب الزنادقة والطاعنون في سنة رسول الله ﷺ كيف حفظ الصحابة والتابعون أحاديث رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وينسون أنه في زماننا هذا فضلا عن الأزمان السابقة يوجد من يحفظ أكثر من أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي يعتبر أكثر الصحابة على الإطلاق حفظا لحديث رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ففي الوقت الذي حفظ فيه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قرابة خمسة آلاف حديث بالمكررات، ويوجد من الشباب المسلم اليوم من يحفظ البخاري ومسلم والترمذي وبقية السنن والمسانيد.

ثانيا: الطاعنون في سنة المعصوم ﷺ في تأريخ الإسلام هم الزنادقة الذين يسرون في صف الملاحدة والشيوعيين العرب حذو القذة بالقذة، ويحملون الرسالة والهدف نفسه.

ثالثا: الطعن في سنة المعصوم ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هو المرحلة الثانية من مراحل ثلاث يسير عليها ملاحدة العصر، ويقلدهم الأغبياء ممن تأثر بهم، وهذه المراحل هي:

الطعن في أصحاب النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ثم الطعن في سنة النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ثم الطعن في القرآن الكريم.

والهدف من ذلك هو الطعن في الإسلام بمعسول القول الذي قد يغتر به عامة الناس، كما قال الله عنهم في سورة المنافقون: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مَسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ

عَلَيْهِمْ هُمْ العَدُوُّ فَاحْذَرُهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿1﴾.

ولا يطعن في القرآن أو في السنة والأحاديث المروية إلا أئمة الكفر وشياطين الإنس والمقلدين لهم بجهل وحمق.

قال سبحانه عن الطاعنين في ديننا الإسلامي: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ﴾ (2).

فهذا في الكفار، وأما كون الطاعنين في سنة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من شياطين الإنس فدليله قول ربنا **جَلَّ وَعَلَا:** ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ﴾ (3).

اللهم ثبتنا على القول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(1) [المنافقون:4].

(2) [التوبة:32].

(3) [الأنعام:112].

مكانة الصحابة رضي الله عنهم في القرآن

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (1)، **وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل:** ﴿لَكِنَّ الرَّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (2)، **وأشهد أن محمدا عبده ورسوله القائل:** «من سب أصحابي فعليه لعنة الله» (3)، **وأصحابه أجمعين، أما بعد:** صلى الله عليه وسلم

فاتقوا الله عباد الله حق التقوى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (4).

أيها المسلمون: إن للصحابة مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة، فهم رأس

(1) [الأنفال: 74].

(2) [التوبة: 88].

(3) السلسلة الصحيحة للألباني (2340).

(4) [الأحزاب: 71].

الأولياء، وصفوة الأتقياء، وقدوة المؤمنين، وأسوة المسلمين، وخير العباد بعد الأنبياء والصالحين.

لقد شرفهم الله بمشاهدة خاتم الأنبياء وصحبته في السراء والضراء، وقد بذلوا أنفسهم وأموالهم في سبيل هذا الدين ونصرته حتى صاروا أفضل الخلق وأعلاهم درجة وفضلا بعد الأنبياء والرسل، فَمَنْ مِثْلَهُمْ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ** في إقامة عمود الدين وتشييده؟ ومن مثلهم في قطع حبائل الشرك وإذلاله؟ ومن مثلهم في إيصال الإسلام إلى أطراف المعمورة؟ ومن مثلهم في لقيام محمد **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وصحبته؟ ومن يماثلهم في العلم والفهم لهذا الدين؟ وقد أخذوا هذا العلم مباشرة من المَعِينِ الأول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فصاروا أدق الناس فهما، وأغزرهم علما، وأصدقهم إيمانا، وأحسنهم أعمالا، وأفضلهم عاقبة، وأعلاهم درجة، **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ** وأرضاهم.

وإليكم أيها الأخوة الكرام بعض الآيات القرآنية التي أثنى فيها رب العالمين على الصحابة الكرام **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ** أجمعين، فتأملوا فيها:

يقول الله عز وجل: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (1).

فتأملوا في الآية حفظكم الله تعالى: فقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ﴾ أي

(1) [التوبة: 100].

أنهم السابقون للإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، السابقون إلى نصرته، السابقون إلى كل عمل صالح جاء به الإسلام، وإذا كانوا هم السابقين إليها فلن يسبقهم أحد.

﴿مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ أي ثبتت هجرتهم ونصرتهم، وأنهم ثابتون على ذلك ماجورون عليها، وأنهم سيموتون على ذلك.

﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ أي ساروا على منهجهم واتبعوا أثرهم وأحبوهم أجمعين.

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ ومن رضي الله عنه أسعده وقربه ورفعته، ورضوا عن الله بما جازاهم به وأكرمهم.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ هيا لهم هذه الجنات قبل دخولهم لها، وهذا من إكرام الله لهم، وأنهم خالدون فيها خلودا ليس فيه تحول ولا موت.

﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ فما أعظمه من جزاء، وما أكرمه من عطاء، ومن أراد أن يكون كذلك فليحسن الثناء على الصحابة أجمعين؛ ليكون داخلا في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: يخبر تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، ورضاهم عنه بما أعد لهم من جنات النعيم، والنعيم المقيم⁽¹⁾.

(1) تفسير ابن كثير (4/203).

فيا ويل من أبغضهم أو سبهم أو سب بعضهم لا سيما سيد الصحابة بعد رسول الله ﷺ وخيرهم وأفضلهم أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبابكر بن أبي قحافة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

ويقول عز وجل: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (1).

وهذه الآية تدل على فضل الصحابة كلهم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** حيث شهد الله لهم بالإيمان ووعدهم الجنة التي هي الحسنی، سواء من أسلم قبل فتح مكة أو أسلم بعد فتح مكة.

ويقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (2).

﴿آمنوا﴾ أي تحقق إيمانهم، ﴿وهاجروا﴾: ثبت لهم أجر الهجرة، ﴿وجاهدوا﴾: جهاد السيف والسنان، وجهاد النفس وجهاد اللسان، وأنه تحقق لهم أجر الجهاد في سبيل الله، وهذا دليل على إخلاصهم وأنهم لم يجاهدوا لأجل عرض من أعراض الدنيا، بل جاهدوا في سبيل الله؛ لنصرة دين الله وإعلاء كلمة الله.

(1) [الحديد: 10].

(2) [الأنفال: 74].

﴿أولئك﴾ أي الجميع المهاجرون والأنصار ﴿هُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي هم لا غيرهم، ﴿المؤمنون﴾ أي كاملوا الإيمان وهذا مدح عظيم يدل على كمال إيمانهم ويقينهم.

﴿حقاً﴾ يفيد المبالغة والتصريح في وصفهم بكونهم محققين كمال الإيمان وقوة اليقين. وقد دل على تحققه فيهم هجرتهم في سبيل الله وتركهم ديارهم وأموالهم وكذلك جهادهم في سبيل الله وتعريض أنفسهم لكل خطر عظيم في سبيل هذا الدين.

﴿لهم مغفرة﴾: أي مغفرة عظيمة كاملة تامة، فالتنكير للتعظيم.

كما أن قوله تعالى: ﴿لهم مغفرة﴾ يفيد الحصر أي لهم مغفرة ليس كمغفرتنا لغيرهم بل هي عظيمة كاملة تامة لتحقيق هذه الأوصاف فيهم والتي لم تتحقق إلا فيهم.

﴿ورزق كريم﴾: أي رزق حسن شريف بالغ درجة الكمال في نفسه وفي عاقبته.

فما أعظمه من ثناء، وما أحسنه من مدح، وما أطيبه من جزاء، **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** وأرضاهم، وحشرنا في زمرةهم وأدخلنا الجنة معهم.

فرضي الله عن الصحابة أجمعين، أقول ما سمعتم واستغفروا الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي رفع قدر الصحابة وجعل حبهم من الإيمان، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء سيد ولد عدنان، وعلى آله وأصحابه، فهم قدوتنا، وبحبهم نرجو رضا الرحمن، أما بعد:

أيها المؤمنون: ومن تكريم الله للصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** في القرآن قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ* وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ* وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (1).

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ نصره الله ولدين الله، وأصبحوا فقراء بسبب هذا الإخراج.

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾: أي خرجوا من ديارهم مخلصين لله ابتغاء ما عند الله لا رياء ولا سمعة وأتى بالفعل المضارع (يبتغون) الذي يدل على التجدد والحدوث أي هذا الابتغاء؛ لطلب هذا الفضل مصاحب لهم ملازم

(1) [الحشر: 8-10].

لهم لم ينفك عنهم.

﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: ومع هذا الفقر والإخراج الذي فيه من المشقة

النفسية والعناء الجسدي والهم الروحي استمروا ولازموا نصره الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه بالجهاد بالسيف والسنان وملازمة جميع أنواع النصر بالمال والنفس وغير ذلك.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾: إشارة البعيد للتعظيم وكمال الثناء وعظيم ما

قدموا فقال: أولئك هم الصادقون: أي اكتمل صدقهم، وكَمُلَ حالهم حتى صاروا أصدق الناس وأصدق الخلق: صدقا في أفعالهم، وصدقا في أحوالهم، وصدقا في دينهم، وصدقا في نصرتهم لدين الله، وصدقا لنصرتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فصاروا أصدق الخلق، ولم يصل إلى صدقهم أحد من الناس، فَرْضَى اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم.

قال قتادة: هؤلاء المهاجرون الذين تركوا الديار والأموال والأهلين والأوطان

حبا لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، حتى إن الرجل منهم كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ما له دثار غيرها⁽¹⁾.

ثم قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ

إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁽²⁾.

(1) تفسير الطبري (22 / 523).

(2) [الحشر: 9].

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾ **والدار أي:** المدينة، وهؤلاء هم الأنصار
﴿وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ **أي** من قبل المهاجرين.

﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾: لكمال إيمانهم وحسن أخلاقهم إرضاء لله
ولرسوله ﷺ، ونصرة لدينه.

﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾: **أي** ليس في قلوبهم غل ولا
حسد مما أعطاه الله للمهاجرين من الفضل والفيء والقسمة للأموال وغير ذلك.

﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾: أي يقدمون إخوانهم المهاجرين على أنفسهم
ولو كانوا محتاجين لذلك، وهذا من كمال إيمانهم وحسن عشرتهم، وكمال
حبهم لله ولرسوله ﷺ **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

ثم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ
سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (1).

والذين جاءوا من بعد الصحابة (يقولون) أي يستمر فيهم هذا الأمر لا
يفارقهم ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ لحبنا لهم وشوقنا
إليهم وتعظيمنا لهم فهم أختونا وقودتنا وأسوتنا.

﴿بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾ أي حقدا وكرها وحسدا.

﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ وهذا مدح كبير لجميع الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** وأنهم كلهم

مؤمنون.

(1) [الحشر: 10].

أيها المؤمنون: أختتم خطبتي بهذا الحديث العظيم فتأملوا فيه، **عن** أنس **رضي الله عنه**، أنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله متى قيام الساعة؟ فقام النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة، فلما قضى صلاته قال: «أين السائل عن قيام الساعة؟» فقال الرجل: أنا يا رسول الله. قال: «ما أعددت لها؟» قال: يا رسول الله ما أعددت لها كبير صلاة ولا صوم إلا أني أحب الله ورسوله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المرء مع من أحب وأنت مع من أحببت» فما رأيت فرح المسلمون بعد الإسلام فرحهم بهذا⁽¹⁾.

وفي رواية: أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: «وماذا أعددت لها». قال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فقال: «أنت مع من أحببت». قال أنس: فما فرحنا بشيء، فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أنت مع من أحببت» قال أنس: «فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر، وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم»⁽²⁾.

ونحن نشهد الله أننا نحب جميع الصحابة، ونسأل الله أن يثبتنا على حبهم، وأن يحيينا على سنتهم، وأن يميّتنا على منهجهم، وأن يحشرنا في زميرتهم.

اللهم ارزقنا بحبنا لأصحاب نبيك سعادة في الدنيا وصلاحاً في الذرية وبركة في العمر والرزق. والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(1) سنن الترمذي (2385).

(2) صحيح البخاري (3688).



عظمة الله

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين، إله الأولين والآخرين، وقيوم السموات والأرضين، ومالك يوم الدين، الحمد لله الذي شهدت له بالربوبية جميع مخلوقاته، وأقرت له بالإلهية جميع مصنوعاته، وشهدت بأنه الله الذي لا إله إلا هو بما أودعها من عجائب صنعته، وبدائع آياته، سبحان من سبحت له السموات وأملاكها، والنجوم وأفلاكها، والأرض وسكانها، والبحار وحيتانها، والجبال والشجر والدواب والرمال، وكل رطب ويابس، وكل حي وميت:

لَكَ الْحَمْدُ يَا مُسْتَوْجِبَ الْحَمْدِ دَائِمًا عَلَى كُلِّ حَالٍ حَمْدًا فَإِنَّ لِدَائِمِ
وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ تَسْبِيحَ شَاكِرٍ لِمَعْرِفِكَ الْمَعْرُوفِ يَا ذَا الْمَرَاحِمِ
وَجُودُكَ موجودٌ وَفَضْلُكَ فَائِضٌ وَأَنْتَ الَّذِي تُرْجِي لِكَشْفِ الْمَظَالِمِ (1)

وأشهد أن لا إله إلا الله المتفرد بالجلال والجمال والتعظيم والإجلال:
سُبْحَانَ مَنْ مَلَأَ الْوَجُودَ أدَلَّةً لِيُلَوِّحَ مَا أَخْفَى بِمَا أَبْدَاهُ
سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ التَّفَكْرَ سُلْمًا يَسْمُو اللَّيْبَ بِهِ إِلَى مَرْقَاهُ

(1) ديوان الشاعر البرعي (ص 60).

سُبْحَانَ مَنْ أَحْيَا قُلُوبَ عِبَادِهِ بلوائحٍ من فيضِ نورِ هُداةِ
 هَلْ بَعْدَ مَعْرِفَةِ الْإِلَهِ زِيَادَةٌ إِلَّا اسْتِدَامَةٌ مَا يُدِيمُ رِضَاهُ
 مَنْ كَانَ يَعْرِفُ أَنَّكَ الْحَقُّ الَّذِي بِهِرَ الْعُقُولِ فَحَسْبُهُ وَكَفَّاهُ⁽¹⁾

وأشهد أن سيدنا ورسولنا ونبينا وقائدنا وقدوتنا محمد بن عبد الله، أرسله الله رحمة للعالمين وإماما للمتقين.

وَمَا كَمْ مُحَمَّدٍ خُلِقًا وَخُلِقًا أَطَّلَ فَكَانَ إِشْرَاقَ الْحَيَاةِ
 عَلَيْهِ صَلَاةُ رَبِّي مَا أَعَادَتْ شِفَاهُ الْكُونِ حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ⁽²⁾

أيها الناس: أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فهي وصية الله للأولين والآخرين. ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾⁽³⁾.

أيها المؤمنون: اتقوا الله، وتفكروا في مخلوقاته، وتدبروا آياته، فقد أثنى الله على المتفكرين فقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾⁽⁴⁾.

وذم الله المعرضين الذين لا يتفكرون فقال سبحانه: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ آيَةٍ فِي

(1) الأبيات من قصيدة للخزرجي ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة (3/361).

(2) منقول.

(3) [النساء:131].

(4) [آل عمران:191].

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١﴾، قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تَفَكَّرْ سَاعَةَ خَيْرٍ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ (٢). وقال بشر الحافي رَحِمَهُ اللَّهُ: لو تفكر الناس في عظمة الله لما عصوا الله (٣).

وقال الحسن، عن عامر بن عبد قيس قال: سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ يقولون: إن ضياء الإيمان، أو نور الإيمان، التفكير (٤).

أيها المؤمنون: يقول سبحانه: ﴿لَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥).

انظر أخي المؤمن وتأمل معي في هذا الأمر العجيب:

الكواكب والنجوم: كوكب المشتري أكبر من الأرض بألف وثلاثمائة مرة، وهذا الكوكب العملاق يعتبر قزما أمام الشمس التي تكبر الأرض بمليون وثلاثمائة ألف مرة، بعبارة أخرى، لو تخيلنا أن الشمس بحجم كرة السلة، فإن الأرض ستكون بحجم رأس القلم، وصدق الله: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ (٦).

(١) [يوسف: 105].

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (37307).

(٣) حلية الأولياء (8/337).

(٤) تفسير ابن كثير (2/185).

(٥) [غافر: 57].

(٦) [النازعات: 27 - 29].

وتبقى الشمس العظيمة المهيبة نجما متواضعا عند مقارنتها بنجوم أخرى أودعها الخالق سبحانه في سمائه.

عند نظر الإنسان في برج الجوزاء الذي فيه مجموعة من النجوم ومنه نجم الشُّعْرَى اليماني ألمع نجم في السماء، هذا النجم يكبر الشمس بنحو ثمان مرات وقد ذكره الله في القرآن فقال سبحانه: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَى﴾ (1).

ولتسأل نفسك الآن ما هو حجم كوكب الأرض من الشُّعْرَى اليماني الذي هو أكبر من الأرض بعشرة مليون مرة؟

أيها المؤمنون: الحقيقة الأرقام والكلمات تعجز عن وصف سعة الكون وما فيه من خلق عظيم، وعظمة المخلوق تدل على عظمة الخالق سبحانه، وصدق الله: ﴿فَلَا أُفْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ (2).

نتقل إلى مخلوق آخر عظيم يدل على عظمة الله يقول تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (3).

خَلْقٌ واحد من خلق الله، وهو الكرسي، وسع ما أدركناه وما لم ندركه، ما أبصرناه وما لم نبصره، وأعظم من الكرسي العرش.

قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يُقَدَّرُ أحد

(1) [النجم: 49].

(2) [الواقعة: 75، 76].

(3) [البقرة: 255].

قدره»(1).

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: « مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى الْحَلْقَةِ »(2).

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن الملائكة وكثرتهم " فَرَفَعَ لِي الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ، فَسَأَلْتُ جَبْرِيْلَ، فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ يَصْلِي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ " (3).

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: " أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ: إِنْ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةٌ سَبْعَ مِئَةِ عَامٍ " (4).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلِكٍ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ السَّابِعَةَ وَالْعَرْشَ عَلَى مَنْكَبِهِ وَهُوَ يَقُولُ: سَبْحَانَكَ أَيْنَ كُنْتُ، وَأَيْنَ تَكُونُ) (5).

تَبَارَكَ مَنْ شُكْرُ الْوَرَى عَنْهُ يَقْصُرُ لَكُونِ أَيَادِي جُودِهِ لَيْسَ تُحْصَرُ

(1) تفسير عبدالرزاق الصنعاني (3030).

(2) صحيح ابن حبان (361).

(3) صحيح البخاري (3207).

(4) سنن أبي داود (4727).

(5) أبو يعلى في "مسنده" (6619).

تُسَبِّحُ كُلُّ الْكَائِنَاتِ بِحَمْدِهِ سَمَاءٌ وَأَرْضٌ وَالْجِبَالُ وَأَبْحُرُ
 جَمِيعًا وَمَنْ فِيهِنَّ وَالْكُلُّ خَاشِعٌ لَهَيْبَتِهِ الْعُظْمَى وَلَا يَتَكَبَّرُ
 لَهُ كُلُّ ذَرَاتِ الْوُجُودِ شَوَاهِدٌ عَلَى أَنَّهُ الْبَارِي الْإِلَهُ الْمُصَوِّرُ
 دَحَا الْأَرْضَ وَالسَّبْعَ السَّمَاوَاتِ شَادَهَا وَأَنْقَنَهَا لِلْعَالَمِينَ لِيَنْظُرُوا
 وَأَبْدَعَ حُسْنَ الصَّنْعِ فِي مَلَكُوتِهَا وَفِي مَلَكُوتِ الْأَرْضِ كَيْ يَتَفَكَّرُوا⁽¹⁾

أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ بفضله وكرمه أن يرزقنا وإياكم التفكير في مخلوقاته
 والانتفاع في آياته. أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو
 الغفور الرحيم.

(1) مجموعة القصائد الزهديات (1/403).

الخطبة الثانية

الحمد لله بجمع محامده كلها، ما علمنا منها وما لم نعلم، وبجميع نعمه كلها ما علمنا منها وما لم نعلم، عدد خلقه كلهم ما علمنا منهم وما لم نعلم، والصلاة والسلام على أشرف رسله وأكرم خلقه محمد بن عبدالله وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

أيها المؤمنون: يصف ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** عظمة الله بكلام عذب جميل فيقول **رَحْمَةُ اللَّهِ**: يدبر أمر الممالك ويأمر وينهى، ويخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويقضي وينفذ، ويعز ويذل، ويقلب الليل والنهار، ويداول الأيام بين الناس، ويقلب الدول فيذهب بدولة ويأتي بأخرى، والرسول من الملائكة عليهم الصلاة والسلام بين صاعد إليه بالأمر ونازل من عنده به، وأوامره ومراسيمه متعاقبة على تعاقب الآيات، نافذة بحسب إرادته، فما شاء كما شاء في الوقت الذي يشاء على الوجه الذي يشاء، من غير زيادة ولا نقصان ولا تقدم ولا تأخر، وأمره وسلطانه نافذ في السماوات وأقطارها، وفي الأرض وما عليها وما تحتها، وفي البحار والجو، وفي سائر أجزاء العالم وذراته، يقربها ويصرفها ويحدث فيها ما يشاء، وقد أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، ووسع كل شيء رحمةً وحكمةً، ووسع سمعه الأصوات فلا تختلف عليه ولا تشبهه عليه.

بل يسمع ضجيجها باختلاف لغاتها على كثرة حاجاتها، لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلظه كثرة المسائل، ولا يتبرم بإلحاح ذوي الحاجات، وأحاط بصره بجميع المرئيات، فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، فالغيب عنده شهادة والسر عنده علانية، يعلم السر وأخفى من السر، فالسر ما انطوى عليه ضمير العبد وخطر بقلبه ولم تتحرك به شفتاه، وأخفى منه ما لم يخطر بعد فيعلم أنه سيخطر بقلبه كذا وكذا في وقت كذا وكذا، له الخلق والأمر، وله الملك والحمد، وله الدنيا والآخرة، وله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، له الملك كله وله الحمد كله ويده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، شملت قدرته كل شيء ووسعت رحمته كل شيء وسعت نعمته إلى كل حي. ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾⁽¹⁾. يغفر ذنباً، ويفرج همماً، ويكشف كرباً، ويجبر كسيراً، ويغني فقيراً، ويعلم جاهلاً، ويهدي ضالاً، ويرشد حيران، ويغيث لهفاناً، ويفك عانيماً، ويشبع جائعاً، ويكسو عاريماً، ويشفي مريضاً، ويعافي مبتلاً، ويقبل تائباً، ويجزي محسنماً، وينصر مظلوماً ويقصم جباراً، ويقيل عثرة، ويستر عورة، ويؤمّن روعة، ويرفع أقواماً ويضع آخرين، لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل، حجاب النور: لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلفه ويمينه ملأى لا تغيضها نفقة.

لو أن أهل سمواته وأهل أرضه، وأول خلقه وآخرهم، وإنسهم وجنهم

(1) [الرحمن: 29].

كانوا على أتقى قلب رجل منهم ما زاد ذلك في ملكه شيئاً، ولو أن أول خلقه وآخرهم وإنسهم وجنهم كانوا على أفجر قلب رجل منهم ما نقص ذلك من ملكه شيئاً، لن يطاع إلا بإذنه ورحمته، ولن يعصى إلا بعلمه وحكمته.

يطاع فيشكر، ويعصى فيتجاوز ويغفر، كل نعمة منه عدل، وكل نعمة منه فضل. أقرب شهيد، وأدنى حفيظ، حال دون النفوس، وأخذ بالنواصي، وسجل الآثار، وكتب الآجال، فالقلوب له مفضية، والسر عنده علانية، والغيب عنده شهادة⁽¹⁾.

وما أجمل قول القائل:

أقلها هو ما إليه هداك	لله في الآفاق آيات لعل
عَجَبٌ عُجَابٌ لو ترى عيناك	ولعل ما في النفس من آياته
حاولتَ تفسيراً لها أعياك	والكون مشحون بأسرار إذا
من يا طيب بطبه أزداك؟	قل للطيب تخطفته يد الردى
عجزت فنون الطب من عافاك؟	قل للمريض نجا وعودي بعدما
من بالمنايا يا صحيح دهاك؟	قل للصحيح يموت لا من علة
فهوى بها من ذا الذي أهواك؟	قل للبصير وكان يحذر حفرة
بلا اصطدام من يقود خطاك؟	بل سائل الأعمى خطاً بين الزحام
راعٍ ومرعى ما الذي يرعاك؟	قل للجنين يعيش معزولاً بلا

(1) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص63).

لدى الولادة ما الذي أبكاك؟
 فاسأله من ذا بالسموم حشاك؟
 أو تحيي وهذا السمُّ يملأ فاك؟
 شهداً وقل للشهد من حلاك؟
 دم وفرث ما الذي صفاك؟
 حنايا ميتٍ فاسأله من أحياك؟
 عيون الناس من أخفاك؟
 ورعاية من بالجفاف رماك؟
 يربو وحده فاسأله من أرباك؟
 أنواره فاسأله من أسراك؟
 أبعد كل شيء ما الذي أدناك؟
 بالمرّ من دون الثمار غذاك؟
 فاسأله من يا نخل شقّ نواك؟
 فاسأل لهيب النار من أوراك؟
 قمم السحاب فسأله من أرساك؟
 فسأله من بالماء شقّ صفاك؟
 جرى فسأله من الذي أجراك؟

قل للوليد بكى وأجهش بالبكاء
 وإذا ترى الثعبان ينفث سمّه
 واسأله كيف تعيش يا ثعبان
 واسأل بطون النحل كيف تقاطرت
 بل سائل اللبن المصفى كان بين
 وإذا رأيت الحي يخرج من
 قل للهواء تحسه الأيدي ويخفى
 قل للنبات يجفُّ بعد تعهّد
 وإذا رأيت النبت في الصحراء
 وإذا رأيت البدر يسري ناشراً
 واسأل شعاع الشمس يدنو وهي
 قل للمرير من الثمار من الذي
 وإذا رأيت النخل مشقوق النوى
 وإذا رأيت النار شبَّ لهيها
 وإذا ترى الجبل الأشمّ مناطحاً
 وإذا ترى صخرًا تفجر بالمياه
 وإذا رأيت النهر بالعذب الزلزال

وإذا رأيت البحر بالملح الأجاج طغى فسأله من الذي أطغاك؟
وإذا رأيت الليل يغشى داجياً فاسأله من يا ليل حاك دُجَاك؟
وإذا رأيت الصُّبح يسفر ضاحياً فاسأله من يا صبح صاغ ضُحَاك؟
ستجيب ما في الكون من آياته عجب عجاب لو ترى عيناك
ربي لك الحمد العظيم لذاتك حمداً وليس لواحد إلاك
يا مدرك الأبصار والأبصار لا تدري له ولكنه إدراكا
إن لم تكن عيني تراك فإنني في كل شيء أستبين عُلاك⁽¹⁾

سبحانك ربنا، سبحانك ما عظمناك حق تعظيمك، وما أطعناك حق طاعتك، أما والله لو علم العباد ما لله من العظمة ما عصوه، ولو علم المحبون ماله من الجمال والكمال ما أحبوا غيره، ولو علم الفقراء غنى الرب ما رجوا سواه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، هو سلوان الطائعين وملاذ الهارين وملجأ الخائفين.

اللهم قو إيماننا بك وبملائكتك وبكتبك وبرسلك وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، اللهم نور قلوبنا بطاعتك وحل بيننا وبين معصيتك، وألهمنا ذكرك وشكرك، واجعلنا هداة مهتدين، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(1) قصيدة منسوبة للشاعر السوداني إبراهيم بدوي.



التفكر في آيات الله الكونية

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾⁽¹⁾، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك القائل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾⁽²⁾، **وأشهد** أن محمدا عبده ورسوله سيد المتفكرين، وعلى آله وأصحابه أجمعين. **أما بعد:**

فاتقوا الله عباد الله حق التقوى، وتفكروا في آياته وتأملوا في مخلوقاته ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾⁽³⁾.

أيها المؤمنون: إن التأمل في آيات الله الكونية، والنظر في مخلوقات الله المتنوعة، والتفكر في مصنوعات الله المتعددة عبادة حث عليها القرآن الكريم في آيات كثيرة.

(1) [فصلت: 53].

(2) [آل عمران: 190].

(3) [النساء: 1].

قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (1).

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ
وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (2).

وقال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ
وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ (3).

فهذا الكون العظيم سماؤه وأرضه وما بينهما كتاب الله المنظور لمن تأمل

وتدبر:

سَلِ الْوَاحَةَ الْخَضْرَاءَ وَالْمَاءَ جَارِيَا	وَهْدِي الصَّحَارَى وَالْجِبَالَ الرَّوَاسِيَا
سَلِ الرَّوْضَ مُزْدَانًا سَلِ الزَّهْرَ وَالنَّدَى	سَلِ اللَّيْلَ وَالْإِضْبَاحَ وَالطَّيْرَ شَادِيَا
وَسَلْ هَذِهِ الْأَنْسَامَ وَالْأَرْضَ وَالسَّمَآ	وَسَلْ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُ الْحَمْدَ سَارِيَا
وَلَوْ جَنَّ هَذَا اللَّيْلُ وَامْتَدَّ سَرْمَدَا	فَمَنْ غَيْرُ رَبِّي يُرْجِعُ الصَّبْحَ ثَانِيَا
فَلَوْ غَاضَ هَذَا الْمَاءُ فِي الْقَاعِ هَلْ لَكُمْ	سِوَى اللَّهِ يُجْرِيهِ كَمَا شَاءَ رَاوِيَا
وَلَوْ أَنَّ هَذَا الرِّيحَ ثَارَتْ وَأَعْفَرَتْ	أَفِي كَوْنِكُمْ مِنْ يَوْقِفُ الرِّيحَ نَاهِيَا

فمن نظر في هذا الكون وآفاقه نظر عقل متفكر، ونظر قلب متدبر، وبصر متأمل

(1) [آل عمران: 190].

(2) [يونس: 101].

(3) [الشورى: 29].

يشعر بجلال الله، ويشعر بعظمة الله، ويستشعر ضعفه وتقصيره في حق الله، يستشعر
وحدانية الله، وقدرة الله، ورحمة الله، وعقاب الله، **ولطف الله تعالى:**

الله في الآفاق آيات لعل أقلها هو ما إليه هداكا
ولعل ما في النفس من آياته عجب عجاب لو ترى عيناكا
والكون مشحون بأسرار إذا حاولت تفسير الهأ أعيكا

هذا الكون كله، عاليه ودانيه، صامته وناطقه، أحيائه وجماداته، كلها
خاضعة لأمر الله، منقادة لتدبير الله، شاهدة بعظمة الله ووحدانيته، ناطقة بآيات
علمه وحكمته، دائمة التسييح بحمده سبحانه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ
وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ
تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (1).

تَأْمَلُ فِي نَبَاتِ الْأَرْضِ وَأَنْظُرُ إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ الْمَلِكُ
عُيُونٌ مِنْ لُجَيْنٍ شَاخِصَاتٍ بِأَحْدَاقِ هِيَ الذَّهَبُ السَّيِّكُ
عَلَى قُضْبِ الزَّبْرِجَدِ شَاهِدَاتٌ بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ

قال الإمام ابن القيم: وَإِذَا تَأَمَّلْتَ مَا دَعَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ عِبَادَهُ إِلَى
الْفِكْرِ فِيهِ أَوْ قَعَكَ عَلَى الْعِلْمِ بِهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وبوحدانيته وصفات كماله ونعوت
جلاله، من عموم قدرته وعلمه، وكمال حكمته ورحمته، وإحسانه وبره ولطفه،

(1) [الإسراء: 44].

وعدله وَرَضَاهُ وَغَضِبَهُ وَثَوَابَهُ وَعِقَابَهُ، فَبِهَذَا تَعَرَّفَ إِلَى عِبَادِهِ وَنَدَبَهُمْ إِلَى التَّفَكُّرِ فِي آيَاتِهِ" (1).

وقال العلامة السعدي: «ومن أسباب الإيمان ودواعيه، التفكر في الكون، في خلق السموات والأرض وما فيهن من المخلوقات المتنوعة، والنظر في نفس الإنسان وما هو عليه من الصفات، فإن ذلك داع قوي للإيمان، لما في هذه الموجودات من عظمة الخلق الدال على قدرة خالقها وعظمتها، وما فيها من الحُسن والانتظام والإحكام الذي يحير الألباب، الدال على سعة علم الله وشمول حكمته وما فيها من أصناف المنافع والنعم الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى، الدالة على سعة رحمة الله وجوده وبره، وذلك كله يدعو إلى تعظيم مبدعها وبارئها وشكره واللَّهَجَ بذكره وإخلاص الدين له، وهذا هو روح الإيمان وسره» (2).

أيها المؤمنون: ولو تأملنا اليوم قليلا في بعض آيات الكون الدالة على عظمة الله وجلاله وعزته وقوته وقدرته ورحمته.

يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَخَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (3).

(1) مفتاح دار السعادة (1/187).

(2) التوضيح والبيان (ص/31).

(3) [غافر:57].

ومعنى الآية: أن خلق الإنسان وما أودع فيه من الأسرار والآيات العظيمة والقدرة الكبيرة والحكمة الجليلة كبير جدا، وأكبر منه وأعم وأعظم من ذلك هو خلق السموات والأرض، ولعظمة خلق السموات قَلَّ أن تأتي سورة في القرآن الكريم إلا وفيها ذكرها، إما إخبارا عن عظمتها وسعتها، أو إقساما بها أو دعاءً إلى النظر في خلقها وعظمتها، وإما إرشادا للعباد أن يستدلوا بها على عظمة باريها وخالقها.

يقول علماء الفلك: إن من الحقائق الفلكية أن النجوم تنتظم في مجرات، والمجرة هي تجمعات هائلة الحجم تحتوي على ملايين بل مليارات النجوم والكواكب والأقمار والنيازك، وهذه النجوم التي نراها ليلا بالعين المجردة هي لمجرة واحدة سماها علماء الفلك مجرة التبانة، وتحتوي هذه المجرة على مائتي مليار نجم، وقد وصل عدد المجرات المكتشفة إلى الآن عشرة آلاف مجرة، فيها مليارات النجوم، وصدق الله القائل: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ (1).

وقال علماء الفلك: إن أكبر مجرة تم اكتشافها إلى الآن هي مجرة تسمى مجرة "المرأة المسلسلة"، وتحتوي على ثلاثمائة مليار نجم، وصدق الله القائل: ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (2).

(1) [الواقعة: 75، 76].

(2) [يونس: 101].

كما يقول علماء الفلك: إن الشمس تكبر الأرض بمليون وثلاثمائة ألف مرة، وأن الشمس ومجموعتها تدور حول كوكب في الفضاء بسرعة تزيد على مائتي كيلومتر في الثانية الواحدة، وأن الأرض سرعة دورانها حول الشمس ثلاثون كيلو متر في الثانية الواحدة.

وقد صل العلماء إلى أرقام خيالية في سرعة بعض المجرات، فبعض المجرات تقطع في الثانية الواحدة مائتين وأربعين ألف كيلو متر، أي: بسرعة قريبة من سرعة الضوء.

ويقول علماء الفلك -أيضا-: إن الشمس التي نعرفها حرارتها في سطحها ستة آلاف درجة، وفي مركزها عشرون مليون درجة، وأن لسان اللهب الذي يخرج من الشمس يزيد طوله على مليون كيلو متر مربع، وأن حجم الشمس أكبر من حجم الأرض بمليون وثلاثمائة مرة، وأن الأرض لو أقيمت في الشمس لتبخرت كلها خلال ثوان معدودة.

وكوكب المشتري يستطيع أن يستوعب بداخله ثلاثة عشر ألف كوكب بحجم الأرض، وأن الشمس تستطيع أن تستوعب ألف كوكب بحجم المشتري، كما اكتشف علماء الفلك نجما أطلقوا عليه اسم "بيستول" حجمه عشرة ملايين مرة من حجم الشمس.

قال العلماء في وكالة ناسا: وإن هذا النجم يطلق خلال ست ثواني طاقة حرارية تحتاج شمسنا هذه إلى سنة كاملة لإطلاقها.

كما اكتشف العلماء أن هناك نجوما تزيد إضاءةها على الشمس ستة وعشرين مرة، وهناك نجوم تزيد إضاءةها على الشمس بمائة مرة، بل هناك نجوم تزيد إضاءةها على الشمس بألف مرة، ولكن لماذا لا تصل إلينا حرارتها، لأنها بعيدة عن الأرض جدا، وشمسنا هذه نجمة واحدة من مائتي مليار نجم في درب التبانة، فلا إله إلا الله العظيم القادر، سبحانه إنا كنا من الظالمين.

سبحان ربي لا إله سواه	هتفت بها بعد القلوب شفاء
سبحانه متفردٌ بجلاله	وكمالهِ متفردٌ بعلاه
في سورة الإخلاصِ نبع جلاله	كم ظامئٍ متعطشٍ أرواه
وبآية الكرسيِّ سر كماله	في لفظها وحروفها نلقاه
في الكون في ذراته، في أرضه	وسمائه، في الكائنات نراه
يا من يُصرفُ كيف شاء قلوبنا	وإليه تعنو بالخشوع جباه
وبه نعيشُ سعادةً أبديةً	ونرى صفاء الروح في نجواه
يا من ختمت لنا الرسائلَ كلّها	برسالة الإسلام، عزّ حماه
وبعثتَ فينا خيرَ خلقك مُرشداً	تمضي بنا نحو النجاة خطاه

أسأل الله الكريم بفضله أن يوفقنا جميعا لطاعته، وأن يجنبنا أسباب سخطه، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه فيا فوز المستغفرين.

الخطبة الثانية

الحمد لله العظيم القادر، الغفور القاهر، والصلاة والسلام على نبينا محمد
وعلى آله وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

أيها المؤمنون: إن التفكير في مخلوقات الله كما تقدم عبادة عظيمة القدر،
جليلة الأثر، ولقد كان الصالحون من عباد الله يهتمون بهذه العبادة العظيمة
اهتماما كبيرا، ومن ذلك التفكير في الكون وفي النفس وفي ذهاب العمر وفي
الآخرة وما فيها وغير ذلك.

قال أبو الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «تَفَكَّرْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ»⁽¹⁾.

وقال عون بن عبد الله الكوفي: سألت أم الدرداء: مَا كَانَ أَفْضَلَ عِبَادَةِ أَبِي
الدَّرْدَاءِ؟ قَالَتْ: «التَّفَكُّرُ وَالْإِعْتِبَارُ»⁽²⁾.

وقال كعب رَحِمَهُ اللهُ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْلُغَ شَرَفَ الآخِرَةِ، فَلْيُكْثِرِ التَّفَكُّرَ يَكُنْ
عَالِمًا»⁽³⁾.

وقيل لإبراهيم بن أدهم: إنك تُطِيلُ الفكرة، قَالَ: «الفكرةُ مَعُ العَمَلِ»⁽⁴⁾.

(1) مصنف ابن أبي شيبة (19 / 148).

(2) الزهد لوكيع (صد 474).

(3) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (1 / 311).

(4) حلية الأولياء (8 / 109).

وكان سفيان بن عيينة كثيرا ما يتمثل بقول القائل:

إِذَا الْمَرْءُ كَانَتْ لَهُ فِكْرَةٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ عِبْرَةٌ

وكان رَحِمَهُ اللهُ يَقول: التفكير مفتاح الرحمة، ألا ترى أنه يتفكر فيتوب (1).

وَقَالَ السَّدي رَحِمَهُ اللهُ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ قَالَ: «سَأَصْرِفُهُمْ أَنْ يَتَفَكَّرُوا فِي آيَاتِي» (2).

والآيات هي الآيات الشرعية والآيات الكونية، لأن التأمل والتفكير يكون

في كتاب الله المسطور وهو القرآن الكريم، وفي كتاب الله المنظور وهو الكون.

ونختم هذه الخطبة بكلام جميل للشيخ محمد سيد طنطاوي في تفسيره الوسيط إذ قال: فإن من شأن الأخيار من الناس أنهم يتفكرون في مخلوقات الله وما فيها من عجائب المصنوعات، وغرائب المبتدعات، ليدلهم ذلك على كمال قدرة الصانع - سبحانه -، فيعلموا أن لهذا الكون قادرا مدبرا حكيما، لأن عظم آثاره وأفعاله، تدل على عظم خالقها.

ولقد ذكر العلماء كثيرا من الأقوال التي تحض على التفكير السليم، وعلى التدبر في عجائب صنع الله، **ومن ذلك قول سليمان الداراني:** «إني أخرج من بيتي فما يقع بصري على شيء إلا رأيت لله على فيه نعمة، ولى فيه عبرة». **وقال الحسن البصري:** «تفكر ساعة خير من قيام ليلة». **وقال الفخر الرازي:** دلائل

(1) حلية الأولياء (7/306).

(2) تفسير ابن أبي حاتم (5/1567).

التوحيد محصورة في قسمين: دلائل الآفاق، ودلائل الأنفس.

ولا شك أن دلائل الآفاق أجل وأعظم، كما قال تعالى: ﴿لَخَلَقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾.

ولما كان الأمر كذلك لا جرم أنه أمر في هذه الآية بالفكر في خلق السموات والأرض؛ لأن دلائلها أعجب، وشواهدا أعظم.

وقد وبخ - سبحانه - الذين يرون العبر فلا يعتبرون، وتمر أمامهم العظات فلا يتعظون ولا يتفكرون فقال تعالى: ﴿وَكَايْنُ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ. وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾.

ثم حكى سبحانه وتعالى ثمرات ذكرهم لله وتفكرهم في خلقه فقال: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

أي أنهم بعد أن أذعنت قلوبهم للحق، ونطقت ألسنتهم بالقول الحسن، وتفكرت عقولهم في بدائع صنع الله تفكيراً سليماً، استشعروا عظمة الله استشعاراً ملك عليهم جوارحهم، فرفعوا أكف الضراعة إلى الله بقولهم:

يا ربنا إنك ما خلقت هذا الخلق البديع العظيم الشأن عبثاً، أو عارياً عن الحكمة. أو خالياً من المصلحة، سبحانه أي نزهك تنزيهاً تاماً عن كل ما لا يليق بك فقنا عذاب النار أي فوفقنا للعمل بما يرضيك، وأبعدنا عن عذاب النار⁽¹⁾.

فتأملوا في عظمة هذه المخلوقات بأبصاركم وتدبروا في قلوبكم وأفكاركم.

(1) الوسيط في تفسير القرآن (2/373).

قال العلامة السعدي رَحْمَةُ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾
 أخبر تعالى أن في هذه المخلوقات العظيمة، آيات أي: أدلة على وحدانية الباري وإلهيته، وعظيم سلطانه ورحمته وسائر صفاته، ولكنها ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي: لمن لهم عقول يعملونها فيما خلقت له، فعلى حسب ما من الله على عبده من العقل، ينتفع بالآيات ويعرفها بعقله وفكره وتدبره⁽¹⁾.

أسأل الله الكريم بمنه وكرمه أن يرزقنا وإياكم التدبر والتأمل والتفكير النافع، الذي يقربنا إلى الله الكريم، وأن يرحمنا برحمته التي رحم بها عباده الصالحين.

(1) تفسير السعدي (ص78).



التفكر في خلق الإنسان

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾⁽¹⁾، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾⁽²⁾، **وأشهد** أن محمدا عبده ورسوله وخليله، إمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، صلى الله وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. **أما بعد:**

فاتقوا الله عباد الله حق التقوى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾⁽³⁾.

أيها المؤمنون: إن آيات الله الدالة على عظمته سبحانه متنوعة، ومخلوقاته الدالة على كمال قدرته متعددة، ومنها خلق الإنسان الذي كرمه الله تعالى على بقية المخلوقات، **فقال سبحانه:** ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

(1) [فصلت: 53].

(2) [آل عمران: 190].

(3) [آل عمران: 102].

وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿١﴾ فقد خلقه الله في أحسن صورة فقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ﴿٢﴾ فهو متميز عن أجسام غيره من الكائنات بحسن الصورة، وبديع الشكل، وجمال التناسق، فمهما توهمنا عن إنسان أنه قبيح أو دميم فهو أجمل من كل الكائنات، وصدق الله القائل: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ ﴿٣﴾.

ولقد جاءت الآيات العديدة في القرآن الكريم تتحدث عن خلق الإنسان

وتدعو إلى التفكير في خلقه والأصل الذي خُلِقَ منه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ ﴿٤﴾، إن في الإنسان من العجائب الدالة على كمال عظمته سبحانه وعظيم قدرته **جَلَّ وَعَلَا** ما تبهر العقول، وتزيد في الإيمان وترسخ اليقين.

إن في خلق الإنسان وتركيبه من دقيق الصفة وحسن التركيب ما تعجز

(1) [الإسراء: 70].

(2) [التين: 4].

(3) [الانفطار: 7].

(4) [الحج: 5].

العقول عن إدراك كنهه وتعجز الألسن عن وصفه، وصدق الله القائل: ﴿فَلْيَنْظُرِ
الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ (1).

نحن اليوم - إخواني الكرام - سنحاول جميعا التأمل والتفكر في عظيم قدرة
الله في خلق بعض أجزاء الجسم زيادة في الإيمان وقوة في اليقين، فلو بدأنا أيها
الكرام بالتأمل والتفكر في الرأس وما يحتويه.

يقول العلماء: في رأس كل إنسان منا ثلاثمائة ألف شعرة، في كل شعرة
بصيلة ووريد وشريان وعضلة وعصب وغدة دهنية وغدة صبغية، ومن عظمة
الله سبحانه أنه لم يجعل في الشعر أعصاب الحس كما في بقية أجزاء الجسم ولو
كان فيها أعصاب حسية لاحتاج الإنسان عند إزالتها إلى عميلة تخدير كامل
حتى لا يشعر بالألم.

أما الدماغ فهو مخلوق عجيب دال على كمال قدرة الله سبحانه، والدماغ
المخلوق العجيب المعقد، فمهما بلغ الإنسان من العلم والمعرفة وقوة التخيل
والتفكير فلا يستطيع أن يتصور الخلق المذهل للدماغ البشري في جميع أجزائه،
حتى أجمع علماء الطب والأعصاب والتشريح على أن أعقد مخلوق خلقه الله في
الكون هو الدماغ، حتى قال أحد علماء الأعصاب: إن الدماغ البشري هو كون
صغير لا يقل في تعقيدته عن الكون الكبير، فكما أن الله قد تجلى - أي بقدرته -
لخلقته في الكون الكبير فإنه كذلك قد تجلى في هذا الكون الصغير أي في الدماغ.

(1) [الطارق: 5].

إن مستوى تعقيد بنية الدماغ مهول جدا، فعدد الخلايا العصبية في دماغ الإنسان هي عشرة آلاف مليون خلية عصبية، كما أن هناك خلايا أخرى وظيفتها تغذية وإسناد الخلايا العصبية يبلغ عددها عشرة أمثال الخلايا العصبية، أي ما يقارب مائة ألف مليون خلية.

ومن عجائب خلق الدماغ أيضا أنه يحتوي الجزء الذي يصل الفص الأيمن بالفص الأيسر من الدماغ على ثلاثمائة مليون ليف عصبي.

يقول أحد العلماء: إن في الدماغ مائة وأربعين مليار خلية لم تعرف وظيفتها إلى الآن، وفي الدماغ أربعة عشر مليار خلية فيها التصور والمحكمة والتخيل والاستنباط وغير ذلك من العمليات الفكرية المعقدة.

ذاكرة الإنسان في الدماغ بحجم حبة العدس يتسع لسبعين مليار صورة.

يقول عالم الأعصاب المعروف ديفيد أوتوسون صاحب كتاب علم وظائف الأعصاب في مقدمة كتابه: "يستحيل على علماء الأعصاب في يوم من الأيام، لا في الوقت الحاضر ولا في المستقبل، أن يسبروا أغوار الدماغ ويكتشفوا أسرارها بشكل نهائي وقطعي، وذلك لأن الدماغ البشري لا يستطيع أن يفهم نفسه." لهذا فهو من أعقد الأشياء في هذا الكون: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَّ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾⁽¹⁾ وقال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾⁽²⁾.

(1) [النمل: 88].

(2) [الذاريات: 21].

أيها المؤمنون: نأتي إلى عضوٍ آخر في الإنسان دال على كمال قدرة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وهو العين، هذه العين هي النافذة التي يرى بها الإنسان كل من حوله، وهي من أعظم عجائب صنع الله وقدرته، ولو أتينا إلى ما يسمى بقزحية العين فهي لوحدها كافية لأن تكون من معجزات الله سبحانه في خلق الإنسان.

إذا لا يوجد إنسان على وجه الأرض قزحيته متشابهة مع قزحية إنسان آخر، مثل بصمة الأصبع لا يوجد فيها تشابه مع إنسان آخر؛ ولهذا يوجد في كثير من الدول الفحص عن طريق بصمة العين، وكما أنه يوجد الآن تليفونات تفتح عن طريق بصمة الأصابع يوجد في بعض الدول أقفال تفتح عن طريق بصمة العين.

وأما الشبكية في العين فهي أيضا من معجزات الله الكبرى، حيث يوجد فيها في المليمتر المربع ما يقارب من مائة مليون مستقبل ضوئي من أجل دقة ووضوح الرؤيا، ويخرج من العين إلى الدماغ عصب بصري يحوي خمسمائة ألف ليف عصبي.

ومن قدرة الله تعالى وحكمته أن جعل العين تدمع طيلة الوقت على مدار أربعة وعشرين ساعة، فالغدة الدمعية تقع فوق العينين وتفرز الدمع بواسطة سبع إلى عشر قنوات صغيرة فيسيل الدمع على العينين قبل أن ينتقل إلى الجيب الدمعي ومنه إلى القناة الأنفية.

وللدموع في وسط العين فوائد كثيرة، فهي سائل مالح الطعم قلوي الخصائص ينظف العين ويرطبها ويساعد على غسل وقتل البكتيريا، كما يسهم

في تغذية القرنية وحماتها حيث يحتوي الدمع على إنزيم مطهر، ومن عظيم لطف الله سبحانه أننا لا نشعر بهذه العملية ولا نحس بها، ونشعر بها في حالة واحدة إذا زادت كمية الدمع لمؤثر خارجي فلا تستوعبها المصارف فتنزّل الدموع في هذه الحالة على الخد نظراً لامتلاء هذه المصارف.

وانظروا إخواني إلى دقة تعبير القرآن عند خروج الدموع من الإنسان، قال
جَلَّ وَعَلَا: ﴿تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا
فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (1).

والفيضان لا يكون إلا بعد امتلاء شيء ما، وماء العين يتكون من مادة مضادة للتجميد مهما بلغ البرد حتى لو كان في القطب المتجمد.

فسبحان الله العظيم في قدرته، الحكيم في خلقه، الكريم في عطائه، الجميل في
كلامه، لا إله غيره ولا رب سواه، سبحانه لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت
على نفسك، سبحانه عدد خلقك ورضا نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك:

يا من له وَجِبَ الكَمَالُ بذاتِهِ	فَالْكَوْلُ غَايَةٌ فَوَزِهِمْ لُقْيَاهُ
أنت الذي لَمَاتَعَالَى جَدُّهُ	قَصُرَتْ خُطَا الأَلْبَابِ دُونَ حِمَاهُ
أنت الذي امتلأَ الوجودُ بِحَمْدِهِ	لَمَّا غَدَا مَلَأَنَ مِنْ نِعْمَاهُ
أنت الذي خَلَقَ الوجودَ بِأَسْرِهِ	مِنْ بَيْنِ أَعْلَاهُ إِلَى أَدْنَاهُ
أنت الذي خَصَّصْتَنَا بِوَجُودِنَا	أَنْتَ الَّذِي عَرَّفْتَنَا مَعْنَاهُ

سُبْحَانَ مَنْ مَلَأَ الْوُجُودَ أَدْلَةً لِيُؤَوِّحَ مَا أَخْفَى بِمَا أَبْدَاهُ
سُبْحَانَ مَنْ أَحْيَا قُلُوبَ عِبَادِهِ بِلِوَائِحٍ مِنْ فَيْضِ نَوْرِ هُدَاهُ
هَلْ بَعْدَ مَعْرِفَةِ الْإِلَهِ زِيَادَةٌ إِلَّا اسْتِدَامَةٌ مَا يُؤَدِّمُ رِضَاهُ
وَاللَّهُ لَا أَوْيَ لَغَيْرِكَ إِنَّهُ حُرِّمَ الْهُدَى مَنْ لَمْ تَكُنْ مَا وَاهُ
مَوْلَايَ أَنْسُكَ لَمْ يَدْعُ لِي وَخَشَةَ إِلَّا مَحَا ظُلْمَاءَهَا بِسِنَاهُ
مَوْلَايَ جُودُكَ لَمْ يَدْعُ لِي مَطْلَبًا إِلَّا وَتَمَمَّهِ إِلَى أَقْصَاهُ
لَمْ يَنْقَطِعْ أَحَدٌ إِلَيْكَ مَحَبَّةً إِلَّا وَأَصْبَحَ حَامِدًا عَقْبَاهُ
عَجَزَ الْأَنَامُ مِنْ إِمْتِدَاحِكَ إِنَّهُ تَتَضَاءَلُ الْأَفْكَارُ دُونَ مَدَاهُ
مَنْ كَانَ يَعْرِفُ أَنَّكَ الْحَقُّ الَّذِي بَهَرَ الْعُقُولَ فَحَسْبُهُ وَكَفَّاهُ⁽¹⁾

اللهم ارزقنا شكر نعمك الظاهرة والباطنة واحفظها بفضلك من الزوال
والنقصان، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور
الرحيم.

(1) الأبيات من قصيدة للخزرجي ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة (3/ 361).

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وأشهد أن لا إله إلا الله العلي العظيم، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أفضل الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين. **أما بعد:**

أيها المؤمنون: وعودة إلى عظمة الله في خلق العين والتأمل فيها، فمن عظمة الله في خلق العين أن زودها بالجفون العلوية والسفلية، وهي مثل الستائر المتحركة تكون مفتوحة لتسمح للعين بالرؤيا، ولكنها تغلق عند وجود أي خطر حماية للعين، وقد زود الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الجفون بعضلات تسمح لها بأن تظل مفتوحة طيلة الوقت دون إرهاق، كما أنها تغلق في أوقات منتظمة معا لتنظيف القرنية ولإعادة توزيع الدموع على سطحها لتمنع العين من الجفاف، وفي الجفون الرموش التي تعمل على حماية العين لمنع دخول الأتربة وغيرها.

ومن الإعجاز في هذه الرموش أن لها طولاً محددا لا يتجاوز فإذا حلق الإنسان مثلا شعر رأسه فإنه ينمو ولا يقف هذا النمو عند حد، بخلاف رموش العين فلو حلقها الإنسان فإنه عند نموه يعود إلى حد معين ويتوقف هذا النمو، لأن له مهمة واحدة محددة وهي حماية العين في طول محدد: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَّ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾⁽¹⁾.

(1) [النمل: 88].

إخواني: العين من أعظم نعم الله في الإنسان، ولهذا كان فقدها عظيماً والأجر على ذلك كبيراً إذا صبر الإنسان على ذلك. **فَعَن** أنس بن مالك **رَوَى اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنِ اللَّهُ يَقُولُ: «إِذَا أَخَذْتُ كَرِيمَتِي عَبْدِي فِي الدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ جَزَاءٌ عِنْدِي إِلَّا الْجَنَّةُ» (1). **وفي صحيح البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ** **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتِهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ يُرِيدُ عَيْنَهُ» (2).

فانظروا إخواني كيف سماها كريمة، وسماها حبيبة، فإذا كانت العين كذلك وجب استخدامها فيما يرضي الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فاحفظ عينيك عما حرم الله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا أْفُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (3).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (4).

فالتحديق بالبصر فيما يجلب الفتنة والشهوة شيء يتنافى مع شكر هذه النعمة العظيمة، **وفي الحديث عن** أبي أمامة **رَوَى اللَّهُ عَنْهُ**، عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة أول مرة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها» (5).

(1) سنن الترمذي (2400).

(2) صحيح البخاري (5653).

(3) [النور: 30].

(4) [الإسراء: 36].

(5) مسند أحمد (22278).

من أراد أن يستشعر عظمة هذه النعمة فليغمض عينيه، ومن أراد أن يعرف هذه النعمة التي حرمها غيره فأصبح كيفما فليغمض عينيه، ومن دعت نفسه للنظر إلى الحرام فليتذكر أن هناك أناسا يريدون أن تكون لهم هذه النعمة وقد حُرِّموا منها.

وفي الأخير: فإن أعظم ما يدعو المرء إلى التفكير في خلق الإنسان ما جاء في القرآن الكريم عن مراحل خلقه وتصويره، لا سيما وقد شهد العصر الحديث من الاكتشافات والأسرار في خلق الإنسان ما يدعو إلى زيادة الإيمان بعظيم قدرة الله تعالى وبديع صنعه.

وإن المتأمل لخلقهِ ابتداءً وانتهاءً، **والناظر** فيما اختصه الله به من عقل وإرادة، يدرك أنه إنما خُلِقَ لأمر عظيم، **قال قتادة رَحِمَهُ اللهُ** عن قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ قَالَ: «مَنْ تَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ عَرَفَ أَنَّهَا لِيَتَّ مَفَاصِلُهُ لِلْعِبَادَةِ»⁽¹⁾.

تبارك الله كم في الكون من عَجَبٍ في البرِّ والبحرِّ والأفلاكِ والشهب
تبارك الله لا تُحْصَى خَلَاتِقُهُ وكلُّ آيَةٍ تدعو إلى العَجَبِ⁽²⁾

اللهم ارزقنا التفكير الذي يقربنا إليك ويسعدنا في حياتنا ويوم القدوم عليك. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(1) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (1/ 233).

(2) تعظيم الله جل جلاله «تأملات وقصائد» (ص 262).



الأذان

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي شرع الشرائع والأحكام، وجعل الأذان شعيرة ظاهرة من شعائر الإسلام، وبين لعباده الحكم والأحكام، والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد الأنام، وعلى آله وصحبه أجمعين فهم البررة الكرام.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله حق تقواه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (1).

أيها المؤمنون عباد الله: نتكلم اليوم عن أمر عظيم وعبادة جليلة وألفاظ جميلة، تتكرر على مسامعنا كل يوم في البلدان الإسلامية وغير الإسلامية، إنه الأذان الذي نسمعه في حياتنا بشكل متكرر أكثر من أي شيء آخر، يعرف نداءه كل مسلم، ويحفظ كلماته حتى أطفال المسلمين وصبيانهم.

الأذان من شعائر الإسلام العظيمة، وعبادة من العبادات الجليلة، أمر الله به عباده المسلمين وفرضه عليهم في السنة الأولى من الهجرة النبوية.

(1) [آل عمران: 102].

وهو كرامة لهذه الأمة، لأن الأمم التي قبلنا كانت صلواتهم ينادى بها بأصوات خرساء وأشياء صماء، لا ألفاظ ولا كلمات تحتويها، وإنما هي طقوس عادية، فاليهود كان لهم النفخ في البوق، والنصارى الضرب على الناقوس، والمجوس يشعلون النيران.

أيها المؤمنون: إن للأذان معاني عظيمة ودلالات سامية، تحمل ألفاظه مقاصد كبيرة تهدف إلى التركيز على أصول الإسلام الكبرى وحقائقه العظمى.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللهُ وغيره: "الأذان على قلة ألفاظه مشتمل على مسائل العقيدة لأنه بدأ بالأكبرية، وهي تتضمن وجود الله وكماله، ثم نثى بالتوحيد ونفى الشرك، ثم يثبت الرسالة لمحمد صلى الله عليه وسلم، ثم دعا إلى الطاعة المخصوصة عقب الشهادة بالرسالة لأنها لا تعرف إلا من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم دعا إلى الفلاح وهو البقاء الدائم وفيه الإشارة إلى المعاد، ثم أعاد ما أعاد توكيداً ويحصل من الأذان الإعلام بدخول الوقت والدعاء إلى الجماعة وإظهار شعائر الإسلام والحكمة في اختيار القول له دون الفعل سهولة القول وتيسره لكل أحد في كل زمان ومكان⁽¹⁾.

ولما كانت الصلاة من أعظم شعائر الإيمان كان من أعظم شعائرها الأذان، وإليك أخي المؤمن هذه الألفاظ.

الله أكبر: فبد الأذان بهذا اللفظ الشريف (الله) الدال على جميع صفات

(1) فتح الباري (2/77).

الكمال ونعوت الجلال لله تعالى، وهو مشتمل على الأسماء الحسنى والصفات العليا، وهو أكبر من أن يشرك به، أو يذكر بغير المدح والتمجيد، والثناء الحسن سبحانه ما أعظمه:

سبحان من سبَّحته الشهبُ والفلكُ
والشمسُ والبدرُ والإصباحُ والحلكُ
واللَّوحُ والقلمُ العلويُّ سبَّحهُ
والروحُ والعرشُ والكرسيُّ والملكُ
والإنسُ والجنُّ ما زالت تسبَّحه
والوحشُ في بيدها والطيْرُ والسَّمكُ
ربُّ تقدَّس في سلطانهِ وعلا
وجلَّ عن كلِّ ما قد قال مؤتفك⁽¹⁾

قال بعض أهل العلم: ولما كان المشركون يشركون به سبحانه، ويتعبدون بسواه، كان أنسب الأمور البداءة بالتنبيه على تفرده بالكبرياء، وتوحيده بالعلا، فقال بادئاً بالاسم الأعظم، الدال على الذات، المستجمع لجميع الكمالات: «الله» أي الملك الذي لا كفاء له ولا سمي، ولا ضد ولا نظير⁽²⁾.

ومن استشعر هذه الكلمة العظيمة (الله أكبر) بادر إلى طاعة الرب سبحانه، وأسرع إلى ما أمره الله من الصلاة في وقتها حيث ينادى لها، فإذا كان الله في قلبك أكبر من كل شيء فسوف تبادر إلى الله أول سماعك لهذه الكلمة، وإذا كان تعظيم الله في قلبك ضعيفا سوف تتشاغل عن الصلاة حتى يذهب كثير من وقتها أو تخرج عن وقتها.

(1) تسييح ومناجاة (ص 144).

(2) سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد (3/355).

قال العلماء: التكبير هو تعظيم الربَّ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** وإجلاله، واعتقاد أنه لا شيء أكبر ولا أعظم منه، فيصغر دون جلاله كلُّ كبير، فهو الذي خضعت له الرقاب وذلت له الجبابرة، وعنت له الوجوه، وقهر كلُّ شيء، ودانت له الخلائق، وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه وعظمته وعلوه وقدرته الأشياء، واستكانت وتضاءلت بين يديه وتحت حكمه وقهره المخلوقات.

قال العلامة النسفي رَحِمَهُ اللهُ في قوله تعالى: ﴿وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا﴾: أي: عظمه تعظيمًا حقًا، والمصدر للتأكيد والتحقيق؛ أي: حتى لا يكون في قلبك شيءٌ أعظم منه ولا أهيَب. وقيل: أي: قل بلسانك: الله أكبر، وفي قلبك تحقيق ذلك.

وقيل: أي: كبره عن كلِّ ما لا يجوز في وصفه، وقيل: أي: صِفَه بأنه أكبر من كلِّ شيء، القادر الذي لا يُعجزه شيء، العالم الذي لا يخفى عليه شيء، الغني عن كلِّ شيء، معتقدًا له بقلبك، عاملاً عليه فيما يلزمك⁽¹⁾.

فمن استشعر هذا الأمر في قلبه وتأمل هذه الكلمة العظيمة (الله أكبر) وجد لذة عجيبة وراحة كبيرة وسعادة عميمة، خصوصاً إن استشعر ذلك حال كونه يكبر تكبيرة الإحرام وتكبيرات الصلاة، حتى قال العلماء: إن الدِّينَ كُلَّهُ يُعَدُّ تفصيلاً لكلمة (الله أكبر) فالمسلم يقوم بالطاعات جميعها والعبادات كلها تكبيراً لله وتعظيمًا لشأنه وقيامًا بحقه سبحانه، وهذا ممَّا يبيِّن عظمة هذه الكلمة وجلالة قدرها، ولهذا يروى عن عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** أنه قال: "قول

(1) تفسير النسفي (9/495).

العبد: الله أكبر، خيرٌ من الدنيا وما فيها"⁽¹⁾، فالله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

ويظهر تعظيم الله في شدة المحافظة على امتثال أمره واجتناب نهيه والمسارة إلى كل ما يرضيه.

الله أكبر في المآذن دعوة في كل محرابٍ لها تردد⁽²⁾

(أشهد أن لا إله إلا الله): كلمة التوحيد العظيمة، أي لا معبود بحق إلا الله، فهو الواحد في ربوبيته الواحد في ألوهيته الواحد في أسمائه وصفاته.

هذه هي كلمة التوحيد العظيمة، وقد وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم الكلمة المذكورة في الحديث أنها أفضل ما قاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأفضل ما قاله جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام قبله كما في الحديث الآخر: (أفضل ما قلتُ أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له)⁽³⁾. وهذا يدل على شرفها وفضلها، وأنه ينبغي على المسلم الحرص على أن يكون لسانه لهجاً بها، مردداً لها، مستشعراً لمعانيها.

وهي أعظم الكلمات، ولها فضائل وخصائص وأسرار، ومن لطيف أسرارها ما ذكره العلامة أبو البقاء الدميري الشافعي في كتابه (النجم الوهاج في

(1) أورده الثعلبي في تفسيره (512 / 16).

(2) منقول.

(3) رواه مالك في الموطأ (63 / 2).

شرح المنهاج) ونقله العلامة الخطيب الشربيني **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي** (مغني المحتاج) (1)
فقال **رَحْمَةُ اللَّهِ:**

في كلمة لا إله إلا الله أسرار:

منها: أن جميع حروفها جوفية ليس فيها حرف شفهي، إشارة إلى الإتيان بها من خالص الجوف، وهو القلب: أي: ويدل لذلك قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا مخلصا من قلبه» (2).

ومنها: أنه ليس فيها حرف معجم (منقوطة) إشارة إلى التجرد من كل معبود سواه: أي: ويدل لذلك قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أتاني جبريل فبشرني أن من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة» (3).

ومنها: أنها اثنا عشر حرفا كشهور السنة، منها أربعة حرم: وهي الجلالة حرف فرد، وثلاثة سرد، وهي أفضل كلماتها كما أن الحُرْم أفضل السنة، فمن قالها مخلصا كفرت عنه ذنوب سنة: أي: كما روي عن بعض السلف.

ومنها: أن الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة، وهي ومحمد رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أربعة وعشرون حرفا، كل حرف منها يكفر ذنوب ساعة.

وقد يكون هذا العدد إشارة إلى أنه لن تمر ساعة من الساعات في الدنيا إلا وذكر الله ورسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فيها.

(1) مغني المحتاج (94 / 1).

(2) رواه البخاري (99).

(3) السنن الكبرى للبيهقي (319 / 10).

(أشهد أن محمدا رسول الله):

ثم حَسُنَ إِتْبَاعُ الشَّهَادَةِ بِأَخْتِهَا وَهِيَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ؛ لِأَنَّهَا لَا تَقْبَلُ إِلَّا بِهَذِهِ، لِلْإِعْلَامِ بِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَابُ اللَّهِ الَّذِي مِنْهُ الدَّخُولُ عَلَيْهِ، وَالطَّرِيقُ الَّذِي مِنْهُ الْوَصُولُ إِلَيْهِ.

وَأَنْتَ بَابُ اللَّهِ، أَيَّ امْرِيٍّ وَافَاهُ مِنْ غَيْرِكَ لَا يَدْخُلُ⁽¹⁾
وَضَمَّ الْإِلَهَ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُوَدَّنِ أَشْهَدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيَجْلَهُ فَذُو الْعَرْشِ مُحَمَّدٌ، وَهَذَا مُحَمَّدٌ⁽²⁾

وَفِي هَذَا إِظْهَارٌ لَشَرَفِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَإِغَاظَةٌ لِمَنْ لَمْ يَقْبَلْ دَعْوَتَهُ، وَإِعْلَانٌ لِدِينِهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَتَذْكَيرٌ بِمَحَبَّتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾⁽³⁾.

وَمَعْنَى أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ لَا مَتَّبِعُ بِحَقِّ إِلَّا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهَمَّ مَتَابِعُونَ لَهُ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَهَدْيِهِ، تَعْبُدُوا اللَّهَ تَعَالَى، وَاتَّبَاعَا لِسُنَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إِنَّ الْمَتَّبِعِينَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَدَقٍ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ تَعْبُدُوا اللَّهَ تَعَالَى: هُمْ أَشْرَحُ النَّاسِ صُدْرًا، وَأَهْنَأُهُمْ عَيْشًا، وَأَسْعِدُهُمْ حَيَاةً، وَأَثْبَتُهُمْ قَلْبًا، وَأَسْلَمَهُمْ ضَمِيرًا، وَلَوْ أَصَابَهُمْ مِنَ الْمُحَنِّ وَالْإِبْتِلَاءِ مَا أَصَابَهُمْ.

(1) دَرَّةُ الْحِجَالِ فِي أَسْمَاءِ الرِّجَالِ (2/ 228).

(2) دِيوَانُ حَسَانٍ (ص 42).

(3) [الأحزاب: 56].

قدوتهم من أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، ومن الضلال والغبي والعمى إلى الرشد والهدى.

يصلون كصلاته، ويذكرون الله بطريقة ذكره، ويهتدون بهديه، ليس لهم أقوال غريبة في أذكارهم، ولا طرقا من الرقص وهز الرؤوس في أذكارهم، وليس لهم أولياء مزعومين يعلمون الغيب، ويتحكمون في الكون كما تزعمه بعض الفرق الضالة.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، والصلاة والسلام على نبينا محمد الداعي إلى رضوانه، وعلى آله وأصحابه وإخوانه. **أما بعد:**

أيها المؤمنون: ومن أَلْفَاظِ الأَذَانِ: (حي على الصلاة):

بعد أن تخلى القلب عما سوى الله سبحانه بالعلم بأنه الأكبر، والشهادة له بالألوهية وحده وأنه الواجب أن يعبد بحق، ثم الشهادة لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرسالة؛ لأنه الهادي إلى الصراط المستقيم والمعلم للخلق كل خُلُقٍ كريم لم يبق للعبد عذر عن طاعة الله وطاعة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَحَسُنَ حينئذ النداء للصلاة ب(حي على الصلاة) أي: هلموا وأقبلوا على الصلاة.

وإذا كان هذا أمراً من الله فكيف يليق بعاقل أن يتساهل في امتثال هذا الأمر العظيم، ويؤثر غيره عليه أو يتكاسل عن النهوض لأداء ما وجب عليه، فالعاقل لا يشغله عن إجابة هذا النداء شاغل من أشغال الدنيا كلها، قال تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ﴾⁽¹⁾.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: والأمر بالاستباق إلى الخيرات قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات، فإن الاستباق إليها، يتضمن فعلها، وتكميلها،

(1) [البقرة: 148].

وإيقاعها على أكمل الأحوال، والمبادرة إليها، ومن سبق في الدنيا إلى الخيرات، فهو السابق في الآخرة إلى الجنات، فالسابقون أعلى الخلق درجة، والخيرات تشمل جميع الفرائض والنوافل⁽¹⁾.

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: "ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه"⁽²⁾.

قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: التهجير: التبكير إلى كل شيء، والمبادرة إليه⁽³⁾.

قال عدي بن حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء، وقال: ما جاء وقت الصلاة قط إلا وقد أخذت لها أهبتها، وما جاءت إلا وأنا إليها بالأشواق⁽⁴⁾.

(حي على الفلاح):

وبعد الأمر بالإقبال على الصلاة وتكراره للتأكيد شرع في ترغيبه بقوله: (حي على الفلاح) أي: هلموا وأقبلوا على ما به فلاحكم، والصلاة هي سبب الفلاح، ومفتاح النجاح، وبها ينال العبد ما يروم، ويبلغ ما يتمناه من الحي القيوم.

والفلاح: هو الفوز والنجاح والبقاء في الخير، والصلاة هي سببه الأعظم

(1) تيسير الكريم الرحمن (ص73).

(2) صحيح البخاري (615).

(3) النهاية في غريب الحديث والأثر (5/246).

(4) مختصر تاريخ دمشق (16/300).

وأصله المعظم، فمن أراد السعادة في حياته والتوفيق في أموره والراحة والطمأنينة فعليه بالمحافظة على الصلاة، وليحذر من كل ما يشغله عنها من بيع أو شراء أو أصدقاء أو نوم أو غير ذلك، فهي فلاح عظيم في الدنيا والآخرة.

قال العلماء: وليس في كلام العرب كلمة أجمع للخير من لفظة (الفلاح) فمعنى حيّ على الفلاح: أي تعالوا إلى سبب الفوز، والبقاء في الجنة، والخلود في النعيم.

وفي قوله: (حي على الفلاح) من الترغيب إلى الصلاة ما لا يخفى حسنه، كأنه يقول: هلم إلى ما به الفوز والنجاح في الدنيا والآخرة.

ولما قال المؤذن: حي على الصلاة حي على الفلاح، وعلم السامع أن الأمر عظيم والخطاب جسيم، وأنه يدعو إلى البدار إلى خطاب الملك الجبار، والقيام بين يدي ملك الأملاك ومدبر الأفلاك الذي خلقه في أحسن تقويم، وخصه بإحسانه العميم لما علم ذلك وتيقن أنه لا يقدر على ذلك إلا بهداية التوفيق، والتوفيق من الله، حسن أن يقول عند أمره بالقيام لمناجاته: لا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الطيبي رَحْمَةُ اللَّهِ: معنى (حي على الصلاة حي على الفلاح): أي أقبل بوجهك وسريرتك إلى الهدى عاجلا والفوز بالنعيم آجلا، فناسب أن يقول: هذا أمر عظيم لا أستطيع مع ضعفي القيام به إلا إذا وفقني الله بحوله وقوته، فتقول عند سماع هاتين الكلمتين: لا حول ولا قوة إلا بالله، فأنا مستعين بالله على فعل هذه الطاعة العظيمة الكبيرة.

ثم يقول المؤذن: الله أكبر الله أكبر، تذكيرا بعظمة الله وكبريائه، كما بدأ بها.

ثم يقول: لا إله إلا الله:

ولما كان سبحانه هو الأول والآخر، ومنه البداية وإليه النهاية ختم هذا العقد الفريد بلفظ: لا إله إلا الله الذي قامت به السموات والأرض، فكان ابتداء الأذان بلفظ الجلالة (الله أكبر) وختمه أيضا بلفظ الجلال (لا إله إلا الله).

وفي حُسنِ الختام بها التفاؤل بأن يكون آخر كلام المبادر لهذه العبادة هو كلمة التوحيد عند الممات لا إله إلا الله.

أحبتني المسلمون: إن كلمات الأذان اعتراف للعظيم بعظمته وتوحيده، وإعلان هذه العظمة ليسمعها كل موجود، ويردها المسلمون لتتأكد في أذهانهم معانيها العميقة، ويشاركون المؤذن فضلها حين يسمعون هذا النداء الذي تهفو لإجابته القلوب السليمة، وتنفر منه القلوب السقيمة، وعلى رأسها الشيطان، ثم يذكرون الرسول العظيم صلى الله عليه وآله وسلم - بعد الفراغ منه - بالدعاء له وفق ما بينه لأتمته صلى الله عليه وآله وسلم.

فما أجملها من كلمات، وما أعظمها من ألفاظ، وما أحسن ما تحمله من المعاني لمن تأمل فيها وتدبرها، وقد أسلم أناس حين سمعوا النداء بالأذان وما ذاك إلا لعظمة هذه الألفاظ وقوة أثرها، وهو شعار المسلمين، وقد جاء في فضل قول كلماته بعد المؤذن أحاديث كثيرة لعل الله ييسر ذكرها في خطبة آتية.

اللهم نور قلوبنا بنور الإيمان، وثبتنا على قولك الثابت في الحياة الدنيا، وفي الآخرة، واجعلنا هداة مهتدين وتوفنا مسلمين وألحقنا بعبادك الصالحين.



الطهارة

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾⁽¹⁾، **وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل:** ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾⁽²⁾، **وأشهد أن محمدا عبده ورسوله القائل كما في صحيح مسلم:** "الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيْمَانِ"⁽³⁾ صلى الله عليه وسلم وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله حق التقوى، فهي وصية الله للأولين والآخرين ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾⁽⁴⁾.

أيها المؤمنون: إن الشريعة الإسلامية سامية في تشريعاتها، كاملة في أحكامها، مكتملة في عباداتها، وقد ربطت الشريعة الإسلامية كثيرا من العبادات البدنية بالطهارة الروحية، والنظافة القلبية، والتطهيرات النفسية.

(1) [البقرة: 222].

(2) [التوبة: 108].

(3) صحيح مسلم (223).

(4) [النساء: 131].

إن الشريعة الإسلامية كان من أهم أهدافها العناية بطهارة الإنسان وتخليصه من الأقدار الحسية والمعنوية في الباطن والظاهر، وإعداده الإعداد الروحي الذي يؤهله ويسمو به في آفاق مشرقة، من الجلال والبهاء والكمال، وقد شرع الإسلام الوضوء والغسل ليكون مظهرًا دالاً على طهارة الظاهر، كما دعا إلى اجتناب المعاصي والآثام ليكون عنواناً على طهارة الباطن، فالوضوء والغسل من مقاصدهما النظافة، وهي طهارة حسية تُعوِّد الإنسان على حياة الطهر في النفس، وتجعله يعتاد النظافة في شؤون حياته وفي بدنه وملبسه ومطعمه، وقد حض الإسلام على ذلك لأنه دين النظافة ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾⁽¹⁾، وطهارة الظاهر جزء من طهارة الباطن.

ولا عجب أن تعنى الشريعة الغراء بطهارة الإنسان، فإن (الطهور شرط الإيمان) **كما قال عليه الصلاة والسلام**⁽²⁾، وقد بين جل ثناؤه هذه الأحكام في ختام آية الوضوء والغسل والتيمم، **فقال جلّ وعلا**: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾⁽³⁾.

ونحن اليوم نريد أن نتأمل كيف يمكن الترابط بين هذه العبادة البدنية الظاهرة مع العبادة القلبية الباطنة؛ لأن الأجر الواردة التي يحصل عليها المسلم في هذه العبادة التي هي الطهارة الظاهرة ستكون بحسب استظهاره لهذه

(1) [المدثر:4].

(2) صحيح مسلم (223).

(3) [المائدة:6].

التأملات وتفكره في هذه الأعمال، وليست هي مجرد قطرات ماء على هذه الأعضاء.

أيها المؤمنون: تأملوا معي قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾⁽¹⁾.

إن محبة الله أعظم ما يسعى إليها الصادقون وأكبر ما يطلبها المتعبدون، فهل تظن أخي المسلم أن هذه المحبة العظيمة والمنة الكريمة تُنال فقط بطهارة ظاهره من الحدث سواء الحدث الأصغر كالوضوء أو الأكبر كالجنابة والحوض والنفاس؟ كلا.

وذلك لأن الإسلام دين الطهارة الظاهرة والباطنة معاً، وطهارة الظاهر فرع وطهارة الباطن أصل، وطهارة الظاهر شرط لصحة الصلاة كما أن طهارة الباطن شرط لدخول الجنة: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾⁽²⁾.

وهما جميعاً سبب لمحبة الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

قال العلامة السعدي: أي: المتنزهين عن الآثام، وهذا يشمل التطهر الحسي من الأنجاس والأحداث. ففيه مشروعية الطهارة مطلقاً، لأن الله يحب المتصف بها، ولهذا كانت الطهارة مطلقاً، شرطاً لصحة الصلاة والطواف،

(1) [البقرة: 222].

(2) [الشعراء: 88، 89].

وجواز مس المصحف، ويشمل التطهر المعنوي عن الأخلاق الرذيلة، والصفات القبيحة، والأفعال الخسيسة⁽¹⁾.

فما أعظم الطهارة الباطنة، وما أحوجنا إليها جميعاً وإلى الاهتمام بها وإلى المسارعة إليها والبحث للوصول إليها.

فإذا تأملت أيها المقبل على هذه الطهارة ورسخ ذلك في قلبك وذهنك فتذكر بعد ذلك وأنت تنوي الوضوء أنك تستعد لتلقي الفيض الإلهي وتتهيأ للنجوى السامية القدسية، فإذا ذكرت ذلك علمت أنه خَلِيقُكَ أَلا تقف بين يديه إلا بعد أن تتطهر من كل سيئة تخالط قلبك، وكل معصية تدعو إليها نفسك، فتتخلى عن كل ما في قلبك من كبرياء وما في نفسك من حقد وبغضاء، وبذلك يتوضأ قلبك الذي ينظر الله إليه، ثم إذا انتقلت إلى المضمضة والاستنشاق فتذكر حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واجعله بين عينيك وفي فؤادك، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ فَمَضَمَضَ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ فِيهِ، فَإِذَا اسْتَنْشَرَ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ أَنْفِهِ، فَإِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ وَجْهِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَشْفَارِ عَيْنَيْهِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ يَدَيْهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِ يَدَيْهِ، فَإِذَا مَسَحَ بِرَأْسِهِ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ رَأْسِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ أُذُنَيْهِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ رِجْلَيْهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِ رِجْلَيْهِ، ثُمَّ كَانَ مَشِيئُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَصَلَاتُهُ نَافِلَةً لَهُ»⁽²⁾.

(1) تيسير الكريم الرحمن (ص 100).

(2) سنن النسائي (74/1) (103).

فإذا تأملت الفضل العظيم والأجر الكبير في هذا الحديث النبوي، ووضعت الماء في فمك للمضمضة فتذكر أن لسانك ربما اقترف الكذب أو حصل منه سبٌ وشتم أو قذف وغيبة ونميمة وهتان، أو قال منكرا من القول وزورا، فإذا وقع منك شيء من ذلك فاعزم هنا على التوبة والإنابة، وإذا غسلت وجهك فتذكر أن جوارحك التي يحملها هذا الوجه ربما قارفت بعض الآثام، فالعين ربما نظرت إلى المحرمات، والأذن ربما سمعت الأغنيات والغيبة وغير ذلك، والعين ربما شاهدت المسلسلات والمحرمات، فجدد بك وأنت تغسل وجهك المقبل على الله الممثل لأمر الله في هذه العبادة الظاهرة أن تعزم على التوبة من هذه الآثام الباطنة، وتذكر إذا غسلت وجهك أنها خرجت خطاياها حتى تخرج من أشفار عينيه.

ثم تذكر أخي المسلم وأنت تغسل يديك أنك ربما مددتها إلى مآثم أو لعلك بسطتهما بالسوء على إخوانك المؤمنين، فطهرهما مع هذه الطهارة الظاهرة بالطهارة الروحية الباطنة بالتوبة والإنابة، ثم تذكر وأنت تمسح رأسك أنك ربما تكبرت على المسلمين بنسب أو جاه أو قبيلة أو منصب أو علم أو شهادة، ثم تذكر أن هذه الأمور تكون سببا لحرمانك من الاستمتاع بالظل الظليل في اليوم العصيب العبوس القمطير، يوم تدنو الشمس من الرؤوس، وأن الله سَيُظِلُّ قوما في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وأنت لن تدرك هذا المقام ما لم تتب من هذه الآثام توبة صادقة بل ربما إن استمررت على هذا الكبر والغرور قد تداس بالأقدام يوم القيامة لأن الجزاء من جنس العمل؛ لأن المتكبرين

يحشرون يوم القيامة كالذر يطوهم الناس بأقدامهم كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم (1).

وتذكر وأنت تمسح أذنك ربما أصغيت إلى الغيبة والنميمة أو استمعت إلى الباطل، فطهرهما من هذه الذنوب بصدق التوبة، وقد تقع منهما ذنوب تكون سببا في صب الآتك وهو الرصاص المذاب عليهما يوم القيامة، قال صلى الله عليه وسلم: " وَمَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، أَوْ يَفِرُّونَ مِنْهُ، صَبَّ فِي أُذُنِهِ الْأُنْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (2).

وتذكر وأنت تغسل قدميك أنك ربما سعت ومشيت بهما إلى باطل أو مشيت بهما إلى ذنوب ومعاصي، أو تقاعست بهما عن الذهاب إلى الطاعات والخيرات مع إسراعك بهما إلى اللهو والمنكرات، فطهر هذه الأقدام بالتوبة الصادقة والامتناع عن المشي إلى الأماكن التي فيها الحرام واللهو وغير ذلك.

فإنك إذا فعلت ذلك فقد توضأت روحك وطهرت ظاهرا وباطنا وهيأتها للوقوف بين يدي خالقها طاهرة نقية، وبهذا تحقق فيك **قول النبي** **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: " إِذَا تَوَضَّأَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ خَرَجَتْ ذُنُوبُهُ مِنْ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ، وَيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، فَإِنْ قَعَدَ قَعَدَ مَغْفُورًا لَهُ " (3)، **وقول النبي** صلى الله عليه وسلم: « مَا مِنْ امْرِئٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يُصَلِّي الصَّلَاةَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ »

(1) الأدب المفرد (557).

(2) البخاري (7042).

(3) مسند أحمد (22206).

الأخرى حتى يُصَلِّيَهَا»⁽¹⁾ **وقول النبي ﷺ**: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ
وُضوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ، مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، إِلَّا وَجِبَتْ لَهُ
الْجَنَّةُ»⁽²⁾.

ثم بعد التأمل في هذه الأمور تأمل قلبك هل هو طاهر من الحقد والحسد
والغل والفجور؛ لأن سلامة الصدر وطهارة القلب وسمو النفس عن الدنئات
والأحقاد والأنجاس والأرجاس سُلمٌ للوصول إلى الجنات، وحِصنٌ من
الوقوع في المنكرات والمخالفات، وحاجز عن إيذاء المسلمين والمسلمات.

إن المجتمع الذي زكت نفوس أهله، وطهرت قلوب أصحابه، ونظفت
أفئدة ساكنيه هو مجتمع الصفاء والإخاء، والطهارة والنقاء، هو مجتمع تسوده
الرحمة والألفة، والأخوة والمحبة، وهكذا هي العبادات النافعة متى تكامل
بعضها وارتبط ظاهرها بباطنها حل فيها النفع للفرد والمجتمع.

رزقنا الله وإياكم العبادة وحسنها، وجنبنا جميعا القلوب القاسية والنفوس
الخبیثة.

أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(1) سنن النسائي (146).

(2) صحيح مسلم (234).

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام، والصلاة والسلام على نبينا
ومحمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

أيها المؤمنون: وإليكم نماذج من سيرة السلف الصالح **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** حال
وضوئهم لنعلم الحال التي وصلوا إليها في التأمّلات السابقة التي ذكرناها.

عن عبد الرحمن بن حفص القرشي، قال: كان علي بن حسين بن علي بن
أبي طالب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** إذا توضأ اصْفَرَ، فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك عند
الوضوء؟ فيقول: تَدْرُونَ بَيْنَ يَدَيَّ مَنْ أُرِيدُ أَنْ أَقُومَ؟ ⁽¹⁾.

وقال أحمد بن إسحاق الحضرمي، حدثني شيخ من أهل واسط يُكْنَى أبا
سعيد، وكان جارا لمنصور بن زَادَانَ قال: رأيت منصورا توضأ فلما فرغ دمعت
عيناه، ثم جعل يبكي حتى ارتفع صوته، فقلت: رحمك الله مَا شَأْنُكَ؟ قال:
«وَأَيُّ شَيْءٍ أَعْظَمُ مِنْ شَأْنِي؟ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَقُومَ بَيْنَ يَدَيَّ مَنْ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا
نَوْمٌ» ⁽²⁾.

كان عطاء السُّلَيْمِيُّ إذا فرغ من طهوره ارتعد وانتفض، وبكى بكاء

(1) الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا (ص127).

(2) الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا (ص127).

شديدا. فقليل له في ذلك، فقال: «إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَتَقَدَّمَ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَقُومَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ»⁽¹⁾.

فملاحظة جلال مَنْ أمر بالوضوء، ومطالعة عظمت الله وكبريائه، وتذكر التهيؤ للقيام بين يديه ومناجاته، مع ملاحظة تقصير الإنسان في الطاعات أو وقوعه في الذنوب والمعاصي والمنكرات تجعل الإنسان يشعر بهذا الشعور الروحي، وهذا هو الوضوء النافع الذي يُطَهِّرُ الروح والجسد ويتنفع به الروح والجسد.

اللَّهُمَّ عَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي عُلُومِنَا وَأَعْمَالِنَا
وَأَعْمَارِنَا، وَأَصْلِحْ نِيَّاتِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

(1) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (6/218).



الخطبة الأولى

الحمد لله الذي جعل الصلاة أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي جعل الصلاة صلة بينه وبين خلقه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أفضل من صلى لله وقام، صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما تعاقب الليل والنهار، **أما بعد:**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾⁽¹⁾.

أيها المؤمنون: إن العظيم الرحيم، العليم الخبير، عظم شأن الصلاة تعظيما كبيرا، وقد تنزلت الآيات الكريمات بفضلها، وتنوعت الأحاديث الكثيرة بذكر فضائلها ومكانتها والتهديد من تركها أو التساهل في أدائها، وقد شرعها الله مباشرة على نبيه صلى الله عليه وسلم من غير واسطة في ليلة المعراج تمييزا لفضلها وتأكيذا لمكانتها.

أيها الناس: إن الصلاة عمود الدين وركن الإسلام الركين بعد الشهادتين، والصلاة مجلبة للرزق، حافظة للصحة، دافعة للأذى، مقوية للقلب، مفرحة

(1) [الحشر: 18].

للنفس، مذهبة للكسل، منشطة للجوارح، مغذية للروح، منورة للقلب، حافظة للنعمة، دافعة للنقمة، جالبة للبركة، مبعدة عن الشيطان، مقربة من الرحمن، وهي مقرونة بالفلاح، فكيف يفلح من لا يصلي، وإن راحة البال قصة جميلة لن يفهمها تارك الصلاة أو المتهاون بها، بدأت صفات المؤمنين بالصلاة وختمت بالصلاة لعظيم مكانتها كما في سورة المؤمنون والمعارج.

قال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ: فالصلاة قرّة عيون المحبين، وسرور أرواحهم، ولذة قلوبهم، وبهجة نفوسهم⁽¹⁾.

أيها المسلمون: إن من يترك الصلاة أو يتساهل فيها أو يتغافل عنها، أو ينشغل بحطام الدنيا عنها إن من يفعل ذلك فهو في خطر عظيم وذنب كبير وخطب جسيم.

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»⁽²⁾.

وعن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»⁽³⁾.

وقد كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يكتب إلى الآفاق: «إِنَّ مِنْ أَمْرِكُمْ

(1) طريق الهجرتين وباب السعادتين (2/ 666).

(2) صحيح مسلم (82).

(3) سنن الترمذي (2621).

عندي الصَّلَاة؛ فَمَنْ حَفِظَهَا حَفِظَ دِينَهُ، وَمَنْ ضَيَّعَهَا فَهُوَ لِمَا سِوَاهَا أَضْيَعُ،
وَلَا حِظَّ فِي الإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ» (1).

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَنْ لَمْ يَصِلْ فَلَا دِينَ لَهُ» (2).

وَفِي مُسْتَدْرِكِ الحَاكِمِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «كَانَ
أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَا يَرُونَ شَيْئًا مِنَ الأَعْمَالِ تَرَكَهُ كُفْرًا غَيْرَ الصَّلَاةِ» (3).

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ فَقَدْ كَفَرَ» (4).

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَنْ لَمْ يَصِلْ فَهُوَ كَافِرٌ» (5).

وَقَالَ عَبْدِ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَنْ لَمْ يُصَلِّ فَلَا دِينَ لَهُ» (6).

وَاللهُ عَزَّجَلَّ يَقُولُ: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا
الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا (59) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ (7).

(1) موطأ مالك (6).

(2) الإقناع لابن المنذر (2/690).

(3) مستدرک الحاکم (12)، وقد جاء عن عبدالله بن شقيق موقوفا عليه رواه الترمذي في سننه
(2622).

(4) تعظيم قدر الصلاة للمروزي (2/900).

(5) الإيمان لابن أبي شيبة (126).

(6) الإيمان لابن أبي شيبة (47).

(7) [مريم: 59، 60].

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: فُكِّلُ مُسْتَخِفٌّ بِالصَّلَاةِ مُسْتَهِينٌ بِهَا؛ فَهُوَ مُسْتَخِفٌّ بِالْإِسْلَامِ، مُسْتَهِينٌ بِهِ. وَإِنَّمَا حَظُّهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ عَلَى قَدْرِ حَظُّهُمْ مِنَ الصَّلَاةِ، وَرَغْبَتُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ عَلَى قَدْرِ رَغْبَتِهِمْ فِي الصَّلَاةِ.

فَاعْرِفْ نَفْسَكَ يَا عَبْدَ اللهِ، وَاحْذَرْ أَنْ تَلْقَى اللهُ وَلَا قَدْرَ لِلْإِسْلَامِ عِنْدَكَ؛ فَإِنَّ قَدْرَ الْإِسْلَامِ فِي قَلْبِكَ كَقَدْرِ الصَّلَاةِ فِي قَلْبِكَ" (1).

فيا تارك الصلاة ويا متهاونا بالصلاة ويا نائما عن صلاة الفجر ويا مضيعا لصلاة العصر أنت في خطر كبير وذنوب عظيم، فهل من توبة ورجوع إلى الله؟ يا منشغلا عن الصلاة بالمحلات التجارية والأعمال الدنيوية والمشاهدات التلفزيونية أنت في خطر كبير وذنوب عظيم؟ فهل من توبة ورجوع إلى الله؟

تأملوا جميعا في هذا الحديث الصحيح، عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه: «هل رأى أحد منكم من رؤيا» قال: فيقص عليه من شاء الله أن يقص، وإنه قال ذات غداة: «إنه أتاني الليلة آتيا، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالوا لي انطلق، وإنني انطلقت معهما، وإنا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه، فيتدهده الحجر ها هنا، فيتبع الحجر فيأخذه، فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى»

(1) الصلاة لابن القيم (ص 15).

قال: "قلت لهما: سبحان الله ما هذان؟ أما إنا سنخبرك، أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يُتَلَّغُ رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة"⁽¹⁾.

فانظر يا من تترك الصلاة ويامن تقصر في الصلاة عذاب الله على من نام عن الصلاة المكتوبة، مؤثراً للراحة والدعة فكان الجزاء من جنس العمل، فالمستمتع بالنوم أو بالنظر والسهر حتى تفوت الصلاة هو الرأس فيضرب ذلك الرأس حتى ينفلق، فلا حول ولا قوة إلا بالله واحمدوا الله أيها المصلون على ما أنعم الله به عليكم من المحافظة على هذه الصلوات.

أخي المسلم، يكفي في فضل الصلاة لمن تأملها أنها مناجاة بين الرب والعبد، وأنها اتصال بالملاء الأعلى، وليست هي مجرد حركات ينقرها بعض الناس نقر الغراب، يسرعون في أدائها وكأنهم في حلبات سباق لا يدري ماذا يقرأ.

أخي المسلم، قد يتساءل البعض قائلاً: إن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾⁽²⁾.

ف نجد من المصلين من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر والذنوب والمعاصي، فما هو السبب في ذلك؟

(1) صحيح البخاري (7047).

(2) [العنكبوت: 45].

والإجابة عن هذا التساؤل هو أننا نصلي بالأجساد بعيدا عن روح الصلاة ولبها وهو الخشوع، وبعيدا عن التأمل في عظمتها ومعانيها.

قال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ: ويستحيل حصول الخشوع مع العَجَلَة والنَّقْر قطعاً، بل لا يحصل الخشوع قطُّ إلا مع الطُّمَأْنِينَة، وكُلَّمَا زاد طُمَأْنِينَةً ازداد خشوعاً، وكُلَّمَا قَلَّ خشوعُهُ اشْتَدَّتْ عَجَلَتُهُ حتى تصير حركة بدنه بمنزلة العَبَث، الذي لا يصحبه خشوعٌ ولا إقبالٌ على العبوديَّة، ولا معرفة حقيقة العبوديَّة، فلن تكاد تجد ذكر الصلاة في موضعٍ من التَّنْزِيلِ إِلَّا مقروناً بإقامتها. فالمصلُّون في الناس قليلٌ، ومقيموا الصَّلَاةِ منهم أقلُّ القليل، كما قال عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** «الحاجُّ قليلٌ، والرَّكْب كثيرٌ»⁽¹⁾.

أسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع في الصلاة وإقامتها حق إقامتها، وأن يهدي المقصرين فيها، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(1) الصلاة (ص340).

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي جعل الصلاة قرّة عيون الموحدين، والصلاة والسلام على رسولنا الذي قال: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»⁽¹⁾، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه أجمعين،
أما بعد:

أيها المؤمنون: من أراد التلذذ في الصلاة حتى يصلي روحه وجسده فليتأمل في هذه الست الخصال التي هي من أهم الأسباب التي توصل إلى صلاة الروح وإلى نعيم الحياة وسعادة العيش وهي:

أولاً: حضور القلب، ومما يعين على حضوره في الصلاة استحضر عظمة الصلاة وأن تستحضر أن هذه قد تكون الصلاة هي آخر صلاة في حياتك.

فعن أبي أيوب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: يا رسول الله عَلَّمْنِي، وَأَوْجِزْ، قال: «إِذَا قَمَتَ فِي صَلَاتِكَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُودَعٍ»⁽²⁾. لَأَنَّ مَنْ اسْتَشَعَرَ أَنَّهُ مُودَعٌ بِصَلَاتِهِ، أَتَقَنَهَا عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهَا.

قال العلامة المناوي رَحِمَهُ اللهُ: أي صلاة من لا يرجع إليها أبداً، وذلك أن المصلي سائر إلى الله بقلبه فيودع هواه ودنياه وكل ما سواه⁽³⁾.

(1) مسند أحمد (12293).

(2) سنن ابن ماجه (4171).

(3) التيسير بشرح الجامع الصغير (1/122).

وقال العلامة السعدي رَحْمَةُ اللَّهِ: ومعلوم أن المودع، يجتهد اجتهاداً يبذل فيه كل وسعه. ولا يزال مستصحباً لهذه المعاني النافعة، والأسباب القوية، حتى يسهل عليه الأمر، ويتعود ذلك.

والصلاة على هذا الوجه: تنهى صاحبها عن كل خُلُقٍ رذيل، وتحثه على كل خلق جميل؛ لما تؤثره في نفسه من زيادة الإيمان، ونور القلب وسروره، ورغبته التامة في الخير⁽¹⁾.

ومما يعين على ذلك أيضا تذكر الموت، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أذْكَرَ الْمَوْتِ فِي صَلَاتِكَ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا ذَكَرَ الْمَوْتَ فِي صَلَاتِهِ لَحَرِيٌّ أَنْ يُحْسِنَ صَلَاتَهُ، وَصَلَّ صَلَاةَ رَجُلٍ لَا يَظُنُّ أَنَّه يُصَلِّي صَلَاةً غَيْرَهَا»⁽²⁾.

ثانيا: ومما يعين على الخشوع في الصلاة والتذنبها: التفهم، وهو أن يتفهم القلب معاني الألفاظ والحركات التي يفعلها في صلاته، من تكبير وقراءة وركوع وسجود وغيرها، ويكفي في ذلك أن تعرف أن الفاتحة مخاطبة بينك وبين الله، فتأمل فيها وتدبر معانيها.

ثالثا: التعظيم، وهذا يكون بمعرفة جلال الله وعظمته ومعرفة حقارة النفس وتقصيرها، فأنت إذا قلت: (الله أكبر) فتأمل فيها: الكبير في جلاله وعظمته وأسمائه وصفاته وكرمه إلى غير ذلك مما تحمله هذه الكلمة من المعاني العظيمة.

(1) بهجة قلوب الأبرار (ص 168).

(2) سلسلة الأحاديث الصحيحة (1421).

رابعاً: الهيبة، ويكون هذا بمعرفة قدرة الله وخلقته ومشيتته وحكمته.

خامساً: الرجاء، وهو أن تعرف لطف الله وكرمه وعميم إنعامه عليك، وأن ترجو بصلاتك الفلاح الدنيوي والفوز الآخروي.

سادساً: الحياء، وهو أن تستشعر تقصيرك في عبادة ربك وذنوبك السالفات وعدم نشاطك في الطاعات، فإذا دخلت في الصلاة دخلت دخول عبد معتذر مستح من الله أن يرده بذنوبه، وأن يُعرض عنه بزلاته.

فإذا دخلت في الصلاة فاجعل الكعبة بين عينيك، والصراط يوم القيامة تحت قدميك، والجنة عن يمينك، والنار عن شمالك، وملك الموت وراءك، واجعلها آخر صلاة تصلّيها، فعند ذلك ستشعر أن روحك هي التي تصلّي، وأنها قد صعّدت إلى الملاء الأعلى، فما أحسن هذه النجوى! وما أحسن هذه العبادة!

ثم أخيراً: إن الصلاة خاتمة وصية رسول الله ﷺ عند آخر عهده من الدنيا، وهي أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة، وهي أكبر عون للعبد على مصالح دينه ودنياه، فبمداومة العبد على الصلاة تقوى رغبته في الخير، وتسهل عليه الطاعات وتهون عليه المشاق، وتسهل عليه المصائب، ويسر الله له أموره، ويبارك له في ماله وأعماله، وتنهيه عن الفحشاء والمنكر، وهي أحب الأعمال إلى الله، فهل يليق بك أخي المسلم أن تُقصر أو تتهاون بما هو أحب الأعمال إلى الله.

فحافظ أخي المسلم على الصلاة التي هي الركن العظيم الذي متى انهدم

انهدمت معه بقية الأمور، وعود عليها أولادك صغارا وكبارا، وتابع أهل بيتك في المحافظة عليها والمسارة إليها.

اللَّهُمَّ أْتِمِّمْ عَلَيْنَا نِعْمَتَكَ الْوَافِيَةَ وَارْزُقْنَا الْإِحْلَاصَ فِي أَعْمَالِنَا وَالصِّدْقَ فِي
أَقْوَالِنَا وَعُدْ عَلَيْنَا بِإِصْلَاحِ قُلُوبِنَا، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.



أحكام الجمع في المطر

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١﴾، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢﴾، **وأشهد** أن محمدا عبده ورسوله، غيث القلوب والبلدان، وسيد ولد عدنان، أغاث الله به البلاد والعباد، فأخرجهم به من الظلمات إلى النور، وأصحابه صلى الله عليه وآله إذ كانوا غيثا ملاً الدنيا فأحيا الله بهم أمما، **فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَأَرْضَاهُمْ أَجْمَعِينَ**، أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله حق تقواه فهي وصية الله لجميع عباده ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ (3).

(1) [الزمر: 21].

(2) [الأعراف: 57].

(3) [النساء: 131].

أيها المؤمنون: إن من آيات الله العظيمة ونعمه الكريمة وفواضله العظيمة نزول الغيث الذي هو المطر على عباده، فتحيا به الأرض، ويتنفع به الخلق ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾⁽¹⁾.

ولهذه النعمة العظيمة أحكام وآداب، ولنا مع هذه النعمة العظيمة وقفات:

الوقفة الأولى: والتي سوف نأخذها في هذه الخطبة هي الأحكام المتعلقة بالجمع بين الصلوات عند نزول المطر، **وسوف نذكر في هذه الوقفة المسائل الآتية:**

المسألة الأولى: حكم الجمع عند نزول المطر؟

الصحيح من أقوال أهل العلم جواز الجمع لعذر المطر في الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، أما الجمع بين المغرب والعشاء لعذر المطر فهو مذهب جمهور أهل العلم أي: أكثرهم، وأما الجمع بين الظهر والعصر لعذر المطر فهو مذهب الإمام الشافعي **رَحْمَةُ اللَّهِ**، وهو وقول كثير من العلماء قديما وحديثا، بل قال الإمام النووي **رَحْمَةُ اللَّهِ**: هو مذهب الجمهور أيضا.

أخرج عبد الرزاق في **مصنفه عن** معمر بن أيوب عن نافع، "أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ كَانُوا يَجْمَعُونَ بَيْنَ الْمَغْرِبِ، وَالْعِشَاءِ فِي اللَّيْلَةِ الْمَطِيرَةِ، فَيُصَلِّي مَعَهُمْ ابْنُ عُمَرَ

(1) [الأعراف: 57].

لَا يَعْيبُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ" (1).

وقال ابن أبي شيبة حدثنا ابن مهدي عن سليمان بن بلال عن هشام بن عروة قال: رأيت أبا بن عثمان بن عفان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** يجمع بين الصلاتين في الليلة المطيرة المغرب والعشاء فيصليهما معه عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو بكر بن عبد الرحيم لا ينكرونه (2).

وأخرج عبد الرزاق عن داود بن قيس، قال: سمعت رجاء بن حيوة يسأل نافعا: أكان ابن عمر يجمع مع الناس بين الصلاتين إذا جمعوا في الليلة المطيرة؟ قال: نعم (3).

وقد كان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من أشدّ الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** وأحرصهم على اتباع السنة واتباع آثار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا ظاهر في سيرته وترجمته، فلو لم يكن هذا قد رآه من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَا فعله.

وقال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي عن جمع بين الصلاتين المغرب والعشاء في الليلة المطيرة فقال: أهل المدينة يجمعون بينهما (4).

وأما الجمع في المطر بين الظهر والعصر فيدل عليه حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في صحيح مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: «جمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين الظهر والعصر،

(1) مصنف عبدالرزاق الصنعاني (4441).

(2) مصنف ابن أبي شيبة (6269).

(3) مصنف عبدالرزاق الصنعاني (4439).

(4) الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف (2/432).

والمغرب والعشاء بالمدينة، في غير خوف، ولا مطر»: قال: قلت لابن عباس: لِمَ فعل ذلك؟ قال: «كي لا يخرج أمته»، وفي رواية: قيل لابن عباس: ما أراد إلى ذلك؟ قال: «أراد أن لا يخرج أمته»⁽¹⁾.

قال الإمام النووي رَحْمَةُ اللَّهِ: وقال به -الجمع في المطر- جمهور العلماء في الظهر والعصر، وفي المغرب والعشاء⁽²⁾.

وقال العلامة الألباني بعد أن ساق الآثار المتقدمة: وذلك يدل على أن الجمع كان معهودا لديهم، ويؤيده حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا المتقدم: (من خوف ولا مطر) يشعر أن الجمع للمطر كان معروفا في عهده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولو لم يكن كذلك لما كان ثمة فائدة من نفي المطر كسبب مبرر للجمع فتأمل⁽³⁾. وهذا قول العلامة ابن عثيمين أيضا.

وقال ابن خزيمة في صحيحه: ولم يختلف علماء الحجاز أن الجمع بين الصلاتين في المطر جائز⁽⁴⁾.

المسألة الثانية: حكم الجمع بين الجمعة والعصر؟

وهذه المسألة مما اختلف فيها أهل العلم بين مانع ومجيز، والصحيح جواز الجمع بين الجمعة والعصر، وهذا هو مذهب الإمام الشافعي رَحْمَةُ اللَّهِ،

(1) صحيح مسلم (705).

(2) شرح النووي على مسلم (213 / 5).

(3) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (40 / 3).

(4) صحيح ابن خزيمة (972).

ونص على ذلك الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ في كتابه المجموع.

ويدخل في هذا الجمع في السفر بين الجمعة والعصر على الصحيح من أقوال أهل العلم. قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: يجوز الجمع بين الجمعة والعصر في المطر (1).

وبعض أئمة المساجد عند نزول المطر يمتنع من الجمع بين الجمعة والعصر فَتَحَدَّثُ في المسجد ضجة واختلاف، وهذا خطأ من الإمام؛ فإنه إذا لم يقتنع بالجمع في بلد أغلب مساجدها تجمع وهو المذهب المنتشر في البلاد فيتأخر ويجعل غيره يصلي بالناس ولا يجعل المسجد يتفرق جماعات، هؤلاء يصلون هنا وأولئك يصلون هناك.

جاء في فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: وسئل عن رجل يؤم قوما وقد وقع المطر والثلج فأراد أن يصلي بهم المغرب، فقالوا له: يجمع، فقال: لا أفعل، فهل للمؤمنين أن يصلوا في بيوتهم أم لا؟

فأجاب: الحمد لله: نعم يجوز الجمع للوحد الشديد والريح الشديدة الباردة في الليلة الظلماء ونحو ذلك وإن لم يكن المطر نازلا في أصح قولي العلماء، وذلك أولى من أن يصلوا في بيوتهم، بل تَرُكُ الجمع مع الصلاة في البيوت بدعة مخالفة للسنة؛ إذ السنة أن تصلى الصلوات الخمس في المساجد جماعة، وذلك أولى من الصلاة في البيوت باتفاق المسلمين، والصلاة جماعة

(1) المجموع (4/383).

في المساجد أولى من الصلاة في البيوت مفرقة باتفاق الأئمة الذين يجوزون الجمع كمالك والشافعي وأحمد⁽¹⁾.

المسألة الثالثة: وإذا جمع بين الظهر والعصر فلا تسقط سنة الظهر البعدية

فيصلها بعد الجمع، وكذلك سنة الجمعة البعدية، وكذلك إذا جمع بين المغرب والعشاء فلا تسقط سنة المغرب، فيصلي سنة المغرب ثم سنة العشاء، ويجوز أن يصلي الوتر في ذلك الوقت لمن عادته صلاة الوتر بعد العشاء مباشرة.

قال الإمام النووي رَحْمَةُ اللَّهِ: وفي جمع العشاء والمغرب يصلي الفريضتين

ثم سنة المغرب ثم سنة العشاء، ثم الوتر⁽²⁾.

وقال المرداوي في الإنصاف: فائدة: يصلّي سنة الظهر بعد صلاة العصر،

من غير كراهة. قاله أكثر الأصحاب.. ويصلّي في جمع التقديم سنة العشاء بعد سنة المغرب. على الصحيح⁽³⁾.

المسألة الرابعة: لو جاء المصلي والناس قد صلوا المغرب ودخلوا في

صلاة العشاء.

فيدخل معهم في هذه الحالة بنية المغرب، فإن كان الإمام قد فعل ركعة فهو سيصلي معه ثلاث ركعات، وإن كان في الركعة الأولى فإذا قام الإمام للركعة

(1) مجموع الفتاوى (29/24).

(2) روضة الطالبين (1/402).

(3) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي (2/344).

الرابعة جلس المأموم للتشهد وانتظر حتى يكمل الإمام الركعة ويسلم معه، وهذا قول شيخ الإسلام ابن تيمية ورجحه بعض علماء العصر الكبار.

ويجوز له أن ينوي الانفراد حين قيام الإمام للرابعة ويأتي بالتشهد ويسلم ثم يدخل مع الإمام بنية العشاء، فيكون بهذه الطريقة قد أدرك الجماعتين، وهذا هو المشهور من مذهب الإمام الشافعي **رَحِمَهُ اللهُ، قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: فَإِذَا قُلْنَا بِالْمَذْهَبِ وَهُوَ صِحَّةُ الإِقْتِدَاءِ فَفَرَعْتُ صَلَاةَ المَأْمُومِ وَقَامَ الإِمَامُ إِلَى مَا بَقِيَ عَلَيْهِ فَالْمَأْمُومُ بِالْخِيَارِ إِنْ شَاءَ فَارْفَهُ وَسَلِّمْ وَإِنْ شَاءَ انْتِظَرَهُ لِيَسْلَمَ مَعَهُ وَالْأَفْضَلُ انْتِظَارُهُ**"(1).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: " الصحيح أن الإنسان إذا جاء والإمام في صلاة العشاء، سواء كان معه جماعة أم لم يكن، فإنه يدخل مع الإمام بنية المغرب، ولا يضر أن تختلف نية الإمام والمأموم لعموم قول النبي ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)"(2).

فإن دخلوا معه في الركعة الثانية سلموا معه، لأنهم يكونون صلوا ثلاثاً، ولا يضر أن يكون جلسوا في الركعة الأولى، وإن دخلوا معه في أول ركعة، فإذا قام إلى الرابعة جلسوا وتشهدوا وسلموا، ثم دخلوا معه فيما بقي من صلاة العشاء"(3).

(1) المجموع (4 / 270).

(2) صحيح البخاري (1).

(3) لقاء الباب المفتوح (ص 65).

وكذلك لو أتى وهم قد صلوا الظهر فيدخل معهم بنية الظهر ولا يجوز تقديم صلاة على صلاة.

فإذا انتهى من الصلاة فإن كان عذر المطر ما زال قائماً جاز له الجمع.

وكذلك الجماعة الثانية التي تقام في المسجد يجوز لهم الجمع إن كان عذر المطر ما زال قائماً.

المسألة الخامسة: وأماكن التجمعات والتي تقام فيها الصلاة جماعة الصحيح جواز الجمع لهم لأنهم جماعة، ولأن العلة في الجمع نزول المطر، وأما الأفراد في البيوت والنساء فلا يجوز لهم ذلك.

المسألة السادسة: والانتقال من مسجد إلى مسجد من أجل الجمع لا يجوز، كأن يصلي المغرب في مسجد فلم يجمع ذاك المسجد فيخرج من ذاك المسجد إلى مسجد آخر فيصلي معهم العشاء.

المسألة السابعة: وجواز الجمع بين الصلاتين يدل على أمرين:

الأمر الأول: عظمة الصلاة في الجماعة وأهميتها، حتى إنه سُمح في الوقت حتى تصلي جماعة عند نزول المطر.

الأمر الثاني: يسر الإسلام ويسر أحكامه إذ راعى المشقة الغالبة الحاصلة بسبب المطر فشرع الجمع.

أسأل الكريم المنان أن يرزقنا وإياكم السعادة في الدنيا والآخرة. وأن يفقهنا في الدين. أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي شرع الشرع وبينه أوضح بيان، والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد ولد عدنان وعلى آله وأصحابه أجمعين. **أما بعد:**

أيها المؤمنون: الناس في المساجد في الجمع لعذر المطر ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: المتشدد الذي لا يجمع مطلقا ويثقل على الناس حتى إنه تحصل في بعض المساجد خلافات وتفرق بسبب هذا، ويقوم بعض الناس بإقامة جماعات لو حدهم للصلاة.

وهذا الفعل من الإمام خطأ بل هو بدعة كما نص عليه شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ** كما تقدم.

الصنف الثاني: المتساهل وهو الذي يجمع قبل نزول المطر متوقعا نزوله أو بعد انتهاء المطر وانعدام المشقة وهذا تساهل كبير ولا يجوز.

الصنف الثالث: وهو الذي يجمع حال نزول المطر سواء في الظهر والعصر أو المغرب والعشاء، وهذا الذي اتبع الأدلة وعمل بالرخصة.

اللهم اجعلنا من أهل الصلاح والنجاح والفلاح، ومن المؤيدين بنصرك وتأييدك ورضاك، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.



أحكام نزول المطر

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي تفضّل على عباده بالغيث الغزير، وأسبغ عليهم من إحسانه وكرمه وخيره الكثير ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾⁽¹⁾، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، السراج المنير والبشير النذير، صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فهم غيث الأرواح ونسيمها، وأطباء القلوب وبلسمها، **فَرْضُوا اللَّهَ عَنْهُمْ** أجمعين إلى يوم الدين، **أما بعد:**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾⁽²⁾.

أيها المؤمنون: إن لنزول الغيث والأمطار آدابا إسلامية وأحكاما ربانية على المسلم الحريص أن يتعلمها، ونحن في هذه الخطبة إن شاء الله سنذكر بعض هذه الأحكام بعد أن ذكرنا في خطبة سابقة المسائل المتعلقة بالجمع لعذر المطر.

(1) [النحل: 18].

(2) [الحشر: 18].

إلا وإن من هذه المسائل والأحكام:

أولاً: يُسَنُّ عند نزول المطر أن يقول المسلم الدعاء المأثور عن النبي ﷺ، **ومن هذه الأدعية:** ما جاء في مسند الإمام أحمد **رَحِمَهُ اللهُ، عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا** أن رسول الله ﷺ كَانَ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِذَا رَأَى نَاسِئًا فِي أَفْقٍ مِنْ أَفَاقِ السَّمَاءِ، تَرَكَ عَمَلَهُ - وَإِنْ كَانَ فِي صَلَاةٍ - ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ، فَإِنْ كَشَفَهُ اللهُ حَمْدَ اللهِ، وَإِنْ مَطَرَتْ قَالَ: «اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا»⁽¹⁾ **والصَّيْبُ:** ما سال من المطر وجرى، والنافع هو الذي يستفاد منه من غير أن يحصل منه ضرر.

وإذا انتهى المطر قال: "مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ" **ففي الصحيحين عن زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال:** «صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية، على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف النبي ﷺ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبِّكُمْ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»⁽²⁾.

ثانياً: والدعاء عند نزول المطر مستجاب، فيستحب للمسلم أن يكثر من الدعاء عند نزوله، خصوصاً من أحاطت به الهموم واستولت عليه الغموم، ونزلت عليه البلايا، **ففي سنن البيهقي رَحِمَهُ اللهُ، عن سهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** أن

(1) مسند أحمد (25570).

(2) صحيح البخاري (1038).

رسول الله ﷺ قال: ثنتان ما تردان: الدعاء عند النداء، وتحت المطر" (1). قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: وَقَدْ حَفِظْتُ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ، طَلَبَ الإِجَابَةَ عِنْدَ نَزْوِلِ الغَيْثِ، وَإِقَامَةَ الصَّلَاةِ (2).

ثالثا: وإذا كان المطر مصحوبا برعد فيستحبُّ للمسلم أن يأتي بدعاء سماع الرعد، ففي موطأ الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ عن عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أنه كان "إذا سمع الرعد ترك الحديث، وقال: «سبحان الذي يسبح الرعد بحمده، والملائكة من خيفته»، ثم يقول: «إن هذا لو عيد لأهل الأرض شديد» (3).

وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق، قال: «اللَّهُمَّ لَا تَقْتُلْنَا بِغَضَبِكَ، وَلَا تَهْلِكْنَا بِعَذَابِكَ، وَعَافِنَا قَبْلَ ذَلِكَ» (4).

رابعا: وإذا كان المطر مصحوبا بالريح، فالسنة أن يأتي بدعاء هبوب الريح، ففي صحيح مسلم رَحِمَهُ اللهُ عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أنها قالت: «كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح قال: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، قَالَتْ: وَإِذَا تَحَيَّلَتْ السَّمَاءُ، تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، وَخَرَجَ وَدَخَلَ، وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ. فَإِذَا مَطَرَتْ، سُرِّيَ عَنْهُ. فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَأَلْتُهُ. فَقَالَ: لَعَلَّهُ يَا عَائِشَةُ! كَمَا قَالَ قَوْمٌ عَادٍ:

(1) السنن الكبرى (2014) صحيح الجامع (3078).

(2) الأم للإمام الشافعي (2/289).

(3) موطأ مالك (3641).

(4) مسند أحمد (5763).

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ (1).

فتأملوا إخواني، رسول الله ﷺ إذا رأى السماء كثيرة الغيوم خاف أن يكون هذا عقوبةً على أمته، واليوم كم هي الكوارث والنكبات، والمصائب والأزمات، وكثير منا في غفلة عن الرجوع إلى الله وعن امتثال أمر الله، بل نرى المجاهرة بالمنكرات، وانتشارا للمعاصي والسيئات. فتأملوا هذا الحال، وحال النبي ﷺ، **وقد جاء في صحيح مسلم رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها** قالت: وكان إذا رأى غيما، أو ريحا، عُرِفَ ذلك في وجهه. فقالت: يا رسول الله! أرى الناس، إذا رأوا الغيم، فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر. وأراك إذا رأيت، عَرَفْتُ في وجهك الكراهية؟ قالت: فقال: يا عائشة! ما يؤمِّنني أن يكون فيه عذاب. قد عَذَّبَ قومٌ بالريح. وقد رأى قومٌ العذاب، فقالوا: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ (2).

وأما قول بعض الناس عند هبوب الريح: اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا. فهذا لم يصح عن النبي ﷺ، كما أن قول بعضهم: إن الريح للعذاب والرياح للرحمة لم يثبت فيه حديث عن النبي ﷺ، وأما الآيات القرآنية بقراءتها ففيها لفظ الريح والرياح. فالريح تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب، **ففي مسند الإمام أحمد رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه** قال: أَخَذَتِ النَّاسَ رِيحٌ بطريق مكة، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه حاج، فاشتدت عليهم، فقال عمر لمن حوله: من يحدثنا عن الريح؟ فلم يُرْجِعُوا إليه شيئا، فبلغني الذي سأل عنه عمر

(1) صحيح مسلم (899).

(2) صحيح مسلم (899).

من ذلك، فَاسْتَحْثَّتْ راحلتي حتى أدركته، فقلت: يا أمير المؤمنين، أُخْبِرْتُ أنك سألت عن الريح، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه يقول: "الريح من رَوْحِ الله، تأتي بالرحمة، وتأتي بالعذاب فإذا رأيتموها، فلا تسبوها، وسلوا الله خيرها، واستعيذوا به من شرها"⁽¹⁾.

أخيرا: أيها المؤمنون:

إن المطر وما يصحبه من ريح أو برق أو رعد آية من آيات الله العظيمة، وقد أكثر القرآن الكريم من ذكره في آيات كثيرة، فالمطر كما هو رحمة من رحمت الله على خلقه ينزلها عليهم **كما قال جلَّ وَعَلَا: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ، وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا. لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾**⁽²⁾ فهو أيضا جندي من جنود الله يعذب به من يشاء من عباده، **فقد عذب الله به قوم نوح كما عذب به قوم سبأ: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾**⁽³⁾، **وعذب قوم لوط فأنزل عليهم حجارة بدل المطر: ﴿وَلَقَدْ آتَوْا عَلَى القَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا السَّوِّءِ، أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا، بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾**⁽⁴⁾، كما كان مقدمة عذاب لقوم عاد، قال سبحانه عنهم: **﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ وِدْيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ**

(1) مسند أحمد (10714).

(2) [الفرقان: 48].

(3) [سبأ: 16].

(4) [الفرقان: 40].

رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾.

ومن مظاهر قدرة الله في المطر في كيفية تكوينه، قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾. **ويكفي أن نتأمل** في كيفية تكوين السحاب من ماء مالح وغيره، ثم كيف يتجمع حتى يكون كالقطعة الواحدة، ثم كيف ينزل في مناطق متفرقة بحسب القدرة والأمر الإلهي، فتأملوا في الآيات القرآنية، وما قاله علماء الإعجاز عن هذه الظاهرة العظيمة التي تدل على عظمة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، **وصدق الله القائل:** ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣﴾.

أسأل الله أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح.

أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(1) [الأحقاف: 24].

(2) [النور: 43].

(3) [البقرة: 164].

الخطبة الثانية

الحمد لله القدير القادر، الذي يحيي الأرض بالغيث تكرما وفضلاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي يحيي القلوب بالإيمان رحمة وفضلاً، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه فبهم نشر الله الإسلام وبهم تجلى، أما بعد:

أيها المؤمنون: وهذه بعض الوصايا والتنبيهات أرجو أن تلقى آذاناً صاغية:

التنبيه الأول: مجاري السيول: يقوم بعض الناس بوضع المخلفات في مجاري السيول فإذا ما نزل المطر شديداً انحرف السيل عن مجراه وتسبب ذلك في كوارث على الناس خصوصاً أصحاب البيوت المنخفضة.

وهنا رسالة إلى إدارة الأشغال كما أن سياراتهم والدراجات النارية تجوب الشوارع بحثاً عن الرخص والمخالفات وغيرها فلماذا لا يكلفون أنفسهم في حل هذا الأمر، وكذلك معاقبة من يرتكبون مثل هذه المنكرات التي تسبب أضراراً كبيرة.

التنبيه الثاني: التهور من بعض سائقي السيارات والدرجات النارية في مجاري السيول، فيرى السيل أمامه كثيراً، والناس متوقفون عن العبور، فيأتي هذا المتهور ويدخل بسيارته وسط السيل ليعبر إلى المنطقة الأخرى فيجرفه السيل بمن معه في السيارة، وهذا السائق الذي فعل هذا مرتكبٌ إثماً عظيماً،

وإذا مات أناس بسبب ذلك فهو قاتل لهم، وإذا مات هو فهو قاتل لنفسه، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (1).

التنبيه الأخير: عند نزول المطر، يحذر أصحاب السيارات والدرجات النارية من السرعة التي تؤدي إلى إيذاء الناس بوقوع الماء أو الطين عليهم، وإن حصل هذا بغير عمد فاعتذر لمن وقع عليه هذا الأمر؛ لأننا نرى أيها الأخوة حصول إيذاء متعمد من بعض السائقين، خصوصاً للنساء والفتيات، لأننا نرى في الفترة الأخيرة شباباً طائشاً انعدمت عندهم أخلاق الإسلام ومروءة الرجولة، فكم تجد لهم من مواقف قبيحة أثناء قيادتهم للسيارات، بأخلاق وتصرفات ما كنا نعرفها من قبل.

اللهم إنا نسألك قلباً سليماً، ولساناً صادقاً، وعملاً متقبلاً، ونسألك بركة الحياة وخير الحياة، ونعوذ بك من شر الحياة، وشر الوفاة، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين والمسلمات برحمتك يا أرحم الراحمين.

(1) [البقرة: 195].



شهر شعبان

الخطبة الأولى

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ (1)،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ
 لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (2)، **وأشهد** أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
 خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (3).

أيها الناس: احمداوا الله كثيرا على آلائه العظيمة ونعمه الكريمة، ومنها إدراك شهر شعبان، فإنه شهر عظيم وزمان جليل.

شهر شعبان: شهر تفتح فيه الخيرات، وتنزل فيه البركات، وتُكفَّرُ فيه الخطيئات، وتُعرض فيه الأعمال على رب الأرض والسموات، فينبغي لكل مؤمن لبيب ألا يغفل في هذا الشهر عن الأعمال الصالحات، وليحذر من الذنوب والخطيئات، لعل نفحة من نفحاته تنزل إليه، وبركة من بركاته تحل عليه.

(1) [الكهف: 1].

(2) [الفرقان: 1].

(3) [الحشر: 18].

أيها المؤمنون: إن المؤمن ليتربق في هذا الزمان وعد الله له في الأجل، وكل يوم يبقيه في الدنيا فهو غنيمة له ليتزود منه لآخرته قبل أن يحل عليه أجله وينقطع عنه عمله، قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه: (بادروا بالأعمال سبعاً: هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنى مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرمًا مُفنداً، أو موتاً مُجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر)⁽¹⁾.

ألا وإن من نعم الله العظيمة أن جعل لنا مواسم للخير بها يتزود المتزودون بالطاعات، وبها يتقرب المتقربون بأنواع القربات، جاء في شعب الإيمان للبيهقي **رَحْمَةُ اللَّهِ** في حديث يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تَوَبُّوا إِلَى رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمُوتُوا، وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الزَّكَايَةِ قَبْلَ أَنْ تُشْغَلُوا، وَصَلُّوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ بِكَثْرَةٍ ذَكَرَكُمْ لَهُ وَالصَّدَقَةَ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ تُنصِرُوا وَتُجَبِّرُوا وَتُرزُقُوا»⁽²⁾.

وفي معجم الطبراني عن محمد بن مسلمة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه: «إن لربكم عزَّجَلَّ في أيام دهركم نفحات، فتعرضوا لها، لعل أحدكم أن تصيبه منها نفحة لا يشقى بعدها أبداً»⁽³⁾.

إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُكَ فَاعْتَنِمَهَا فَإِنَّ لِكُلِّ خَافِقَةٍ سُكُونُ
وَلَا تَغْفُلْ عَنِ الْإِحْسَانِ فِيهَا فَمَا تَدْرِي السُّكُونُ مَتَى يَكُونُ

(1) سنن الترمذي (2306)

(2) سنن ابن ماجه (1081)

(3) المعجم الأوسط (2856)

وَإِنْ دَرَّتْ نِيَأُفَكَ فَاحْتَلِبْهَا فَمَا تَدْرِي الفَصِيلُ لِمَنْ يَكُونُ⁽¹⁾

أيها المؤمنون: لقد كان النبي ﷺ يزيد من العبادات في هذا الشهر زيادة تدل أن له فضلا عظيما، ومن العبادات التي كان النبي ﷺ يزيد منها في هذا الشهر عبادة الصيام حتى إنه من شدة محافظته ﷺ على الصوم في شهر شعبان، نقل بعض أزواجه ﷺ أنه كان يصوم شعبان كله.

فعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «لم يكن النبي ﷺ يصوم شهرا أكثر من شعبان، فإنه كان يصوم شعبان كله»⁽²⁾.

وفي رواية للترمذي: «ما رأيت النبي ﷺ في شهر أكثر صياما منه في شعبان، كان يصومه إلا قليلا، بل كان يصومه كله»⁽³⁾.

وهذه أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تقول: «ما رأيت النبي ﷺ يصوم شهرين متتابعين إلا شعبان ورمضان»⁽⁴⁾.

ولقد بين النبي ﷺ سبب إكثاره من الصوم في هذا الشهر، فعن أسامة بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «قلت: يا رسول الله، لم أرك تصوم شهرا من الشهور ما تصوم من شعبان! قال: ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر

(1) أدب الدنيا والدين ص 203

(2) البخاري (1970)

(3) سنن الترمذي (737)

(4) سنن الترمذي (736)

ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يُرفع عملي وأنا صائم»⁽¹⁾

قال الإمام الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ عَنْ حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا السابق: وفيه دليل على أنه كان يخص شعبان بالصوم أكثر من غيره⁽²⁾.

قال العلامة ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: واعلم أن الأوقات التي يغفل الناس عنها مُعْظَمَةُ الْقَدْرِ لاشتغال الناس بالعبادات والشهوات، فإذا ثابر عليها طالب الفضل دل على حرصه على الخير"⁽³⁾.

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وفي صومه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه شعبان أكثر من غيره ثلاث

معانٍ:

أحدها: أنه كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، فربما شغل عن الصيام أشهرها فجمع ذلك في شعبان ليدركه قبل صيام الفرض، وهذا قد جاء عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

الثاني: أنه فعل ذلك تعظيماً لرمضان، وهذا الصوم يشبه سنة فرض الصلاة قبلها تعظيماً لحقها، **وقد جاء في الأثر عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** أنه سئل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أي الصوم أفضل: فقال، شعبان تعظيماً لرمضان، **قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ:** فظهر بهذا أن أفضل التطوع ما كان قريباً من رمضان لقربه منه، وتكون منزلته من

(1) سنن النسائي (2357)

(2) سبل السلام (4/129).

(3) التبصرة (2/47).

الصيام بمنزلة السنن الرواتب أفضل من التطوع المطلق، فكذلك صيام ما قبل رمضان وبعده أفضل من صيام ما بعد عنه.

الثالث: أنه شهر ترفع فيه الأعمال إلى الله فأحبَّ صلى الله عليه وآله أن يُرْفَعَ عمله وهو صائم كما تقدم في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه (1).

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: صيام شعبان أفضل من صيام الأشهر الحرم وذلك أن أفضل التطوع ما كان قريباً من رمضان؛ قبله وبعده، وذلك يلتحق بصيام رمضان؛ لقربه منه، وتكون منزلته من الصيام بمنزلة السنن الرواتب مع الفرائض قبلها وبعدها، فيلتحق بالفرائض في الفضل، وهي تكملة لنقص الفرائض. وكذلك صيام ما قبل رمضان وبعده (2).

قالت لؤلؤة مولاة عمار رضي الله عنه: كان عمار يتهيأ لصوم شعبان كما يتهيأ لصوم رمضان (3).

شعبان يا أهل البصيرة أقبلا	طوبى لمن رام الثواب مُحَصِّلاً
شهر ترى الأحلام تغفل قدره	من قبله رَجَبٌ ورمضانُ تلا
شهر به الأعمال ترفع فاغتم	وادعُ الرحيم تضرعاً أن تُقبلا
صُم ما استطعت ففي الصيام وسيلة	أنعم بعبدٍ بالصيام توسلاً

(1) تهذيب سنن أبي داود (72/7).

(2) لطائف المعارف (ص 233).

(3) التبصرة لابن الجوزي (74/2).

متأسيا بالنهج نهج رسولنا متحيا للرب جل وقد علا⁽¹⁾

أيها المؤمنون: ومن العبادات التي ينبغي الإكثار منها في هذا الشهر قراءة القرآن. ف شهر شعبان كما تقدم كالمقدمة لشهر رمضان، ولهذا يُشرع فيه بعض ما يُشرع في رمضان ليحصل التأهب والاستعداد لتلقي رمضان، وتروض النفوس على ذلك.

وقال سلمة بن كهيل: كان يقال: شهر شعبان شهر القراء.

وكان حبيب بن أبي ثابت إذا دخل شعبان قال هذا شهر القراء.

وكان بعض السلف أيضا يتفرغ من شهر شعبان لقراءة القرآن⁽²⁾.

أيها المسلمون: يقول ذو النون المصري **رَحْمَةُ اللَّهِ:** " رجب شهر الزرع، وشعبان شهر السقي، ورمضان شهر الحصاد، وكلُّ يحصد ما زرع، ويُجزي ما صنع، ومن ضيع الزراعة ندم يوم حصاده، وأخلف ظنه مع سوء معاده".

وقال بعض الصالحين: السنة شجرة، رجب أيام إيقاقها، وشعبان أيام إثمارها، ورمضان أيام قطافها⁽³⁾.

وقال الحافظ ابن رجب رَحْمَةُ اللَّهِ: شهر رجب مفتاح أشهر الخير والبركة؛ قال أبو بكر الورّاق البلخي: شهر رجب شهر الزرع، وشهر شعبان شهر السقي

(1) منقول

(2) لطائف المعارف (ص 242).

(3) الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل (1/326).

للزّرع، وشهر رمضان شهر حصاد الزّرع، وعنه قال: مَثَلُ شهر رجب مثل الريح،
ومثل شعبان مثل الغيم، ومثل رمضان مثل المطر (1).

فبَادِرُ بِنْفَعْلِ الْخَيْرِ قَبْلَ أَنْقِضَائِهِ وَحَاذِرُ هُجُومِ الْمَوْتِ فِيهِ بِصَرْفِهِ
وَصُومُ يَوْمِهَا لِلَّهِ وَأَعْظَمُ رَجَاءُهُ لِتَظْفَرِ عِنْدَ الْكَرْبِ مِنْهُ بِلُطْفِهِ (2)

أَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ الْمَنَّانَ أَنْ يُوَفِّقَنَا وَإِيَّاكُمْ لِعَمَلِ الصَّالِحَاتِ وَأَنْ يَجْنِبَنَا
جَمِيعَا الذُّنُوبِ وَالسَّيِّئَاتِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ
هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(1) لطائف المعارف (ص 219).

(2) لطائف المعارف (ص 329).

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي جعل مواسم للخيرات كرما منه وفضلا، والصلاة والسلام وعلى رسولنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

أيها المؤمنون: ينبغي للمؤمن كما تقدم أن يسارع في الخيرات، فالعمر قصير، والأجل قريب، وابن آدم لا يدري متى يأتيه الموت.

وقبل أن نختم هذه الخطبة هناك بعض الوقفات والمسائل المهمة في هذا الشهر وهي:

أولاً: من كان عليهم قضاء من رمضان السابق بسبب مرض أو سفر أو غيره فعليهم المبادرة بالقضاء حتى لا يأتي رمضان إلا وقد أدوا ما عندهم من الصيام، ومن تأخر من غير عذر حتى دخل رمضان فهو آثم ويبقى القضاء في ذمته حتى يؤديه. وقال كثير من العلماء عليهم القضاء والكفارة وهي إطعام عن كل يوم مسكينا.

ثانياً: ليلة النصف من شعبان لا يجوز تخصيصها بشيء زائد من العبادات، فمن لم ليس من عادته الصيام أو القيام في الليل فلا يجوز أن يخصص الليل بشيء من العبادات زيادة عما هو عليه في بقية الليالي.

وقد ورد في فضلها حديث حسنه بعض العلماء وهو عن أبي موسى الأشعري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (إن الله ليطلع في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن)⁽¹⁾، فهو حديث يحث على صفاء القلوب وإصلاح النفوس مع الغير، وهي عبادة عظيمة أعني صلاح القلب وخُلُوه من الغل والحقد والحسد؛ لأن هذه الأمراض أمراض كبيرة وذنوب خفية عظيمة يقع فيها بعض الناس ولا يعملون على معالجتها والتوبة منها والإقلاع عنها.

ثالثاً: الصيام بعد النصف من شعبان جائز وليس مكروهاً ولا ممنوعاً إذا كان قضاءً أو من كانت له عادة بالصيام.

والحديث الوارد في النهي عن الصوم بعد النصف من شعبان ضعفه كثير من أهل العلم، ومن صححه قال معناه هو خاص بمن يتدئ الصيام بعد النصف من شعبان نافلة وليس من عاداته أن يصوم ذلك.

أخيراً: أيها المؤمنون: قال بعض السلف: «مَا أَنْزَلَ الْمَوْتَ كُنْهَ مَنْزِلَتِهِ مَنْ عَدَّ غَدًا مِنْ أَجْلِهِ، كَمْ مِنْ مُسْتَقْبَلٍ يَوْمًا لَا يَسْتَكْمِلُهُ، وَكَمْ مِنْ مُؤَمِّلٍ لِعَدِّ لَا يُدْرِكُهُ، إِنَّكُمْ لَوِ رَأَيْتُمْ الْأَجَلَ وَمَسِيرَهُ، لَأَبْغَضْتُمْ الْأَمَلَ وَغُرُورَهُ»⁽²⁾.

وقال بعض السلف وهو يوصي قومه: أَنْذَرْتُكُمْ: سَوْفَ أَعْمَلُ، سَوْفَ

(1) سنن ابن ماجه (1390)

(2) قصر الأمل لابن أبي الدنيا (ص 56).

أُصَلِّي، سَوْفَ أَصُومُ" (1). أي يؤمل ذلك في المستقبل ولا يبادر إلى ذلك فيأتيه الموت فيأخذه بغتة.

أُوْمِّلُ أَنْ أُخَلِّدَ وَالْمَنَائِيَا تَدُورُ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ النَّوَاحِي
وَمَا أَدْرِي وَإِنْ أَمْسَيْتُ يَوْمًا لَعَلِّي لَا أَعِيشُ إِلَى الصَّبَاحِ (2)

عباد الله: إن أيامكم مراحل تقطعونها، وساعاتكم مناهل تردونها، وَالْمَوْتُ يطوف عَلَيْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَا يُؤَخَّرُ: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (3). فلنبادر بالأعمال الصالحة لعل نفحة تنزل تكون سببًا في مغفرة الذنوب والخطايا، ورفع الدرجات وتفريج الكربات والسعادة في الدنيا والآخرة.

مَضَى رَجَبٌ وَمَا أَحْسَنْتَ فِيهِ وَهَذَا شَهْرُ شَعْبَانَ المُبَارَكِ
فِيَا مَنْ ضَيَّعَ الأَوْقَاتَ جَهْلًا بِحُرْمَتِهَا أَفْتَقُ وَاحْدَرُ بَوَارِكِ
فَسَوْفَ تُفَارِقُ اللَّذَاتِ قَهْرًا وَيُخْلِجِي المَوْتُ كُرْهًا مِنْكَ دَارِكِ
تَدَارِكُ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الحَطَايَا بِتَوْبَةٍ مُخْلِصٍ وَاجْعَلْ مَدَارِكِ
عَلَى طَلَبِ السَّلَامَةِ مِنْ جَحِيمِ فَخَيْرُ ذَوِي الجِرَائِمِ مَنْ تَدَارِكُ (4)

(1) الزهد والرفائق لابن المبارك (ص 5).

(2) معجم الشيوخ (ص 308).

(3) [النحل: 61].

(4) لطائف المعارف (ص 243).

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا تَوْفِيقًا يَتَقِينَا عَنْ مَعَاصِيكَ وَأَرْشِدْنَا إِلَى السَّعْيِ فِيمَا يُرْضِيكَ،
 وَأَجِرْنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ خِزْيِكَ وَعَذَابِكَ، وَهَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِأَوْلِيَائِكَ، اللَّهُمَّ إِنَّا
 نَسْأَلُكَ التَّوْبَةَ وَدَوَامَهَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَأَسْبَابِهَا، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
 وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.



استقبال رمضان

الخطبة الأولى

الحمد لله خلق الأزمنة وفضل بعضها على بعض ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ (1)، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (2)، **وأشهد** أن محمدا عبده ورسوله، سيد المرسلين وإمام المتقين، وأصحابه أجمعين، **أما بعد:** صلى الله عليه وسلم

فاتقوا الله عباد الله حق التقوى، وبادروا بالأعمال الصالحات، واحذروا من المعاصي والسيئات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (3).

أيها المؤمنون: إن الله بمنه وكرمه وجوده وفضله قد هيا لنا من المناسبات العظيمة التي تصقل الإيمان في القلوب، وتحرك المشاعر الفياضة في النفوس، فتزيد في الطاعات وتضيّق مجالات الشر في المجتمعات، ألا وإن من أجل

(1) [الإسراء: 12].

(2) [آل عمران: 190].

(3) [الحشر: 18].

المناسبات زمنا، وأعظمها قدرا، وأبعدها أثرا شهر رمضان، فهو خير موسم نازل، وأفضل وقت آت، تشوقت إليه نفوس المؤمنين، وتطلعت إليه أفئدة المتقين، كيف لا وهو شهر مضاعفة الحسنات، ورفعة الدرجات، ومغفرة الذنوب والخطيئات، شهرٌ تفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب النيران، وتصنف فيه مرده الجان.

شهر تهجد وترابيح، وذكرٍ وتسييح، وتلاوة وجود، وصدقة وتوبة، وضراعة ودعوات، شهر خير ورحمات، وفضائل ومكرمات، يكفيه شرفا أن الله أنزل فيه كلامه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (1).

كَأَنَّا لَمْ نَكُنْ يَوْمًا وَلَا كَانَا	عَامٌ تَوَلَّى فَعَادَ الشَّهْرُ يَطْلُبُنَا
حَرَارَةُ الشَّوْقِ فِي الْوَجْدَانِ رِضْوَانَا	حَفَّتْ بِنَا نَفْحَةُ الْإِيمَانِ فَارْتَفَعَتْ
أَقْبَلُ بِصِدْقٍ جَزَاكَ اللَّهُ إِحْسَانَا	يَا بَاغِي الْخَيْرِ هَذَا شَهْرٌ مَكْرَمَةٌ
وَأَجْعَلْ جَيْبِنَاكَ بِالسَّجْدَاتِ عِنُونَا	أَقْبَلُ بِجُودٍ وَلَا تَبْخُلْ بِنَافِلَةٍ
وَاصْدَعْ بِخَيْرٍ وَرَتَّلْ فِيهِ قُرْآنَا	أَعْطِ الْفَرَائِضَ قَدْرًا لَا تَضُرَّ بِهَا
لَا تَجْرَحِ الصَّوْمَ بِالْأَلْفَاظِ نَسِيَانَا	وَاحْفَظْ لِسَانًا إِذَا مَا قُلْتَ عَنِ لَغَطٍ

(1) [البقرة: 185].

وَصَدَّقِ الْمَالَ وَابْدُلْ بَعْضَ أُعْطِيَةٍ لَنْ يَنْقُصَ الْمَالَ لَوْ أَنْفَقْتَ إِحْسَانًا⁽¹⁾

أبيها المؤمنون: لقد كان المسلمون يستقبلون شهر رمضان بفائق العناية، ويولونه أشد الاهتمام، ويستعدون لمقدمه فرحا بقدومه واستبشارا بفضله؛ وذلك لما يعلمون من فضائل رمضان العظيمة، وسعة فضل الله تعالى عليهم فيه، وما يُنزل الله على عباده من الرحمات، ويفيضة عليهم من النفحات، ويوسع عليهم من الأرزاق والخيرات، ويجنبهم فيه من الزلات، حيث يفتح لهم أبواب الجنان، ويغلق عنهم أبواب النيران، وتصفد فيه مردة الجان.

فرمضان للشهور ربيعها، وللعبادة موسمها، وللخيرات سوقها، فلا شهر أفضل للمؤمنين منه، ولا عمل يفضل عما فيه، فهو بحق غنيمة المؤمنين، وزاد المتقين، فهذا حال المؤمنين السابقين للخيرات في استقبال هذا الشهر المبارك، ولكن تأمل أخي المسلم بفكرك وتدبر بعقلك إلى حال كثير من المسلمين اليوم في استقبال شهر رمضان:

إن هناك أناسا وهم كثيرون، رجالا ونساء صغارا وكبارا ينتظرون هذا الشهر لمشاهدة المسلسلات والأفلام، والمسرحيات والتمثيلات للأسف الشديد، وأقولها بكل مرارة وحزن.

شياطين الجن - يا عباد الله - مصفدة لتهيأ جميعا للعبادات والطاعات، والبعد عن المحرمات، والمسابقة إلى الخيرات، ولكن شياطين الإنس قد

(1) منقول.

عملت في الإفساد والإضلال، وضياع الأوقات في هذه الأمور، حتى أفسدت أناسا بأخلاقهم، وأفسدت عليهم دينهم، ونزعت من بعضهم غيرتهم.

أيها المؤمنون: إني أخطب أهل الإيمان، أخطب أهل الإسلام، أخطب أهل الغيرة وأهل العفة: إن كثيرا من المسلسلات والأفلام - وللأسف - أصبحت تفسد الأخلاق الشريفة، وتفسد الإيمان وتفسد الغيرة، وتذهب النخوة، قل لي بالله عليك هل هذه المسلسلات التي فيها أولئك الشباب الفاسد، والنساء المتبرجات والمتزينات، هل يرضى الله عن هذه الأفعال؟ هل مثل هذه المسلسلات أباحها الله؟ هل يجوز لرجل مسلم يُقبَلُ ممثلة ثم يظهر في مقابلة ويقول أصلا أنا قبلتها أمام الشاشة، وأمام المصورين، ولا توجد خلوة! عذر أقبح من ذنب.

هذه المسلسلات التي تعرض في قنوات كانت في ظاهرها أنها قنوات إسلامية يمنية، ثم انسلخت من الأخلاق الإسلامية بحجة حرية الفن، هذه قنوات الإفساد في اليمن، هذه قنوات الأخلاق الهابطة في اليمن، هذه قنوات إفساد البيوت في اليمن، لا يقل الواحد منهم نحن نخفف من الشر، بدل ما يذهبون ويشاهدون الأفلام التركية والهندية وغيرها نخفف ويشاهدون هذه، فالحرام يبقى حراما، وهذه القنوات بدأت هكذا تسمي نفسها إسلامية، أو يديرها شباب كانت انتماءاتهم إلى جماعات إسلامية، ولكن بحجة حرية الفن أفسدوا وغاصوا في الفساد والإفساد.

أيها المؤمنون: ثم إن هذه الأفلام والمسلسلات التي تعرض في رمضان

وفي غير رمضان فيها من الخبث لإفساد الترابط الاجتماعي الأسري الشيء الكثير، تعرض حرية البنت وتمرداها على أبيها ومجتمعها، وعلى زوجها وأسرته، فهذه الرسالة من ذمتي إلى ذمتكم ابتعدوا عن هذه القنوات وغيرها من القنوات المدمرة للأخلاق، ولا يقل الواحد من الناس: أنا لست مطوعا، يا أخي الدين والإسلام والالتزام بالشعائر الدينية ومنها البعد عن مثل هذه المسلسلات والأفلام ليس خاصا بشخص أو جماعة أو طائفة، أوامر الإسلام والالتزام بها موجهة لجميع الأمة.

أيها المؤمنون: إن شهر رمضان فرصة عظيمة للصائمين أن يستزيدوا من الأعمال الصالحة، وهو فرصة للمذنبين للتوبة والإنابة، الله عباد الله في الجّد والتشمير دون استئقال لصيامه واستطالة لأيامه، وتذكروا أنها أيام معدودات وتنقضي، والحذر من الوقوع في نواقضه ونواقصه، وتعاطي المفطرات الحسية والمعنوية.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»⁽¹⁾.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا أصبح أحدكم يوما صائما، فلا يرفث، ولا يجهل، فإن امرؤ شاتمته، أو قاتله فليقل: إني صائم، إني صائم»⁽²⁾.

(1) صحيح البخاري (1903).

(2) صحيح مسلم (1151).

وعن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: "ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابك أحد أو جهل عليك فلتقل: إني صائم، إني صائم" (1).

قال بعض السلف: أهون الصيام ترك الشراب والطعام (2).

وقال جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء» (3).

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي السَّمْعِ مَنِّي تَصَاوُنٌ وَفِي بَصَرِي غَضٌّ وَفِي مَنْطِقِي صَمْتُ
فَحَطَّيْ إِذْنٌ مِنْ صَوْمِي الْجَوْعُ وَالظَّمَا فَإِنْ قُلْتُ إِنِّي صُمْتُ يَوْمِي فَمَا صُمْتُ (4)

أخي المسلم: إن ربَّ النهار هو رب الليل، وإن ما كان حراما في النهار في السمع والنظر والكلام والفحش هو حرام أيضا في الليل؛ إذ بعض الناس يمسك نفسه عن الحرام نهارا فإذا أتى الليل واقع الحرام إما في القنوات أو في الشوارع أو في الجوالات.

وأخيرا:

رمضان أقبل يا أولي الألباب فاستقبلوه بعد طول غياب

(1) صحيح ابن خزيمة: (1996).

(2) لطائف المعارف (ص 277).

(3) الزهد والرفائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (1308).

(4) معجم السفر (ص 50).

عامٌ مضى من عمرنا في غفلةٍ فتنبهوا فالعمر ظل سحاب
 وتهيؤوا لتصبرٍ ومشقةٍ فأجور من صبروا بغير حساب
 الله يجزي الصائمين لأنهم من أجله سَخِرُوا بكل صعاب
 لا يدخل الريانَ إلا صائمٌ أكرم بياب الصوم في الأبواب
 ووقاهم المولى بِحَرِّ نهارهم رِيحَ السَّمومِ وشرَّ كل عذاب
 وسُقوا رحيق السلسيل مزاجه من زنجبيلٍ فاق كل شراب
 هذا جزاء الصائمين لربهم سعدوا بخير كرامةٍ وجناب
 الصوم جنة صائمٍ من مآثمٍ ينهى عن الفحشاء والأوشاب
 الصوم تصفيد الغرائز جملةً وتحررُ من ربقةٍ برقاب
 ما صام من لم يرع حق مجاورٍ وأخوةٍ وقرابةٍ وصحاب
 ما صام من أكل اللحوم بغيبةٍ أو قال شرّاً أو سعى لخراب
 ما صام من أدّى شهادة كاذب وأخل بالأخلاق والآداب (1)

أسأل الله الكريم أن يوفقنا لطاعته، وأن يجنبنا أسباب سخطه، أقول ما
 سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أكرمنا بشهر رمضان، والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. **أما بعد:**

أيها الناس: أرجو التأمل لما سأقوله وتدبروه لأننا بحاجة لهذا الأمر لا سيما وقد ظهر أثره كثيرا.

إن للصدقة في رمضان فضلا عظيما وأجرا كبيرا، وإن المساكين والفقراء في هذا الشهر أشد حاجة إلى الإعانة أكثر من أي وقت آخر.

أيها المؤمنون: إن قهر الرجال وأشدّه عندما يخرج من كان عزيزا يتلفت يمينا وشمالا يبحث عن قوت له ولأطفاله فلا يجد، فيرجع باكيا أمام أطفاله وزوجته.

إن قهر الرجال: عندما يرمى بعفش بيت مستأجر إلى الشارع لأنه عاجز عن سداد الإيجار، وآخر يُرفع به إلى المحكمة لأنه عاجز عن سداد الإيجار كذلك، بعد أن كان عزيزا فأتاه الفقر من حيث لا يشعر.

قهر الرجال: أن يمر من كان عزيزا شريفا بجانب البقالة فيناديه صاحب البقالة: يا فلان استحي على نفسك وسلم حق الناس، أو أشتكى بك للشرطة.

قهر الرجال: أن يطالب بسداد الدين فلا يقدر فيهدد أن يشتكى به، فيرجع

إلى البيت ويموت بجلطة قهرا.

قهر الرجال: أن يدخل شهر رمضان ويرى الناس يتوافدون على الأسواق والمحلات التجارية وهو لا يجد قيمة أسطوانة الغاز والكيس الطحين.

قهر النساء: اتصلت لأهلي امرأة وتقول: إنها عجزت عن إكمال قضاء رمضان هي وبناتها؛ لأنها لا تجد ما تأكل، ولا يجدون إلا الماء، بل ذكرت أنها يوما كانت صائمة ولم تجد ما تأكل سوى كسرات من الخبز فأكلتها على ثومة يابسة، فأثر هذا على معدتها وأصبحت مريضة بسبب ذلك.

يا فالق الصبح أنت الواحد الأحد	أنت الكريم عليك الكل معتمد
أنزل غياثا فإن الفقر منتشر	إن الفقير كئيب الحال يتقَدُّ
إن الفقير بهمّ دائم وله	سُقم يحل وطفل ماله سَنَدُّ
إن الصيام وشهر الصوم مبتسم	قد حل ضيفا وإن الحزن يحْتَشِدُّ
إن الموظف بعد العز صَيْرُهُ	فَقَدُّ الرواتب رُوحاً مالها جسد
إن الموظف يبكي بعد عزته	طفلا يجوع وأُمُّ مالها أَحَدُّ
إن احتكار أناسٍ قُوت أمتهم	وقت الحروب ذئاب ملؤها الحسد
هذان دائي لأهل الخير أبعثه	إن السعادة بالإنفاق تَسْتَبِدُّ
يارب أنزل على الأوطان مَرَحمة	بها السعادة والأفراح والرَشَدُ ⁽¹⁾

(1) من كلماتي.

إخواني: ولست أعني بهؤلاء المساكين أولئك الذين يقومون في المساجد والأسواق والشوارع فحسب، بل أولئك الذين في البيوت أعزاء مع فقرهم أذلاء مع حاجتهم.

أخيراً:

شهر الصيام يلوح في الآفاق	بعظيم فضل الواحد الخلاق
ومواهب المولى يكاد ضياؤها	يكسو الوجود بفيضها الرقاق
يارب بلغنا ووقفنا وألحقنا	بأهل المسلك الدفاق
يارب واكشف كربنا فبلادنا	تشكو جحيم الموت والإملاق
عانت قوى الإجرام في أرجائها	بالقتل والتجويع والإرهاق
فالطف بنا وبأمة الإسلام يا	مُولي العطاء ومقسم الأرزاق
ضائق وليس لها سواك فجَلِّها	فهمونا تفتنى ولطفك باق

اللهم وفقنا لسلوك صراطك المستقيم، وجنبنا جميع ما يغضبك يا كريم، وأعدنا من عذاب القبر والجحيم، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.



فضائل شهر رمضان

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي فضل أوقات شهر رمضان على غيره من الأزمان، وأنزل فيه القرآن هدى وبينات من الهدى والفرقان، أحمده حمدا يليق بجلاله وعظيم صفاته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي أكرم هذه الأمة بما به تغفر ذنوبهم وتكفر خطيئاتهم، فله الحمد عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، وأشهد أن نبينا محمداً أفضل المرسلين وخاتم النبيين، صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

فاتقوا الله عباد الله حق التقوى فيها تنالون السعادة في الدنيا والآخرة:
﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (1).

أيها المؤمنون: إن شهر رمضان شهر مبارك، فيه فضائل ومزايا، وحكم وأسرار، وفيه أيضاً آداب وأحكام، ألا وإن شهر رمضان موسم عظيم يعظم الله فيه الأجر، ويجزل فيه المواهب، ويفتح فيه أبواب الخير لكل راغب.

هو شهر الخيرات والبركات، وشهر المنح والهبات، شهر محفوف بالرحمة والمغفرة والعتق من النار، اشتهرت بفضل هذا الشهر الأخبار،

(1) [الطلاق: 2:3].

وتواترت فيه الآثار.

أيها المؤمنون: إن شهر رمضان عطية من الله تعالى لأهل الإيمان، يُنزل عليهم الرضا والرضوان، ويكتب لهم بالصيام دخول الجنان من باب الريان، فالبشرى لمن أحسن فيه صيامه، وحافظ على قيامه وامتثل أحكامه وآدابه، والشقاء لمن لم يغفر الله له في شهر رمضان الذنوب والآثام.

ألا وإن مما يدل على فضيلة هذا الشهر وفضل الصيام فيه أمور منها:

أولاً: أن في هذا الشهر تفتح أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب النار:

فعن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إذا كان أول ليلة من رمضان صفت الشياطين مرده الجن، وغلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنان، فلم يغلق منها باب، ونادى مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، والله عتقاء من النار" (1).

وإنما تفتح أبواب الجنة لكثرة الأعمال الصالحة، وترغيباً للصائمين، وتغلق أبواب النار لقلّة المعاصي من أهل الإيمان.

ثانياً: ومن الفضائل لهذا الشهر كثرة أبواب المغفرة ورفع الدرجات في هذا

الشهر.

فتكثر في رمضان فرص العبد لنيل المغفرة من الله، وتتعدد أبواب الخير وتنوع طرق الحسنات، ولهذا جاء التهديد الشديد من أن يخرج هذا الشهر ولم

(1) صحيح ابن خزيمة (1883).

يغفر للإنسان فيه؛ لأنه إذا لم يغفر له في هذا الشهر مع وجود دواعي المغفرة وتوفر أسباب الرحمة فمتى سيغفر له؟!

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صعد المنبر، فقال: "أمين، آمين، آمين"، فقيل: "يا رسول الله، إنك حين صعدت المنبر، قلت: "أمين، آمين، آمين، آمين"؛ قال: "إن جبريل أتاني، فقال: من أدرك شهر رمضان فلم يُغفر له فدخل النار، فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين، ومن أدرك أبويه، أو أحدهما، فلم يبرهما، فمات، فدخل النار، فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين، ومن ذكرت عنده فلم يصلَّ عليك، فمات فدخل النار، فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين" ⁽¹⁾.

- ألا وإن من أبواب المغفرة في هذا الشهر:

- **الصيام المستكمل لواجباته وآدابه: فعن** أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من صام رمضان، إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه» ⁽²⁾.
ومعنى **إيماناً**: أي: إيماناً بوجوبه وعظمته، واحتساباً للأجر فيه.

- **القيام من التراويح وغيره من صلاة الليل: عن** أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه» ⁽³⁾.

(1) رواه ابن حبان (455).

(2) صحيح البخاري (38).

(3) صحيح البخاري (37).

- **وقيام ليلة القدر: فعن** أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»⁽¹⁾، ويدخل في هذا من صلى التراويح مع الإمام حتى ينصرف لقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من قام مع الإمام حتى ينصرف، كتب الله له قيام ليلة»⁽²⁾.

- **ومن أسباب المغفرة: الصدقة وتفطير الصائمين:** قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من فطر صائماً كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً»⁽³⁾.

وسئل رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أي الصدقة أفضل؟ قال: «صدقة في رمضان»⁽⁴⁾.

- **ومن الفضائل للصيام في هذا الشهر أن أجر الصيام فيه بلا حساب ولا عدد معين بل يعطى أجره بغير حساب.**

فعن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: "قال الله: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم؛ فإنه لي، وأنا أجزي به، يدع الطعام والشراب وشهوته من أجلي»⁽⁵⁾.

ما أروع كلمة: (فإنه لي وأنا أجزي به) فإنه لما كان الصيام عبادة خالصة

(1) صحيح البخاري (1901).

(2) سنن النسائي (1605).

(3) سنن الترمذي (807).

(4) سنن الترمذي (663).

(5) رواه ابن خزيمة (1898).

بين العبد وربّه تتجلى فيه المراقبة والاحتساب جازى الله عبده بأن أهبهم له الأجر كناية عن عظمته وجلاله.

- **ومن الفضائل أن الصيام يشفع لصاحبه يوم القيامة: فعن** عبد الله بن عمرو **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛** أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعتك الطعام والشهوات بالنهار، فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعتك النوم بالليل، فشفعني فيه، قال: فيشفعان" (1).

- **ومن الفضائل أن الصيام يباعد العبد عن النار ويدنيه من الجنة: فعن** أبي سعيد الخدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،** قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «من صام يوماً في سبيل الله، بَعَدَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا» (2).

- **ومن الفضائل أن فيه ليلةً هي خير من ألف شهر،** وسيأتي الحديث عنها إن شاء الله.

- **ومن الفضائل أن الملائكة تستغفر للصائمين حتى يفطروا،** والملائكة **﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾** (3) فهم جديرون بأن يستجيب الله دعاءهم للصائمين حيث أذن لهم ربهم بالاستغفار لهم، وإنما أذن لهم بذلك تنويها بشأن هذه الأمة ورفعة لذكرها وبياناً لفضيلة صومهم.

(1) مسند أحمد (6626).

(2) صحيح البخاري (2840).

(3) [الأنبياء: 26، 27].

والاستغفار طلب المغفرة وهو ستر الذنوب في الدنيا والآخرة والتجاوز عنها، وهو من أعلى المطالب وأسمى الغايات.

اللهم تقبل صيامنا واجعله شافعا لنا يوم نلقاك يا غفور رحيم، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي جعل في الصيام تكفيرا للسيئات ورفعة للدرجات، والصلاة والصلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. **أما بعد:**

أيها المؤمنون: الأدب عنوان فلاح المرء، ومناط سعادته في الدنيا والآخرة، وأكمل الأدب وأعظمه هو الأدب مع الله **جَلَّ وَعَلَا**، بتعظيم أمره ونهيه والقيام بحقه، ولذا فإن لكل عبادة آدابًا، فالصلاة لها آداب، والحج له آداب، والصوم كذلك له آداب عظيمة، لا يتم إلا بها، ولا يكمل إلا بأدائها.

وآداب الصيام منها ما هو واجب، يلزم العبد أن يحافظ عليها ويلتزم بها، ومنها ما هو مستحب يزداد العبد بفعلها أجراً وثواباً.

فمن الآداب الواجبة: أن يقوم الصائم بما أوجب الله عليه من العبادات القولية والفعلية، ومن أهمها الصلاة المفروضة، التي هي أكد أركان الإسلام بعد الشهادتين، فيجب على الصائم المحافظة عليها، والقيام بأركانها وشروطها، وعليه أن يؤديها مع جماعة المسلمين، وكل ذلك من التقوى التي شرع الصيام من أجلها.

ومن الخذلان أن بعض الناس يسهرون الليل كله ثم ينام النهار إلى العصر، ويترك صلاة الظهر، وقد يترك صلاة العصر، وترك الصلاة كبيرة من كبائر الذنوب وعظيمة من عظام الخطيئات، فاحذر أخي المسلم من التساهل في

تركها، وتأمل هذا الحديث وهذا العقاب العظيم في ترك صلاة واحدة فكيف بمن أصبح ترك الصلاة عنده عادة، **جاء في صحيح البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ عَنْ بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ حَبِطَ عَمَلُهُ» (1).

وفي صحيح مسلم رَحْمَةُ اللَّهِ عَنْ ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الَّذِي تَفُوَّتُهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ كَأَنَّمَا وَتَرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ» (2) أي كأنما ذهب عنه وهلك، وانتهى أهله فلم يبق منهم أحد، **قال الحافظ ابن عبد البر رَحْمَةُ اللَّهِ عَنْ** هذا الحديث: فالعاقِلُ العالمُ بمقدارِ هذا الخِطَابِ، يحزَنُ على فَوَاتِ صَلَاةِ الْعَصْرِ إن لم يُدْرِكْ منها ركعةً قبل غُرُوبِ الشَّمْسِ، أو قبل اصْفِرَارِهَا، فوق حُزْنِهِ على ذَهَابِ أَهْلِهِ ومَالِهِ (3). فكم صلاة تضيع على بعض الناس ولا يبالي بذلك، والله المستعان.

ومن الآداب الواجبة: أن يجتنب الصائم جميع ما حرم الله عليه من الأقوال والأفعال، فيحفظ لسانه عن الكذب والغيبة والنميمة والسب والشتم وفحش القول، ويحفظ بصره عن النظر إلى المحرمات، ويحفظ أذنه عن الاستماع للحرام، ويحفظ بطنه عن كل مكسب خبيث محرم.

وليس من العقل والحكمة أن يتقرب العبد إلى ربه بترك المباح كالطعام والشراب، ولا يتقرب إليه بترك ما حُرِّمَ عليه في كل حال، **ولهذا يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا فِي الصَّحِيحِ:** "من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع

(1) رواه البخاري (528).

(2) رواه مسلم (626).

(3) التمهيد (9/30).

طعامه وشرابه" (1).

وأمر الصائم بحفظ لسانه عن اللغو وفحش القول والجهل على الناس حتى وإن تعرض للأذى من غيره، يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الصيام جُنَّةٌ، وإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفُثْ، ولا يصخب، فإن سابه أحد، أو قاتله -أي أراد مضاربتة- فليقل إني امرؤ صائم" (2).

فحقيقة الصيام إذن ليست مجرد الإمساك عن المفطرات الحسية فحسب، فإن ذلك أهون ما في الأمر، **قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ**: قال بعض السلف: أهون الصيام ترك الشراب والطعام، **وقال جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء (3).

وهذا الحفظ للجوارح سواء في نهار رمضان أو في لياليه، فكم شخصٍ تراه حافظاً للسانه وسمعه وبصره في نهار رمضان فإذا جاء الليل تنقل في القنوات وفي الأفلام والمسلسلات، وهذا من أعظم الخسران وأكبر الحرمان، وهو دليل على ضعف الإيمان وضعف المراقبة لله تعالى، فوالله -يا أخي المسلم- إن هذه المسلسلات مما تفسد القلوب وتفسد الأخلاق، وتجلب الذنوب وتكثر السيئات، فاحذر منها فهي سموم قاتلة وسهام لإذهاب الغيرة ونشر الفحشاء صائبة.

(1) رواه البخاري (1903).

(2) رواه البخاري (1904).

(3) لطائف المعارف (277).

وأما الآداب المستحبة فمنها: السُّحُور، وهو الأكل آخر الليل، وقد أمر به

فقال: "تسحروا فإن في السُّحُور بركة" (1).

ومن الآداب المستحبة: تعجيل الفطر عند غروب الشمس، قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه: "لا

يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر" (2).

وينبغي للصائم أن يحرص على الدعاء عند فطره، فإن للصائم عند فطره

دعوة لا تُردُّ، ويُسن له أن يقول: ذهب الظمأ، وَابْتَلَّتِ العروق، وثبت الأجر إن

شاء الله (3).

ومن آداب الصيام المستحبة: كثرة قراءة القرآن والذكر والدعاء والصدقة،

والاستكثار من أنواع الخير والعمل الصالح.

اللهم تقبل منا يسير الأعمال، وتجاوز عن إساءتنا في الأقوال والأفعال،

وسامحنا عن الغفلة والإهمال، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين،

برحمتك يا أرحم الراحمين.

(1) البخاري (1923) ومسلم (1065).

(2) رواه البخاري (1957) ومسلم (1098).

(3) رواه أبو داود (2357).



في وداع رمضان

الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ عَلَى جَمِيعِ نِعْمَةِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ (1)، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْقَائِلُ ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (2)، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ وَصَفِيهِ مِنْ خَلْقِهِ وَخَلِيلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، **أَمَّا بَعْدُ:**

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ حَقَّ التَّقْوَى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (3).

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الصَّائِمُونَ: هَذَا هُوَ شَهْرُ رَمَضَانَ قَدْ قَرَّبَ رَحِيلَهُ وَأَزْفَ تَحْوِيلَهُ، فَعَمَّا قَرِيبٍ يُوَدِّعُنَا هَذَا الضَّيْفَ الْكَرِيمَ، وَيَتْرَكُنَا هَذَا الشَّهْرَ الْعَظِيمَ، شَهْرٌ كَثِيرٌ خَيْرُهُ عَظِيمٌ بِهِ جَزِيلَةٌ بِرُكَّتِهِ، فَنَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي يَسِّرُ لَنَا صِيَامَهُ وَقِيَامَهُ أَنْ يَتَّقِبَلَهُ مِنَّا وَأَنْ يَجْعَلَهُ شَاهِدًا لَنَا لَا عَلَيْنَا.

مَعَاشِرَ الصَّائِمِينَ: هَذَا الضَّيْفُ يُوْشِكُ أَنْ يَرْحَلَ عَنَّا، وَمَنْ النَّاسُ مِنْ أَحْسَنِ

(1) [النحل: 18].

(2) [النور: 44].

(3) [الحشر: 18].

وفادته وأكرم زيارته وأجمل ضيافته، ومن الناس من رحل عنه رمضان وهو يحمل له أسوأ الذكريات، إن رمضان وهو على وشك الرحيل يعلن فينا أن كل شيء إلى فوات، وكل جمعٍ إلى شتات، إن هذا الشهر الكريم يعلن فينا أنه لا قيمة إلا بالإيمان، ولا نجاة إلا بالتقوى، ولا فوز إلا بالطاعة، ولا ينال الدرجات العلاء إلا رجل مجاهد لنفسه، مشمر عن سواعد الجِدِّ، مقبل على الطاعات، مُدبِّرٌ عن المعاصي والسيئات، إنما هي أيام قلائل وإذ أنتم قد ودعتم شهراً كريماً وجاوزتم موسماً عظيماً، وكأنما استقبلتموه قبل يومين أو ثلاثاً.

إي والله لقد مضت أيام شهرنا الكريم ولياليه العظيمة وكأنما هي ساعات معدودة.

مضى رمضانُ أو كأي به مضى	وغاب سَنَاهُ بعد ما كان أو مضاً
فيا عهدَه ما كان أكرم معهداً	ويا عصرَه أعز عليَّ أن انقضى
ألمَّ بنا كالطيف في الصيف زائراً	فخيم فينا ساعة ثم قوّضاً
فيا ليت شعري إذ نوى غربة النوى	أبالسخط عنا قد تولى أم الرضا
فلله من شهر كريم تعرضت	مكارمه إلا لمن كان أعرضاً ⁽¹⁾

وها نحن نودع هذا الشهر المبارك نذكر همسات الوداع، فأحسنوا وداع شهركم، وضاعفوا الاجتهاد في هذه الليالي الباقية، استدركوها بكثرة الطاعات وتلاوة الآيات والاشتغال بالذكر وكثرة الصدقات والتوبة إلى الله مما سلف من

(1) الإحاطة في أخبار غرناطة (2/234).

الزلات، فإن العاقل الرشيد من ينتهز فرص العمر ويعتتم مواسم الخير ليمحو السيئات بالحسنات، فإن الحسنات يذهبن السيئات والأعمال بالخواتيم.

ولتذكر بمضي الليل والنهار سرعة انقضاء الأعمار وقرب الرحيل من هذه الديار، فكم لنا من المواعظ فيمن نعرف فارقوا المنازل والقصور وما كانوا به من النعيم والحبور، وسكنوا الأجداث والقبور، فإن السعيد من وعظ بغيره واتعظ وعقل عن الله أمره، وإن الشقي من فرط في ماضيه، ولم ينتفع من أيامه ولياليه، ولم يتدارك بقية عمره في الإنابة إلى خالقه وباريه ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

أيها المؤمنون: استمروا في طلب الليلة العظيمة، ليلة العتق والمباهاة، ليلة القرب والمناجاة، ليلة القدر، ليلة نزول القرآن، ليلة الرحمة والغفران، ليلة هي خير من ألف شهر، من قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، فيا حسرة من فاتته هذه الليلة في سنواته الماضية، ويا أسفى على من لم يجتهد فيها في الليالي القادمة.

فيا حُسْنَهَا من ليلة جَلَّ قدرها وحرَضَّ عليها الهاشميُّ وحرَضَا
لعل بقايا الشهر وهي كريمة تُبَيِّنُ سِرَالِ الأواخر أغمضا
جزاه إله العرش خير جزائه وأكرمنا بالعفو منه وبالرضا⁽¹⁾

وهذه نصيحة إلى أولئك الذين يضيعون أوقاتهم في الأسواق: لا تفسدوا

(1) الإحاطة في أخبار غرناطة (2/234).

صفو الليالي ببعض المنكرات التي تفسد الجنان وتجلب الأحزان، وتؤنب الضمائر وتقلق الخواطر، فقد اعتكف بعض الناس في هذه الليالي في الأسواق ومحلاتها مضيعين للفرائض من الصلوات أو من ليس له عمل ناظرين إلى المحرمات وتهافتوا على المراكز التجارية وغيرها من الأسواق التي يكثر فيها النساء، وبعض الناس تسمروا أمام القنوات وشاشاتها، فإلى هؤلاء: ماذا قدموا للآخرة؟ وماذا قدموا للقبور وظلماتها؟ والقيامة وعرصاتها، والنار ودركاتها، والجنة ودرجاتها، متى يغفر لمن لا يغفر له في هذا الشهر؟ متى يُقبل من رُدَّ في ليلة القدر؟ متى يتوب من لم يتب في رمضان؟ فتب إلى ربك، واستدرك ما بقي من شهرك، وابتك على خطيئتك لعلك تلحق بركب المقبولين.

غَدًا تُوَفِّي النُّفُوسُ مَا كَسَبَتْ وَيَحْصُدُ الزَّارِعُونَ مَا زَرَعُوا
 إِنَّ أَحْسَنُوا أَحْسَنُوا لِأَنْفُسِهِمْ وَإِنْ أَسَاءُوا فَبِئْسَ مَا صَنَعُوا⁽¹⁾

قلوب المتقين إلى هذا الشهر تحنُّ ومن ألم فراقه تننُّ
 دَهَاكَ الْفِرَاقُ فَمَا تَصْنَعُ أَتَصْبِرُ لِلْبَلْبَلِ أَمْ تَجْزَعُ
 إِذَا كُنْتَ تَبْكِي وَهُمْ جِيرَةٌ فَكَيْفَ تَكُونُ إِذَا وُدَّعُوا⁽²⁾

ومن فرط في الزرع وقت البذار لم يحصد يوم الحصاد غير الندم والخسران.

(1) المدهش ص 481

(2) لطائف المعارف ص 486

يَا غَافِلًا وَلِيَالِي الصَّوْمِ قَدْ ذَهَبَتْ زَادَتْ خَطَايَاكَ قِفْ بِالْبَابِ وَأَبْكِيهَا
وَأَغْنِمْ بَقِيَّةَ هَذَا الشَّهْرِ تَحْظُ بِمَا غَرَسْتَهُ مِنْ ثَمَارِ الْخَيْرِ تَجْنِيهَا (1)

وقفنا الله وإياكم لفعل الطاعات، وترك الذنوب والخطيئات، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين الذي تفضل علينا بهذا الشهر الفضيل، والصلاة والسلام على رسول الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

أيها المؤمنون: جاء القرآن الكريم والسنة النبوية بالترهيب الشديد من ترك الزكاة والتهاون في إخراجها فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (1).

وعن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: "مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مِثْلَ لَهُ مَالُهُ شُجَاعًا أَقْرَعَ، لَهُ زَبَيْتَانِ، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَأْخُذُ بِلَهْزَمَتَيْهِ - يَعْنِي بِشَدَقِيهِ - يَقُولُ: أَنَا مَالِكٌ أَنَا كَنْزُكَ، ثُمَّ تَلَا: (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ) " الآية (2).

والزكاة في الإسلام أول نظام عرفته البشرية لتحقيق الرعاية للمحتاجين والعدالة الاجتماعية بين أفراد المجتمع.

وأحكام الزكاة باختصار:

الزكاة تجب في أربعة أصناف: الخارج من الأرض من الحبوب والثمار،

(1) [التوبة: 34].

(2) صحيح البخاري (1403).

والسائمة من بهيمة الأنعام، الإبل والبقر والغنم، والذهب والفضة، وعروض التجارة، ولكل هذه الأصناف نصاب محدد لا تجب الزكاة فيما دونه.

فنصاب الحبوب والثمار خمسة أوسق، والوسق ستون صاعاً بصاع النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فيكون مقدار النصاب بصاع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من التمر والزبيب والحنطة والأرز والشعير ونحوها ثلاثمائة صاع، والواجب في الزروع والثمار العُشر إذا كانت تسقى بغير كلفة كالأمطار والعيون الجارية، وإذا كانت تسقى بمئونة وكلفة مثل المكائن الرافعة فالواجب فيها نصف العشر، وأما نصاب الإبل والبقر والغنم ففيه تفصيل مبين في الأحاديث الصحيحة، وأما نصاب الذهب والفضة فيشترط في وجوب زكاة الذهب أن يبلغ نصاباً وأن يحول عليه الحول.

ونصاب الذهب كما جاء في عدة أحاديث، منها عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "إذا كان لك عشرون ديناراً؛ وحال عليها الحول ففيها نصف دينار، فما زاد فبحساب ذلك، وليس في مال زكاة حتى يحول عليه الحول"⁽¹⁾.

ولحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً: (ليس في أقل من عشرين مثقالاً من الذهب ولا في أقل من مائتي درهم صدقة)⁽²⁾.

والدينار يساوي أربعة جرام وربع، ونحن إذا ضربنا أربعة جرام وربع في

(1) رواه أبو داود (1573).

(2) رواه أبو عبيد في الأموال (1291) وصححه العلامة الألباني في الإرواء (292/3).

عشرين يكون الناتج خمسة وثمانين جراما.

فمن ملك أو ملكت خمسة وثمانين جراما من الذهب الخالص الذي هو عيار (24) وحال عليه الحول وجب في ذلك الزكاة.

وإذا كان الذهب مخلوطا بغيره من النحاس والأحجار الكريمة وغير ذلك وهو المعروف بعيار واحد وعشرين وغيره مما هو أقل، مثل عيار ثمانية عشر، فنصابه يكون بحسب وجود الذهب فيه.

أما نصاب الذهب الذي هو عيار واحد وعشرين فهو سبعة وتسعون جراما، وليس خمسة وثمانين جراما كما يطلقه بعض الدعاة لأنه ليس ذهبا خالصا مثل عيار 24، وطريقة حساب النصاب كالتالي: ضرب أربعة وعشرين، في خمسة وثمانين، قسمة واحد وعشرين، والناتج هو النصاب، وهو سبعة وتسعون جراما.

فنصاب عيار 24 هو 85 جراما، ونصاب عيار 21 هو 97 جراما، وهو الأكثر تداولاً في الأسواق هذه الأيام.

توضيح ذلك:

عيار أربعة وعشرون هو الذهب الخالص، ونصاب هذا الذهب الخالص هو خمسة وثمانون جراما.

وعيار واحد وعشرون وهو الذهب المخلوط بغيره عند الصنع، ونصاب

هذا الذهب سبعة وتسعون جراما.

فمن ملك أو ملكت سبعة وتسعين جراما من الذهب عيار واحد وعشرين وحال عليه الحول وجب فيه الزكاة وإذا كان أقل فلا زكاة فيه.

وبهذا ينبغي التنبه إلى خطأ من يُطلق أن من ملك (85) جراما يزكي دون أن يتنبه لهذا التفصيل المذكور.

وأما زكاة المال:

فقد تقدم أن نصاب الذهب (85) جراما من الذهب الخالص، وهو هذه الأيام عيار (24)، أو (97) من عيار (21) وهو الذهب المخلوط معه غيره، وعيار (21) هو المشهور الموجود في الأسواق هذه الأيام.

والصحيح من أقوال أهل العلم أن الأوراق النقدية تعامل معاملة الذهب وتقوم مقامها، فمن كان يملك من المال ما يعادل (85) جراما من الذهب الخالص، أو (97) جراما من الذهب المخلوط، وحال عليه الحول فقد وجب عليه الزكاة، وإذا كان المال أقل من النصاب فلا زكاة فيه.

وطريقة حساب ذلك هو ضرب (97) جراما، في سعر الجرام في يوم دفع الزكاة، وما نتج فهو بداية حساب النصاب.

مثال ذلك:

لو ضربنا (97) جراما، في سعر الجرام اليوم (30) ألفا، سيكون الناتج

اثنين مليون وتسعمائة وعشرة ألف ريال يميني، فمن ملك هذا القدر من المال أو أكثر وحال عليه الحول فقد وجب عليه الزكاة، وإذا نقص المال عن النصاب أثناء الحول فقد سقط وجوب الزكاة عنه، فإذا بلغ النصاب بعد ذلك فيبدأ حساب الحول مرة أخرى من وقت بلوغه النصاب مرة أخرى.

وهذه الطريقة هي طريقة عامة سواء في الريال اليمني أو غيره من الأوراق النقدية.

ومن قال: إن المال والأوراق النقدية تقوم مقام الفضة مستدلاً بقولهم: إن هذا هو الأنفع للفقير، فهذا القول خطأ؛ لأن الأصل في أموال الناس أنه لا يجب عليهم شيء إلا بدليل يقيني، والذهب هو الذي يتعامل به الناس اليوم في كل مكان ولا يكاد يوجد ذكر للفضة في التعاملات المالية.

وطريقة إخراج زكاة المال هو أن تقسم المال الذي وجب فيه الزكاة على أربعين، فما نتج فهو الزكاة.

وأما العروض المعدة للبيع وهي السلع التجارية فإنها تُقَوَّم في نهاية العام ويخرج ربع عشرها سواء كانت قيمتها مثل ثمنها أو أكثر أو أقل ويدخل في هذا الأراضي المعدة للبيع والعمارات والسيارات والمكائن الرافعة وغير ذلك من الأصناف المعدة للبيع.

وقد ذهب بعض العلماء في الأرض المعدة للبيع أنها تزكى مرة واحدة عند بيعها.

وأما العمارات المعدة للإيجار لا للبيع فلا زكاة فيها إلا إذا كان محتفظا بالمال الذي يأخذه من الإيجار وبلغ النصاب وحال عليه الحول.

وأما زكاة الفطر فيخرج عن كل شخص اثنين كيلو ونصف إلى ثلاثة كيلو، سواء كان أرزا أو برا أو دقيقا، والصحيح من أقوال العلماء أنها لا تدفع نقودا إلا إذا كان هذا الذي يأخذ النقود سيشتري به طعاما ويوزعها على الفقراء والمساكين، مالم توجد ضرورة في المسكين الذي سيعطى زكاة الفطر من مرض وغيره فيستفيد من المال أكثر من الطعام، ووقت زكاة الفطر ليلة العيد أو يوم العيد قبل صلاة العيد، ويجوز أن تدفع قبل العيد بيوم أو يومين، ولا يجوز تأخيرها، ومن أخرها متعمدا استحق الإثم ووجب عليه دفعها، ومن نسي لم يأثم ويجب عليه دفعها

وفي الختام: عبد الله أمة الله: لأي يوم أخرت توبتك؟ ولأي يوم ادخرت عدتك؟ فدونك هذه الليالي الباقية وما بعدها، فقد تكون آخر ليال في حياتك اغتنمها واجعلها البداية والنهاية والأعمال بالخواتيم:

شَهْرُ الصَّيَامِ إِلَهَ الْعَرْشِ مُرْتَجِلٌ وَكُلُّ ذَنْبٍ صَغِيرٍ دُونَهُ الْجَبَلُ
فَجَدُ بَعْفُوٍ وَتَوَفِينِي فَلَيْسَ لَنَا سِوَاكَ يَرْحَمُنَا فَالْمُخْتَوَى جَلُّ
وَأَنْتَ أَنْتَ إِلَهَ الْعَرْشِ ذُو كَرَمٍ مَنْ حَازَ مِنْكَ رِضًا مَا ضَرَّهُ زَلُّ
صَلَّى إِلَهَهُ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضِرِّ وَالْآلِ وَالصَّحْبِ مَا الْأَمْطَارُ تَنْهَمِلُ⁽¹⁾

فودعوا رمضان بمثل ما استقبلتموه بالعزم على الطاعات والاستمرار بفعل الخيرات والمحافظة على الصلوات في المساجد والمداومة على تلاوة القرآن:

ترحلت يا شهر الصيام بصومنا وقد كنت أنواراً بكل مكان
لئن فنيت أيامك الزهر بعتة فما الحزن من قلبي عليك بفان
عليك سلام الله كن شاهداً لنا بخير رعاك الله من رمضان⁽¹⁾

اللهم ألهمنا ذكرك وشكرك، ووفقنا لما وفقك له الصالحين من خلقك، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.



العشر من ذي الحجة وفضائلها

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾⁽¹⁾، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾⁽²⁾، **وأشهد** أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾⁽³⁾.

أيها المؤمنون: ما زالت نعم الله تتوالى على عباده العاملين للخيرات، والمسابقين للطاعات، والمسارعين للعبادات، وهذا من فضل الله **عَزَّوَجَلَّ** الكريم، أن مَنْ عَلَىٰ عِبَادِهِ بِأَيَّامِ مَبَارَكَةِ يَضَاعَفُ لَهُمُ الْأَجْرُ وَيُعْطِيهِمْ فِيهَا جَزِيلَ الثَّوَابِ، وهذا الموسم العظيم الذي هو العشر الأول من ذي الحجة الذي قد حل علينا وهو موسم يترقبه المؤمنون، ويشتاق إليه عباد الله الموحدون، رفعا للدرجات، واستدراكا للنقص، وتعويضا لما يكون فاتهم من الخير.

(1) [آل عمران: 133].

(2) [المطففين: 24].

(3) [الحشر: 18].

والمؤمن الحريص يستغل مثل هذه المواسم لعل الله تعالى أن يغفر له بذلك الزلات، يمحو عنه الخطيئات، ويرفع له الدرجات، **ولقد قال النبي** صلى الله عليه وسلم: «إن لربكم عزَّجَلَّ في أيام دهركم نفحات، فتعرضوا لها، لعل أحدكم أن تصيبه منها نفحة لا يشقى بعدها أبدا»⁽¹⁾.

والسعيد أيها الأخوة من اغتنم مواسم الشهور والأيام واللحظات، **قال مجاهد** عليه رحمة الله وهو تلميذ ابن عباس رضي الله عنهما: "مَا مِنْ يَوْمٍ إِلَّا يَقُولُ: ابْنِ آدَمَ قَدْ دَخَلْتَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، وَلَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ بَعْدَ الْيَوْمِ أَبَدًا، فَاظْطُرْ مَاذَا تَعْمَلُ فِيَّ، فَإِذَا انْقَضَى طَوَاهُ، ثُمَّ يُحْتَمِ عَلَيْهِ فَلَا يُفَكُّ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُفْضُ ذَلِكَ الْخَاتَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَقُولُ الْيَوْمَ حِينَ يَنْقَضِي: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرَاخِي مِنَ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا، وَلَا لَيْلَةٌ تَدْخُلُ عَلَى النَّاسِ إِلَّا قَالَتْ كَذَلِكَ"⁽²⁾.

وعن شهر بن حوشب رحمة الله، قال: "مَا مَضَى يَوْمٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَقُولُ عِنْدَ مُضِيِّهِ: أَيُّهَا النَّاسُ، أَنَا الَّذِي قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ جَدِيدًا، وَقَدْ حَانَ مِنِّي تَصَرُّمٌ، فَلَا يَسْتَطِيعُ مُحْسِنٌ أَنْ يَزِدَادَ فِي إِحْسَانِهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ مُسِيءٌ أَنْ يَسْتَعْتَبَ فِيَّ مِنْ إِسَاءَتِهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْنِي الْيَوْمَ الْعَقِيمَ، ثُمَّ يَذْهَبُ" قال بدر أحد رواة الأثر: **وبلغني أن الليل يقول مثل ذلك**⁽³⁾.

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، إذا قعد يقول: «إِنَّكُمْ فِي مَمَرِّ اللَّيْلِ

(1) المعجم الأوسط (2856).

(2) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (292 / 3).

(3) الزهد لابن أبي الدنيا (ص 282).

وَالنَّهَارِ فِي آجَالٍ مَّنْقُوصَةٍ، وَأَعْمَالٍ مَحْفُوظَةٍ، وَالْمَوْتُ يَأْتِي بَغْتَةً، فَمَنْ زَرَعَ خَيْرًا يُوْشِكُ أَنْ يَحْصُدَ رَغْبَةً، وَمَنْ زَرَعَ شَرًّا يُوْشِكُ أَنْ يَحْصُدَ نَدَامَةً، وَلِكُلِّ زَارِعٍ مَا زَرَعَ»⁽¹⁾.

أيها المؤمنون: ها هي قد حلت علينا أيام العشر من ذي الحجة، وهي أيام فاضلة وأيام مباركة، فتأملوا رحمتنا الله وأياكم في الفضائل التي سنذكرها لنعلم جميعاً عظمة هذه الأيام وفضلها حتى نسارع إلى استغلالها بالأعمال الصالحات والابتعاد عن المحرمات.

ألا أن من فضائل هذه الأيام:

أولاً: أنها أفضل أيام الدنيا على الإطلاق. جاء في صحيح البخاري عليه رحمة الله، **عن** ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قال: قال رسول الله **ﷺ**: «ما العمل في أيام أفضل منها في هذه؟» قالوا: ولا الجهاد؟ قال: «ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء»⁽²⁾.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد دلَّ هذا الحديث على أن العمل في أيامه أحبُّ إلى الله من العمل في أيام الدنيا من غير استثناء شيء منها، وإذا كان أحبَّ إلى الله فهو أفضل عنده، وإذا كان العمل في أيام العشر أفضل وأحبَّ إلى الله من العمل في غيره من أيام السنة كلها، صار العمل فيه - وإن كان مفضولاً - أفضل

(1) الزهد لأبي داود (159).

(2) صحيح البخاري (969).

من العمل في غيره وإن كان فاضلاً⁽¹⁾.

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أن رسول الله ﷺ قال: "أفضل أيام الدنيا العشر - يعني: عشر ذي الحجة -" قيل: ولا مثلهن في سبيل الله؟ قال: "ولا مثلهن في سبيل الله، إلا رجل عَفَّرَ وجهه بالتراب"⁽²⁾.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (أفضل أيام الدنيا أيام العشر) والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع أمهات العبادات فيه، وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج، ولا يتأتى ذلك في غيره⁽³⁾.

إنَّ كلَّ حسنة تعملها في العشر من ذي الحجة فهي أفضل من أي حسنة تعملها في سائر أيام العام، فالصلاة فريضة أو نفلا في هذه العشر أفضل من الصلاة في سائر العام وقراءة القرآن والذكر والدعاء والتضرع إلى الله عَزَّوَجَلَّ والصدقات وقضاء حوائج الناس وغيرها من الأعمال الصالحة هي أفضل في هذه العشر من أيام غيرها.

فهل من مشمر للمسابقة لهذا الفضل العظيم؟ وهل من مسارع لهذا الأجر الكريم؟ وهل من مقبل على الطاعات في هذه العشر المباركات؟

ثانياً: ومن فضائل هذه الأيام العشر: أن الله عَزَّوَجَلَّ أقسمَ بلياليها، فقال

(1) لطائف المعارف (ص 456).

(2) البزار كما في كشف الأستار (1128).

(3) فتح الباري (2/4600).

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿وَالْفَجْرِ وَكَيْالٍ عَشْرِ﴾⁽¹⁾، والعظيم لا يقسم إلا بعظيم، قال الحافظ ابن كثير عليه رحمة الله: والليالي العشر: المراد بها عشر ذي الحجة، كما قاله ابن عباس، وابن الزبير، ومجاهد، وغير واحد من السلف والخلف⁽²⁾.

وقد جاء في مسند الإمام أحمد رَحْمَةُ اللَّهِ عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: "إن العشر عشر الأضحى، والوتر يوم عرفة، والشفع يوم النحر"⁽³⁾.

ثالثا: ومن فضائل أيام العشر: أنها الأيام المعلومات التي شرع الله فيها ذكره. **قال جَلَّ وَعَلَا:** ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾⁽⁴⁾. والأيام المعلومات هي العشر من ذي الحجة، والذكر لله عبادة عظيمة، فلما كان الذكر من أفضل العبادات حث عليه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في أفضل الأيام، ولو لم يكن لها فضل عظيم لما حث على هذه العبادة العظيمة في هذه الأيام العظيمة.

رابعا: ومن فضائل العشر: أن فيها يوم عرفة، ويوم النحر اللذين هما من أفضل الأيام، وسيأتي الحديث عن فضائل هذين اليومين إن شاء الله **عَزَّجَلَّ** في خطبة قادمة.

(1) [الفجر: 1].

(2) تفسير ابن كثير (8/390).

(3) مسند أحمد ط الرسالة (14511).

(4) [الحج: 28].

خامسا: ومن فضائلها أنها الأيام التي أتم الله فيها لموسى الميقات، كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ﴾⁽¹⁾، قال مجاهد عليه رحمة الله: هي عشر ذي الحجة⁽²⁾.

إخواني المسلمین: لقد كان الصالحون يعظمون هذه العشر تعظيما شديدا لمعرفة أنهم أن الله عزَّ وجلَّ عظمها، حتى إنهم كانوا يجتهدون فيها كما يجتهدون في العشر الأواخر من رمضان لمعرفة فضلها والأجور المترتبة على ذلك، جاء في ترجمة سعيد ابن جبير عليه رحمة الله أنه كان إذا دخلت عليه العشر اجتهد اجتهادا شديدا حتى ما يكاد يقدر عليه⁽³⁾. **وكان رَحْمَةُ اللَّهِ** يقول: لا تطفئوا سرجكم ليالي العشر، تعجبه العبادة فيها⁽⁴⁾.

والسعيد من سمع فعمل وسارع ولم يكسل ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

اسأل الله عزَّ وجلَّ أن يوفقنا وإياكم لطاعته، وأن يجنبنا وإياكم أسباب سخطه، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، فيا فوز المستغفرين.

(1) [الأعراف: 142].

(2) تفسير الطبري (13 / 86).

(3) لطائف المعارف (ص 40).

(4) حلية الأولياء (4 / 281).

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أحيانا لبلوغ هذه الأيام الفاضلات، ونسأله أن يوفقنا لمرضاته فيها بقبول الحسنات والطاعات، والصلاة والسلام نبينا محمد سيد الأنام وعلى آله وأصحابه أجمعين. **أما بعد:**

أيها المؤمنون: وقد يقول قائل ما هي العبادات التي تستحق الإكثار منها، والإقبال عليها في هذه الأيام؟

والجواب: أن كل طاعة تقربك من الله **عَزَّوَجَلَّ** فأقبل عليها فإنها مضاعفة هذه الأيام، ولقد جاءت الآثار من السنة النبوية ومن فعل السلف الصالح رضوان الله عليهم أنهم كانوا يقبلون على بعض العبادات والأعمال الصالحة أكثر من غيرها لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حث عليها ورغب بها، **ومن ذلك:**

أولاً: الإكثار من ذكر الله **عَزَّوَجَلَّ** وقراءة القرآن وسائر أنواع الأذكار، **جاء في مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ، عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:** "ما من أيام أعظم عند الله، ولا أحبُّ إليه من العمل فيهنَّ، من هذه الأيام العشر، فأكثرُوا فيهنَّ من التهليل والتكبير والتحميد"⁽¹⁾. **وفي رواية ابن عباس:** "ليس من أيام أفضل العمل فيهن من هذه الأيام، يعني أيام العشر، فإنها أيام تهليل وتكبير"⁽²⁾.

(1) مسند أحمد (6154).

(2) مستد البزار (4930).

فتأملوا رحمكم الله قوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه: (فأكثرُوا فيهن) فهل سنمتمثلُ أمره صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

ونكثر هذه الأذكار.

وأفضل ذكر الله عزَّجَلَّ قراءة القرآن، فما أحسن أن يكون لك ختمة أو ختمتان في هذه العشر حتى يضاعف لك فيها الأجر ويكثر لك فيها الثواب، فإن أجر القراءة في هذه العشر أفضل وأعظم من قراءة القرآن في غيرها كما تقدم.

ثانيا: ومن الأعمال المستحبة في هذه العشر أيضا الصوم.

وفضل الصوم في هذه الأيام داخل في الأعمال الصالحة التي قال فيها صلى الله عليه وعلى آله وصحبه:

"ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام العشر"، بل **جاء في**

سنن أبي داود رَحِمَهُ اللهُ عَنْ بعض أزواج النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

يَصُومُ تِسْعَ ذِي الْحِجَّةِ، وَيَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ أَوَّلَ اثْنَيْنِ مِنَ الشَّهْرِ وَالْخَمِيسِ»⁽¹⁾.

ثالثا: ومن الأعمال الصالحة في هذه الأيام الصدقات، خصوصا على الفقراء

والمساكين الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، ولو أن صاحب المال بحث عن الفقراء والمساكين بنفسه أو طلب من طالب علم أو إمام مسجد أو خطيب أو ممن يعرفون الفقراء والمساكين أن يدلّه على الفقراء والمساكين لكان خيرا؛ لأن كثيرا من الفقراء والمساكين يأتون إلى هؤلاء ويطلبون منهم أن يدلّوا الناس عليهم أو يعرفون أماكنهم، خصوصا من كان عزيزا لا يحب أن

(1) سنن أبي داود (2437).

يظهر للناس فقره وحاجته، وقد كثر الفقر واشتدت الحاجة عند كثير من الناس حتى أصبحت هذه العبادة - أيها الإخوة - من أهم العبادات خصوصا في أوقات المناسبات التي يحتاج إليها بعض الآباء إلى إسعاد أبنائهم وبناتهم.

ولقد رأيت رجلا ذا هيئة حسنة، وكأنه كان في نعمة فذهبت عنه يأتي إلى إحدى المؤسسات لطلب لحم الأضحية فتم رده بطريقة محزنة فدمعت عيناه وانصرف.

وحدثني أحد الإخوة قائلا: تعرف فلانا الذي يصلي معنا في المسجد؟ قال: كان هذا يُفطر الصائمين كل يوم في رمضان، ثم أصبح في فقر شديد بسبب وضع البلاد وانقطاع الرواتب، وانقطاع فرص العمل.

وَيَأْتِي إِلَيْكَ الْخَيْرُ مُبْتَسِمَ الْبَشْرِ	إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْقَ السَّعَادَةَ وَالْهِنَا
سَبِيلٌ إِلَى كُلِّ السَّعَادَةِ وَالْيُسْرِ	فَسَارِعْ إِلَى نَفْعِ الْأَنْامِ فَإِنَّهُ
فَبَادِرْ وَفِيهَا الْفَضْلُ فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ	وَقَدْ جَاءَتِ الْعَشْرُ الْبَهِيَّةُ يَا أَخِي
بِمَالٍ عَلَى شَخْصٍ أَدَلَّ مِنَ الْفَقْرِ	وَأَجْمَلُ شَيْءٍ فِي الْعِبَادَةِ فَرِحَةٌ
عَلَى خُدْهِمْ جُوعًا كَغَيْثٍ مِنَ الْقَطْرِ	فَكَمْ مِنْ عَزِيزٍ فِي الْبُيُوتِ وَدَمْعُهُمْ
فَجَاءَتْ سِهَامُ الذُّلِّ فِي سَاعَةِ الْغَدْرِ (1)	وَكَانُوا بَعْزٍ فِي الزَّمَانِ وَنِعْمَةٌ

أخيرا: من العبادات التي حث عليها الشرع الحنيف حثا شديدا في هذه العشر التكبير والتهليل. أي: قول لا إله إلا الله.

والتكبير كما يقول العلماء نوعان. مطلق ومقيد. فالتكبير المطلق يبدأ من بداية العشر، وهو في كل وقت في البيوت والأسواق والشوارع، ولقد كان ابن عمر وأبو هريرة رضي الله تعالى عنهما يخرجان إلى السوق أيام العشر يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما⁽¹⁾.

يقول ميمون بن مهران وهو من التابعين الذين شاهدوا أصحاب النبي ﷺ: قال: "أدرت الناس وإنهم ليكبرون في العشر، حتى كنت أشبهه بالأموج من كثرتها، أي من كثرة التكبير. ويقول: إن الناس قد نقصوا في تركهم التكبير"⁽²⁾.

والتكبير المقيد يبدأ من فجر يوم عرفة إلى عصر ثالث أيام التشريق، ويكون أدبار الصلوات.

والصحيح أن التكبير يجوز جماعة بصوت واحد، كما يجوز فرادى، ومن قال: إن التكبير جماعة بدعة ففي قوله نظر، بل هو قول غير صحيح، والأثار السابقة تشهد لذلك وتدل على أنهم كانوا يكبرون جماعة وفرادى.

فسابق أخي المسلم إلى فعل الطاعات، وسارع إلى عمل الخيرات، واحذر من الذنوب والخطيئات.

أسأل الله عزَّوَجَلَّ أن يوفقنا وإياكم لاستغلال هذه الأيام المباركات لتكون من المقبولين.

(1) صحيح البخاري (1/329).

(2) فتح الباري لابن رجب (9/9).



فضل يوم عرفة والنحر

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾⁽¹⁾، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾⁽²⁾، **وأشهد** أن محمدا عبده ورسوله القائل في قوله تعالى: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾⁽³⁾ «الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْيَوْمِ الْمَشْهُودِ يَوْمَ عَرَفَةَ، وَالشَّاهِدِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ»⁽⁴⁾، صلى على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

أيها المؤمنون: ها نحن بحمد الله نعيش في أفضل أيام الدنيا، في أيام تضاعف فيه الحسنات، وتفضل فيه جميع الطاعات، وتكفر فيه السيئات، وترفع فيه الدرجات، أيام من حُرِمَ خيرها فهو محروم من خير كثير، وأجر جزيل وثواب عظيم وفضل عظيم.

(1) [المائدة:3].

(2) [الحج:27].

(3) [البروج:3].

(4) سنن الترمذي (3339).

ولقد تقدم معنا في الخطبة الماضية الحديث عن فضل هذه الأيام، وبقي معنا الحديث عن فضل يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق، وبعض أحكام الأضحية، وهذا ما سنتحدث عنه إن شاء الله عزَّجَلَّ في هذه الخطبة.

أولاً: فضل يوم عرفة:

أيها الناس: إن ليوم عرفة فضلا كبيرا وشرفا عظيما، ويظهر هذا الفضل والشرف لهذا اليوم في الأمور الآتية:

أولاً: أن يوم عرفة هو اليوم الذي أكمل الله عزَّجَلَّ فيه الدين وأتم فيه النعمة على أمة محمد ﷺ، **قال جَلَّ وَعَلَا:** ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾⁽¹⁾، **قال الحافظ ابن كثير رَحْمَةُ اللَّهِ:** هذه أكبر نعم الله عزَّجَلَّ، على هذه الأمة، حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم، صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خُلف، فلما أكمل الدين لهم تُمَّتِ النعمة عليهم، **ولهذا قال تعالى:** ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾⁽²⁾ **أي:** فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنه الدين الذي رضيه الله وأحبه وبعث به أفضل رسله

(1) [المائدة:3].

(2) [المائدة:3].

الكرام، وأنزل به أشرف كتبه⁽¹⁾.

فانظروا إلى هذه النعمة العظيمة التي أنعم الله بها علينا، وتأملوا تضييع كثير من الناس لها وعدم المحافظة عليها.

إن الدين العظيم أتمه الله عزَّجَلَّ في يوم عظيم، كما أنزله في يوم عظيم، فكان عظيم البداية والنزول، عظيم الختم والكمال، فكما نزل في ليلة القدر اختتم وأكمل في يوم عرفة.

ثانيا: من فضائل يوم عرفة: أنه أكثر الأيام مغفرة للذنوب وتكفيرا للسيئات، وأنه يوم ينزل فيه الرب **جَلَّ وَعَلَا** إلى السماء الدنيا.

فغن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:** أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو، ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟»⁽²⁾.

ثالثا: أن صيام يوم عرفة يكفر ذنوب ستين. **ففي صحيح مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ** أبي قتادة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: "صيام يوم عرفة أحسب على الله أن يكفر السنة التي قبله، والسنة التي بعده"⁽³⁾.

قد يقول قائل وأرجو التنبه لهذه الشبهة، قد يقول قائل ممن يجهل معاني

(1) تفسير ابن كثير ت سلامة (3 / 26).

(2) صحيح مسلم (1348).

(3) صحيح مسلم (1162).

السنة النبوية وتفسيراتها الصحيحة يقول: فأنا أعمل ذنوبا كثيرة، فإذا جاء يوم عرفة وصمته تُكْفِّرُ عني كل السيئات، وإذا جاء يوم عاشوراء صمته وتكفر السيئات أيضا.

ثم يقول هذا الذي وضع هذه الشبهة: أرأيتم كيف أن هذه الأحاديث تُجرى الناس على الذنوب والمعاصي، ثم ينكر هذه الأحاديث ويكذبها فيقول: هي مكذوبة.

والجواب عن هذه الشبهة: أن نقول قبل أن تردّ الحديث بجهل وعدم علم لا بد من الرجوع لأهل العلم ليفسروا لك معاني أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كما أن من جهل معنى آية رجع إلى المفسرين ليعرف معنى كلام الله.

ومعنى التكفير للذنوب في هذا الحديث إنما هو للذنوب الصغائر التي لا يُبصر عليها الإنسان، أما الإصرار على الذنوب فهو من الكبائر، وكذلك الكبائر التي لم يتب منها لا تدخل في هذا الوعد الذي في هذا الحديث، لا تدخل في هذا الوعد وهو مستمر عليها لأن الكبائر لا بد لها من توبة وإقلاع عنها، وكذلك حقوق العباد من الظلم وغير ذلك، فهذه لا تدخل في هذا التكفير الذي جاء في الحديث، وقد بين أهل العلم معاني هذا الحديث، يقول العلامة ابن القيم عليه رحمة الله رادا على هذه الشبهة: **وَكَأَغْتِرَارِ بَعْضِهِمْ عَلَى صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَوْ يَوْمِ عَرَفَةَ، حَتَّى يَقُولَ بَعْضُهُمْ: يَوْمٌ عَاشُورَاءَ يُكْفِّرُ ذُنُوبَ الْعَامِ كُلِّهَا، وَيَبْقَى صَوْمٌ عَرَفَةَ زِيَادَةً فِي الْأَجْرِ، وَلَمْ يَدِرْ هَذَا الْمُعْتَرِّ، أَنَّ صَوْمَ رَمَضَانَ، وَالصَّلَوَاتِ**

الْخَمْسِ، أَعْظَمُ وَأَجَلُّ مِنْ صِيَامِ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَيَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَهِيَ إِنَّمَا تُكْفَرُ مَا بَيْنَهُمَا إِذَا اجْتَنِبْتَ الْكَبَائِرُ. فَرَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ، وَالْجُمُعَةَ إِلَى الْجُمُعَةَ، لَا يَقْوَا عَلَى تَكْفِيرِ الصَّغَائِرِ، إِلَّا مَعَ انْضِمَامِ تَرْكِ الْكَبَائِرِ إِلَيْهَا، فَيَقْوَى مَجْمُوعُ الْأَمْرَيْنِ عَلَى تَكْفِيرِ الصَّغَائِرِ. فَكَيْفَ يُكْفَرُ صَوْمُ يَوْمِ تَطَوُّعِ كُلِّ كَبِيرَةٍ عَمَلَهَا الْعَبْدُ وَهُوَ مُصِرٌّ عَلَيْهَا، غَيْرُ تَائِبٍ مِنْهَا؟ هَذَا مُحَالٌ⁽¹⁾.

وأرجو أن تكون الشبهة قد وضحت، ويكون الرد عليها قد بان؛ لأن في هذه الأيام بدأت الشبهات بالانتشار في وسائل التواصل الاجتماعي وغيرها.

رابعا: ومن فضائل يوم عرفة: أنه يوم عيد لأهل الإسلام، أي يوم فرح وسرور، وليس معنى هذا أنه ليس يوم صوم، وأي فرح وسرور أعظم من يوم تكفر فيه الذنوب والمعاصي، **فقد روى الإمام أحمد رحمه الله، عن عقبه بن عامر رضي الله عنه، قال:** قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه «يوم عرفة، وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام، وهي أيام أكل وشرب»⁽²⁾.

أي هذه الأيام التي ذكرها النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أيام أكل وشرب، وهذا لا يمنع كما ذكرنا أن يصوم الإنسان، فإذا جاء المساء ووقت الإفطار والعشاء وسع الإنسان على نفسه وأهل بيته بالأكل والشرب.

خامسا: وبسبب فضائل يوم عرفة فإن الشيطان ما رؤي في يوم هو فيه أصغر

(1) الجواب الكافي (ص 25).

(2) سنن أبي داود (2419).

ولا أذحر ولا أحقر ولا أغیظ منه في يوم عرفة، وما ذاك إلا من تنزل الرحمات، وتجاوز الله عن الذنوب العظام، جاء في موطأ الإمام مالك عليه رحمة الله، **عن** طلحة بن عبيد الله بن كریز، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "ما روي الشيطان يوماً هو فيه أصغر، ولا أذحر، ولا أحقر، ولا أغیظ منه يوم عرفة، وما ذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة، وتجاوز الله عن الذنوب العظام" (1).

إخواني المسلمین: يوم عرفة يوم عظيم عظمه الله **عَزَّوَجَلَّ**، وقد سمعتم فضائل هذا اليوم، ولهذا يستحب الإكثار من الأعمال الصالحة في هذا اليوم أكثر من غيره، حتى تنزل على العامل للصالحات الرحمات، وتكفر عنه الخطيئات، وترفع له الدرجات، وتأملوا إخواني في هذا الحديث العظيم الذي من عمل به عُفرت ذنوبه، **جاء في مسند الإمام أحمد** وصحيح بن خزيمة عليهما رحمة الله، عن ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: إن هذا يومٌ أي يوم عرفة، إن هذا يومٌ من ملك - أي حفظ - فيه سمعه وبصره ولسانه عُفِر له (2)، فمن ملك سمعه فلا يسمع حراماً، ومن ملك لسانه فلم ينطق حراماً، ومن ملك بصره فلم ينظر إلى حرام، مع الإقبال على الأعمال الصالحة، ما هو الجزاء؟ هو مغفرة الذنوب من الله **عَزَّوَجَلَّ**، ولهذا استحب بعض أهل العلم التعريف بالأمصار، أي الجلوس في المساجد يوم عرفة للدعاء والذكر حتى لا تقع جوارحه على أمر محرم، فما أحسن أن يتفرغ المسلم والمسلمة في هذا اليوم

(1) موطأ مالك رواية أبي مصعب الزهري (1461).

(2) مسند أحمد (3041).

للدعاء والذكر وقراءة القرآن، لعل نفحة ربانية تنزل عليك فتُغْفَرَ بذلك ذنوبك، وتُكْفَرَ عنك سيئاتك، وترفع فيها درجاتك، وتكون كأهل عرفة الذين وقفوا فيها طلبا للمغفرة، فيعمك الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بهذه المغفرة كرما منه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، خصوصا من كان مشتاقا للحج ولم يستطع ذلك.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: وليحذر من الذنوب التي تمنع المغفرة فيه والعتق⁽¹⁾.

ومن أهم العبادات التي تستحب في هذا اليوم أي في يوم عرفة مع الصيام أن يكثر المسلم من قول كلمة التوحيد، **ففي مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ عَنْ** عبد الله بن عمرو **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا** قال: "خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"⁽²⁾.

وكذلك فليكثر من الدعاء في هذا اليوم لنفسه ولأهل بيته ولعموم المسلمين؛ فإن الدعاء فيه مستجاب.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يوفقنا وإياكم لاستغلال هذه الأيام بالطاعات، وأن يجنبنا وإياكم المعاصي والمنكرات.

أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه فيا فوز المستغفرين.

(1) لطائف المعارف لابن رجب (ص: 284).

(2) سنن الترمذي (3585).

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، الصلاة والسلام على نبينا محمد الداعي إلى رضوانه، وعلى آله وأصحابه وإخوانه. **أما بعد:**

أيها المؤمنون: بقي معنى الحديث عن يوم النحر الذي هو يوم العيد وعن بعض أحكام الأضحية، وسأذكرها اختصاراً.

العيد -أيها الأخوة- كلمة جميلة، كلمة تدل على الفرح والسرور، فهي كلمة رقيقة تملأ النفس أنسا وبهجة، وتملأ القلب صفاء ونشوة، وتملأ الوجه نظارة وفرحة، وهي في المقابل كلمة تُذكر الوحيدَ بأسرته، والمريض بصحته، والفقير بحاجته، والضعيف والبعيد ببلده وعشيرته، واليتيم بأبيه، والمسكين وما أكثرهم هذه الأيام وتذكر المسكين بأقدس ضرورات الحياة التي يحتاج إليها ولا يجدها.

كما أنها في المقابل تُذكر كل هؤلاء بالله **عَزَّوَجَلَّ** الذي شرع لنا في دينه الفرح والسرور، وأن لا ننسى هؤلاء الذين تقدم ذكرهم فتتعاون معهم ونتذكر نعم الله علينا.

أحبتني في الله: الأعياد في الإسلام ليست انطلاقا وراء الشهوات المحرمة، وليست سباقاً إلى النزوات، وليست انتهاكا للحرمات.

افرح أيها المسلم، أدخل السرور على نفسك وعلى أولادك وعلى جيرانك

وعلى والديك وعلى إخوانك، اخرج إلى الرحلات والتنزهات، نعم، افرح ولكن لا تتجاوز الفرح المباح إلى الفرح المحرم.

الحدائق والمنتزهات أيام العيد - وكم قد نبهتُ على هذا الأمر - الحدائق

والمنتزهات أيام العيد كم تحصل فيها من تجاوزات، وكم تحصل فيها من منكرات، وكم تحصل فيها من مخالفات، اختلاط شباب وفتيات، وألبسة للنساء فاتنة، وصعود إلى الألعاب في الحدائق للنساء والفتيات من غير حياء أو خجل، فكم تنكشف عند الصعود إلى هذه الألعاب من عورات النساء، وكم ترى من منكرات، وكم تسمع من صراخ وأصوات للنساء.

فيا أيها الآباء، أين الغيرة على الأعراض؟ ويا أيها النساء أين الحياء والخجل؟ كم رجل يخرج مع زوجته وبناته الشابات ثم يجلسون في الأماكن العامة وقد كشفن عن زينتهن وهم يشربون ما يسمى بالمعسل والشيشة، حتى وصل بعضهم الحال أن تلعب بنته أو زوجته كرة القدم في ساحة الجامعة والساحات العامة وهو يشاهد هذا الأمر، وقد ضاعت منه الغيرة، والشباب يشاهدون هذا اللعب ويتفرجون على نسائه وبناته، وقد ضاعت منه الغيرة والحياء أن يشاهد الرجال الأجانب هذه المناظر من بناته وزوجته أو أخواته وهو لا يستشعر هذا الأمر.

فيقال لمن هذا حاله: أين الغيرة، وإذا ضاعت الغيرة من الرجال وضاع الحياء

من النساء وانعدم، فباطن الأرض والله خير من ظاهرها، **وقد صدق من قال:**

إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي وَلَمْ تَسْتَحِ فَافْعَلْ مَا تَشَاءُ

فَلَا وَاللَّهِ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ
يَعِيشُ الْمَرْءُ مَا اسْتَحْيَا بِخَيْرٍ وَيَبْقَى الْعُودُ مَا بَقِيَ اللَّحَاءُ⁽¹⁾

وصدق من قال أيضا:

إِذَا رُزِقَ الْفَتَى وَجَهًا وَقَاحًا تَقَلَّبَ فِي الْأُمُورِ كَمَا يَشَاءُ
وَلَمْ يَكُ لِلدَّوَاءِ وَلَا لِشَيْءٍ يُعَالِجُهُ بِهِ عَنْهُ غَنَاءُ
وَرُبَّ قَيْحَةٍ مَا حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ رُكُوبِهَا إِلَّا الْحَيَاءُ
فَمَا لَكَ فِي مُعَاتَبَةِ الَّذِي لَا حِيَاءَ لَوَجْهِهِ إِلَّا الْعَنَاءُ⁽²⁾

أيها المؤمنون: ونختم بذكر بعض الأحكام المختصرة عن أحكام الأضحية:

أولاً: الأضحية سنة مؤكدة للقادر عليها، وليست واجبة على الصحيح، وأما غير القادر فقد ضحى عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإذا نوى غير القادر أنه لو كان عنده القدرة على الأضحية لضحى فهو مأجور على ذلك.

ثانياً: الأضحية عبادة من العبادات، فلا بدّ فيها من نية التعبد لله عزَّ وجلَّ لا من أجل اللحم فقط.

ثالثاً: لا بد أن تكون الأضحية خالية من العيوب. قال صلى الله عليه وآله وسلم: "أَرْبَعٌ لَا تُجْزِئُ فِي الْأَضَاحِيِّ: الْعَوْرَاءُ، الْبَيْنُ عَوْرَهَا، وَالْمَرِيضَةُ، الْبَيْنُ مَرَضُهَا، وَالْعَرَجَاءُ، الْبَيْنُ

(1) الإشراف في منازل الأشراف (ص 306).

(2) العقد الفريد (2/ 254)، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص 58).

ظَلَعُهَا، وَالْكَسِيرَةُ، الَّتِي لَا تُنْقِي" (1).

رابعاً: من شروطها أن تذبح في الوقت المحدد لها، ويبدأ الوقت من بعد صلاة العيد، فمن ذبح قبل صلاة العيد فلا يجزئ ذلك، ويستمر الذبح إلى ثالث أيام التشريق ليلاً أو نهاراً على الصحيح من أقوال أهل العلم.

خامساً: أن تبلغ السن المحدد. فالضأن الكبش ستة أشهر فأكثر، والماعز سنّة فأكثر، والبقرة سنتان فأكثر، والإبل خمس سنوات فأكثر.

وأما حلق الشعر والبشرة، وقصّ الأظافر، فالسنة أن يمسك ربّ البيت المسؤول عن النفقة لأهل البيت الذي ينفق عليهم، يمسك عن الأخذ من شعره وأظفاره وبشرته، ولكن لو أخذ من ذلك متعمداً فالأضحية صحيحة، وعدم الأخذ سنة مؤكدة عند أكثر أهل العلم، وقد أوجب ذلك بعض أهل العلم.

أخيراً: لنستغل هذه الأيام بالطاعات، وعلى القادر وصاحب المال أن يتفقد الفقراء والمحتاجين، تفقدوهم إلى بيوتهم، ابحثوا عنهم، من كان عنده أضحية فليُنظر إلى جيرانه المساكين، مَنْ عنده مال فليصدق على أقربائه وجيرانه الفقراء، فالصدقة هذه الأيام من أعظم العبادات.

أسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا جميعاً ممن شملتهم الرحمة والغفران، وأن يجنبنا جميعاً المعاصي وإغواء الشيطان. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى أصحابه أجمعين.

(1) سنن ابن ماجه (3144).



الهجرة النبوية

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْتُوكَ أَوْ يَتَّكِلُواكَ أَوْ يَخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾⁽¹⁾، **وأشهد** أن لا إله الله وحده لا شريك له القائل: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، **وأشهد** أن محمدا عبده ورسوله، سيد المرسلين وخاتم النبيين، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه أجمعين، **أَمَّا بَعْدُ:**

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾⁽²⁾.

أيها المؤمنون: إن الأحداث العظيمة والمواقف الكبيرة تقاس بعظمة ما جرى فيها والقائمين بها والمكان الذي وقعت فيه الأحداث.

ولقد كانت الهجرة النبوية الشريفة حدثا عظيما وفيصلا كبيرا بين مرحلتين من مراحل الدعوة الإسلامية، مرحلة الاستضعاف والتضييق، ومرحلة النصر

(1) [الأنفال: 30].

(2) [آل عمران: 102].

والتمكنين، ولقد كان القائم بالحدث العظيم في الهجرة أشرف الخلق وأعظم الخلق محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولا أشرف مكانا من مكة والمدينة، ولقد حملت الهجرة النبوية في طياتها من معاني التضحية والفداء، والأخوة والصحبة، والصبر والنصر، والتوكل واليقين شيئا عظيما ونبراسا كبيرا.

ولقد جعلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فاتحة للخير، وطريقا للنصر، وسبيلا للعزة، ورفعاً لراية الإسلام، وتشجيذا لدولة الإيمان، ولقد وصفها الله سبحانه بأنها نصر من عنده، **فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (1).**

إن الأحداث التاريخية والوقائع التي حصلت بعد البعثة النبوية والرسالة المحمدية إذا لم نستلهم منها ما يجمع المسلمين ويوحدهم، ويصفي قلوبهم ويجمع شملهم ويلين أرواحهم، ويجدد لهم عزهم لدينهم وعملهم به، إذا لم نستلهم هذه الثمرات والفوائد والدروس والعبر فسوف تكون أحداثا جامدة، تذكر كما تذكر قصص التراث القديمة التي يُتسلى بها ولا يُتنتفع منها.

إن في الهجرة النبوية من الآيات البيّنات، والعبر البالغات ما لو استلهمته أمة الإسلام اليوم وعملت على ضوئه وهي تعيش اليوم على مفترق الطرق من

(1) [التوبة: 40].

الصراعات وتكالب الأعداء عليها لتحقق لها عزها وقوتها ومكانتها وهبتها، ولعلمت علم اليقين أنه لا حل لمشكلاتها ولا صلاح لأحوالها إلا بالتمسك بدينها والتزامها بعقيدها وإيمانها، فوالذي نفسي بيده ما قامت عزة المسلمين إلا بالتمسك بدينهم، ولا عزة لهم ولا كرامة ولا نصر ولا تمكين إلا لما خضعوا لله رب العالمين: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (1).

أيها المسلمون: إن الهجرة النبوية لم تكن نزهة من منطقة إلى أخرى، ولم تكن اختيارا بل اضطرارا بعد أن بلغ إيذاء المشركين للصحابة رضوان الله عليهم مبلغه، ولقد تحمل الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** من الإيذاء قبل الهجرة من التعذيب والآلام والتضييق ما لا يخطر على بال.

فمن الصحابة مَنْ أُحْرِقَ بِالنَّارِ جَسَدُهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ عَذِبَ فِي الرَّمْضَاءِ فِي حَرَارَةِ الشَّمْسِ حَتَّى انْخَلَعَ جِلْدُهُ مَعَ الضَّرْبِ وَالتَّنْكِيلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ سَجَنَ، وَمِنْهُمْ مَنْ مَنَعَ مِنَ الأَكْلِ، وَلَقَدْ حَوَّصَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ فِي الشَّعْبِ حَتَّى أَكَلُوا أَوْرَاقَ الشَّجَرِ وَالجُلُودَ اليَابِسَةَ وَغَيْرَهَا.

وتأملوا في هذه الرواية تأملوا ماذا عانا الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** حتى أوصلوا لنا هذا الدين طريا صحيحا سليما من كل نقص، تأمل يا من ينتقص من الصحابة الكرام أو يستهين بما قدموا من الأعمال العظام، تأمل، تأمل، يا من تلمز الصحابة الذي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** ورضوا عنه، **قال عتبة بن غزوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** "وَلَقَدْ

(1) [الأنبياء: 10].

رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا" (1).

وعن سعد بن أبي وقاص **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ بمكة فخرجت من الليل أبول، فإذا أنا أسمع قعقعة شيء تحت بولي، فنظرتُ فإذا قطعة جلد بَعِيرٍ، فأخذتها فغسلتها ثم أحرقتها فرضضتها بين حجرين، ثم اسْتَفْتَيْتُهَا، فشربت عليها من الماء، فقويت عليها ثلاثاً (2).

يا لله، ما هذا العناء وهذا البلاء، ثم يأتي اليوم قوم جهلة ينتقصون من الصحابة أو يلمزون بهم أو يذمونهم، ألا يعقل هؤلاء قوله تعالى ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (3).

إن الذي يقرأ عن الشدة التي حلت بهم، والعناء الذي حصل لهم، والجهد الذي نزل بهم تدمع عينه، ويضطرب فؤاده شوقاً إليهم ورجاء اللحاق بهم، وحباً لهم وتعظيماً لما قدموه.

وأما رسول الله ﷺ مع ما حصل له من الشدة التي ذكرت، فقد وُضِعَ سِلا

(1) صحيح مسلم (2967).

(2) سيرة ابن اسحاق (ص: 194).

(3) [التوبة: 100].

الجزور عليه وهو يصلي، وداس اللعين بقدمه على رقبته وهو ساجد، ورُمي بالأحجار حتى سال الدم على عقبه، وقالوا عنه كذاب وساحر وكاهن، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما تعاقب الليل والنهار.

أيها المؤمنون: هذه بعض الأحداث التي كانت سببا في الهجرة النبوية الشريفة.

وأما قصة الهجرة النبوية، فكثير من أحداثها لا تخفى عليكم، وكثير من تفاصيلها لا تغيب عن أذهانكم، ولكني سأذكر لكم بعض التضحيات التي قام بها أبو بكر الصديق رضي الله عنه، لتعلموا شدة هذه الرحلة العظيمة التي سماها الله نصرا.

عن البراء رضي الله عنه قال: أن أباه سأل أبا بكر الصديق رضي الله عنه فقال: " حَدَّثَنِي كَيْفَ صَنَعْتُمَا حِينَ سَرَيْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه قَالَ نَعَمْ أَسْرَيْنَا لَيْلَتَنَا وَمِنَ الْغَدِ حَتَّى قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ وَخَلَا الطَّرِيقُ لَا يَمُرُّ فِيهِ أَحَدٌ فَرَفَعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ طَوِيلَةٌ لَهَا ظِلٌّ لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ الشَّمْسُ فَنَزَلْنَا عِنْدَهُ وَسَوَّيْتُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه مَكَانًا بِيَدِي يَنَامُ عَلَيْهِ وَبَسَطْتُ فِيهِ فَرَوَةً وَقُلْتُ نَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا أَنْفُضُ لَكَ مَا حَوْلَكَ فَنَامَ وَخَرَجْتُ أَنْفُضُ مَا حَوْلَهُ فَإِذَا أَنَا بِرَاعٍ مُقْبِلٍ بَعْنَمِهِ إِلَى الصَّخْرَةِ يُرِيدُ مِنْهَا مِثْلَ الَّذِي أَرَدْنَا فَقُلْتُ لَهُ لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ فَقَالَ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ قُلْتُ أَفِي غَنَمِكَ لَبَنٌ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ أَفَتَحْلُبُ قَالَ نَعَمْ فَأَخَذَ شَاةً فَقُلْتُ أَنْفُضِ الصَّرْعَ مِنَ التُّرَابِ وَالشَّعْرِ وَالْقَدَى قَالَ فَرَأَيْتُ الْبَرَاءَ يَضْرِبُ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى

يَنْفُضُ فَحَلَبَ فِي قَعْبٍ كَثْبَةً مِنْ لَبَنٍ وَمَعِيَ إِدَاوَةٌ حَمَلْتُهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْتَوِي مِنْهَا يَشْرَبُ وَيَتَوَضَّأُ فَاتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُ فَوَافَقْتُهُ حِينَ اسْتَيْقَظَ فَصَبَبْتُ مِنَ الْمَاءِ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ فَقُلْتُ اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيْتُ" (1).

تأملوا إخواني طوال الليل يمشون حتى قريب وقت الظهر، ثم يؤثر أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فينام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا ينام هو خوفاً عليه من طلب الكفار، ثم يقوم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويستمرون في السير، فما أعظم هذه التضحيات.

وجاء في مستدرك الحاكم عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: والله ليليلة من أبي بكر خير من آل عمر، وليوم من أبي بكر خير من آل عمر، لقد خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لينطلق إلى الغار ومعه أبو بكر، فجعل يمشي ساعة بين يديه، وساعة خلفه حتى فطن له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «يا أبا بكر، ما لك تمشي ساعة بين يدي وساعة خلفي؟» فقال: يا رسول الله، أذكر الطلب فأمشي خلفك، ثم أذكر الرصد، فأمشي بين يديك، فقال: «يا أبا بكر، لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني؟» قال: نعم، والذي بعثك بالحق، ما كانت لتكون من ملامة إلا أن تكون بي دونك، فلما انتهيا إلى الغار، قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مكانك يا رسول الله، حتى أستبرئ لك الغار، فدخل واستبرأه، حتى إذا كان في أعلاه ذكر أنه لم يستبرئ الحجرة، فقال: مكانك يا رسول الله، حتى أستبرئ الحجرة، فدخل واستبرأ، ثم قال: انزل

(1) صحيح البخاري (3917)

يا رسول الله، فنزل" (1).

وفي الرحيق المختوم: ولما انتهى إلى الغار قال أبو بكر **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: والله لا تدخله حتى أدخله قبلك، فإن كان فيه شيء أصابني دونك، فدخل فكسحه أي كنسه، ووجد في جانبه ثقباً فشق إزاره وسدها به، وبقي منها اثنان فألقمهما رجله، ثم قال لرسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ادخل، فدخل رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ووضع رأسه في حجره ونام **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فلُدغ أبو بكر **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** في رجله من الجحر أي الثقب، ولم يتحرك مخافة أن يتنبه رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فسقطت دموعه على وجه رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فقال: ما لك يا أبا بكر؟ قال: لُدغتُ، فذاك أبي وأمي، فتفل عليه رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فذهب ما يجده (2).

انظروا إخواني إلى هذا التفاني والحب. والقصص في هذا كثيرة مع غيره من الصحابة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ** أجمعين.

هذا الجيل رباه رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بيده حتى صار أفضل الأجيال.

إن حُبَّ هذا الجيل دين وإسلام وإيمان، وإن بغضهم جهل وفسوق وعصيان، فاعرفوا للصحابة قدرهم، واحذروا من كل من ينتقصهم أو يلمزهم.

وأسأل الله أن يحشرنا جميعاً معهم وفي زمرةهم. أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(1) مستدرک الحاکم (4268).

(2) الرحيق المختوم (ص: 149).

الخطبة الثانية

الحمد لله: ﴿الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾، والصلاة والسلام نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

أيها المؤمنون: يقول الله عَزَّوَجَلَّ مُخْبِرًا عن اجتماع المشركين في دار الندوة ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (1).

إن المؤامرة التي نسجت خيوطها في دار الندوة لمحاصرة النبي ﷺ ومحاربة دين الإسلام، والتخلص منه في سجن مظلم أو قتله أو إخراجه من جزيرة العرب هي المؤامرة نفسها التي تحاك ضد الأمة الإسلامية ورموزها والمصلحين منها اليوم وإلى أن تقوم الساعة، هذه المؤامرة تريد وضع الأمة الإسلامية في دوامة الخلافات والصراعات المذهبية تارة، وفي دوامة الصراعات السياسية تارة أخرى، فهي محاولة لمحاصرة الأمة الإسلامية في جدران اليأس.

فمن ظن أن دار الندوة قد انتهت، وأن مكر الكفار قد ولى، فهو واهم أو جاهل بالتأريخ وأحداثه.

(1) [الأنفال:30].

إن أعداء الأمة اليوم قد زرعوا أعوانا لهم في البلدان الإسلامية، يحاربون الأمة ودينها من الداخل في ثوابتها وأخلاقها ومقدساتها ورموزها.

إن الصراع بين الحق والباطل صراع قديم وممتد ولن ينتهي ﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَعِيرَ حَقِّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمْتُمْ صَوَامِعُ وَبِيَعُ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (1).

إن مكر أعداء الأمة الإسلامية بالدين وأهله مستمر ومتكرر ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (2).

أخيرا إخواني وأحبابي:

من فاتته الهجرة فلا يفوته هجر الذنوب والمعاصي فذلك من الهجرة إلى الله تعالى، "وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ" (3)، وهجر الذنوب والمعاصي والمآثم والمحارم.

ومن فاتته الهجرة فلا يفوته حب المهاجرين والأنصار **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، فالمؤمن مع من أحب يوم القيامة. وكونوا من الذين قال الله فيهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي

(1) [الحج:40].

(2) [البقرة:217].

(3) صحيح البخاري (6119).

قُلُوبَنَا غَلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾.

اللهم وفقنا لحب نبيك وأصحابه حبا توفقنا فيه للاقتداء بهم والتمسك بسنتهم والاعتصام بمنهجهم والتعظيم والتقدير لهم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.



قصة الهجرة النبوية

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا
أَثْنِينَ إِذْ هَمَّ فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ
عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ
الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾⁽¹⁾، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل:
﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْتُوكَ أَوْ يَقتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ
اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ﴾⁽²⁾، **وأشهد** أن نبينا محمدا عبده ورسوله وصفيه من
خلقه وخليه، صلى الله عليه وسلم وأصحابه أجمعين

أما بعد:

فاتقوا عباد الله حق التقوى، فهي النجاة من كل ضيق ومكروب: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ
اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾⁽³⁾.

أيها المؤمنون: بعد أن تنوعت أساليب المشركين في إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم

(1) [التوبة: 40].

(2) [الأنفال: 30].

(3) [الطلاق: 2].

وتعددت طرقهم في التنفير من دعوته، حتى ذكر العلامة السهيلي **رَحْمَةُ اللَّهِ** أشياء كثيرة مما لقيه النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** من قريش من الإيذاء، فقد حثى سفهاؤهم التراب على رأسه الشريف **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، **ومنها** أنهم يضعون الفرث والدماء على بابه، ويطرحون رحم الشاة برمتها على بابه، ومنها أن أمية بن خلف بصق في وجهه الشريف **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، **ومنها** أن عقبة بن أبي معيط وطء رقبته وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان، وأنه وضع سلا الجزور على رأسه وهو ساجد، وأما السب والهجو والتلقب بالألقاب الباطلة وتعذيب أصحابه وأحبائه فكثير جدا، حتى قال أبو جهل لعنه الله لسمية أم عمار بن ياسر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**: ما آمنتُ بمحمد إلا لأنك عشقته لجماله، ثم طعنها بالحربة في قبلها حتى قتلها⁽¹⁾.

كل هذه الأساليب في التعذيب والطرق في التنفير من الدعوة جعلت الهجرة أمرا ضرورياً لإقامة الدين ونشر الدعوة لا سيما، وقد تهيأ للمسلمين بلد يهاجرون إليه.

أيها المؤمنون: بعد أن مُنيت قريش بالفشل في منع الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** من الهجرة إلى المدينة على الرغم من الأساليب الشنيعة وطرقهم القبيحة في المنع من الهجرة فقد أدركت قريش خطورة الموقف وخافوا على مصالحهم الاقتصادية وكيانهم الاجتماعي بين القبائل؛ ولهذا اجتمعت قريش في دار الندوة في أمر القضاء على النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وقد توافد لهذا الاجتماع المهم نواب القبائل القرشية، كما حضر معهم الاجتماع الشيطانُ متمثلاً بصورة رجل كبير من أهل

(1) الروض الأنف (2/40).

نجد، وعندما دار النقاش قال أبو الأسود: نخرجه من بين أظهرنا وننفيه من بلادنا، ولا نبالي أين ذهب، ولا حيث وقع، فقد أصلحنا أمرنا وألقتنا كما كانت. قال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمتتم أن يحل على حي من العرب، ثم يسير بهم إليكم بعد أن يتابعوه حتى يطأكم بهم في بلادكم، ثم يفعل بكم ما أراد، دبروا فيه رأياً غير هذا.

قال أبو البخترى: احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً، ثم تربصوا به ما أصاب أمثاله من الشعراء الذين كانوا قبله، زهيراً والنابعة، ومن مضى منهم من هذا الموت، حتى يصيبه ما أصابهم. قال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلاؤشكوا أن يثبوا عليكم، فينزعه من أيديكم، ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم، ما هذا لكم برأي، فانظروا في غيره.

وبعد أن رفض البرلمان هذين الاقتراحين، قدم إليهم اقتراح آثم وافق عليه جميع أعضائه، تقدم به كبير مجرمي مكة أبو جهل بن هشام، فقال أبو جهل: والله إن لي فيه رأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد، قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسيباً وسيطاً فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إليه، فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه، فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً، فرضوا منا بالعقل، فعقلناه لهم. أي الدية.

قال الشيخ النجدي: القول ما قال الرجل، هذا الرأي الذي لا رأي غيره، فنزل جبريل عليه السلام فأخبر النبي عليه الصلاة والسلام بما تأمر عليه القوم، وأمره ألا يبيت تلك الليلة على فراشه ذلك، وقد ذكر الله ما دار في هذا الاجتماع فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (1).

ثم أخبر جبريل النبي عليه الصلاة والسلام أن الله أذن له بالخروج من مكة، وتسجل لنا عائشة رضي الله عنها وأرضاها كيف كان خروج النبي عليه الصلاة والسلام فتقول: أنهم بينما هم ظهرا في بيتهم، وليس عند أبي بكر إلا ابتاه عائشة، وأسماء، إذا هم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين قام قائم الظهيرة، وكان لا يخطئه يوما أن يأتي بيت أبي بكر أول النهار وآخره، فلما رآه أبو بكر جاء ظهرا، فقال: ما جاء بك يا نبي الله؟ أمرٌ حدث؟ فلما دخل عليهم البيت، قال لأبي بكر: "أخرج من عندك؟"، فقال: ليس عليك عين، إنما هما ابتتاي. قال: "إن الله عز وجل قد أذن لي بالخروج إلى المدينة". فقال أبو بكر: يا رسول الله، الصحبة، قال: "الصحبة" فقال أبو بكر: خذ إحدى الراحلتين - وهما الراحلتان اللتان كان يعلفهما أبو بكر يعدهما للخروج إذا أذن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأعطاه أبو بكر إحدى الراحلتين، فقال: خذها يا رسول الله فاركبها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "قد أخذتها بالثمن" (2).

ثم ذكرت رضي الله عنها كيف جهزت هي وأسماء بعض ما يحتاجون إليه من

(1) [الأنفال: 30].

(2) مسند أحمد (25774).

طعام، وأن أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قطعت نطاقها فربطت به على فم الجراب الذي فيه الطعام، وبذلك سميت بذات النطاقين.

عاد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بيته، وجاء المشركون حسب الميعاد المتفق عليه بينهم، وحاصروا بيت النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وكان الوقت المتفق عليه بينهم نصف الليل، وباتوا متيقظين ينتظرون ساعة الصفر لخروج النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولكن الله غالب على أمره، بيده ملكوت السموات والأرض وهو الذي قال سبحانه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (1).

وفي هذه الساعة التي حاصر المشركون بيت النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان معه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال له: نم على فراشي وتسج بردي هذا الحضرمي الأخضر، فم فيه، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينام في برده ذلك إذا نام، ثم خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واخترق صفوفهم، وأخذ حفنة من التراب فجعل يذروه على رؤوسهم، وقد أخذ الله أبصارهم عنه فلا يرونه فناموا نوما عميقا، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتلو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (2)، فلم يبق رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابا، ومضى إلى بيت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فخرج منه باتجاه الغار، وبقي المحاصرون ينتظرون حلول ساعة الصفر، وقبل حلولها تجلت لهم

(1) [الأنفال: 30].

(2) [يس: 9].

الخبية والفشل، فقد جاءهم رجل ممن لم يكن معهم ورأهم ببابه، فقال ما تنتظرون؟ فقالوا: محمدا، فقال: خبتم قد والله مر بكم وذر على رؤوسكم التراب وانطلق لحاجته، قالوا: ما أبصرناه، وقاموا ينفضون التراب من رؤوسهم، ولكنهم نظروا من فتحات الباب فقالوا والله إن هذا لمحمد نائم عليه برده، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، وقام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الفراش، وسأله عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال لا علم لي به، وهكذا حمى الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذا الكيد العظيم والمكر الكبير (1).

وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عالٍ من الأطم (2)

غادر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيته متجها إلى بيت أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم غادرا من بيت الصديق من باب خلفي ليخرجا من مكة على عجلٍ وقبل أن يطلع الفجر، ولما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلم أن قريشا ستجد في الطلب، وأن الطريق التي ستتجه إليه الأنظار هو طريق المدينة الرئيسي المتجه شمالا فقد سلك الطريق الذي يضاده تماما وهو الطريق الواقع جنوب مكة والمتجه نحو اليمن.

وفي طريقهما إلى الغار وقبل أن تختفي مكة عن الأنظار نظر إليها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعاطفة مملوءة بالذكريات تدل على حبه لها، وكيف لا يحبها وهي البلد الذي تربى فيها والبلد الذي أحبه الله، والبلد الذي جعل فيها بيته المقدس، وقف ينظر إليها وهو يقول: «والله إنك، لخير أرض الله، وأحب أرض الله إليّ،

(1) سيرة ابن هشام (2/ 92).

(2) من بردة البوصيري.

والله لو لا أني أُخْرِجْتُ منك، ما خرجت» (1).

وعندما علم المشركون بخروج رسول الله ﷺ وضعوا الخطط للعثور عليه بأي وسيلة، ومن ذلك أنهم:

1- ألقوا القبض على علي رضي الله عنه ولجأوا إلى التحقيق معه عن مكان رسول الله ﷺ ثم تركوه بعد أن يؤسوا منه.

2- جاء نفر منهم إلى منزل أبي بكر رضي الله عنه ومنهم أبو جهل لعلمهم يجدونه هناك، فخرجت إليهم ابنة الصديق أسماء فسألوها عن والدها فقالت لا تدري أين هو، فغضب أبو جهل لهذا الجواب ولطمها لكمة سقط منها قرطها من أذنها.

3- أنهم وضعوا جميع الطرق المؤدية إلى المدينة تحت المراقبة.

4- أنهم قرروا منح جائزة مقدارها مائتي ناقة لمن يأتي بهم، وهذه جائزة كبيرة جدا.

5- أنهم استأجروا قُصَّاص الآثار ليتبعوا آثار الأقدام حيثما حلا.

روى الإمام الحاكم وغيره قصة الهجرة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قال محمد بن سيرين رحمه الله: ذَكَرَ رِجَالٌ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَكَانَتْهُمْ فَضَلُّوا عُمَرَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَلْيَلَّةُ مِنْ

(1) سنن ابن ماجه: (3108).

أَبِي بَكْرٍ خَيْرٌ مِنْ آلِ عُمَرَ، وَلَيَوْمٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَيْرٌ مِنْ آلِ عُمَرَ، لَقَدْ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيَنْطَلِقَ إِلَى الْغَارِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَجَعَلَ يَمْشِي سَاعَةً بَيْنَ يَدَيْهِ، وَسَاعَةً خَلْفَهُ حَتَّى فَطِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا لَكَ تَمْشِي سَاعَةً بَيْنَ يَدَيَّ وَسَاعَةً خَلْفِي؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَذْكَرُ الطَّلَبَ فَأَمْشِي خَلْفَكَ، ثُمَّ أَذْكَرُ الرَّصْدَ، فَأَمْشِي بَيْنَ يَدَيْكَ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، لَوْ كَانَ شَيْءٌ أَحْبَبْتَ أَنْ يَكُونَ بِكَ دُونِي؟» قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا كَانَتْ لَتَكُونَ مِنْ مُلَمَّةٍ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِي دُونَكَ، فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الْغَارِ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَكَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَتَّى أَسْتَبْرِي لَكَ الْغَارَ، فَدَخَلَ وَاسْتَبْرَاهُ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي أَعْلَاهُ ذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَبْرِي الْحُجْرَةَ، فَقَالَ: مَكَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَتَّى أَسْتَبْرِي الْحُجْرَةَ، فَدَخَلَ وَاسْتَبْرَأَ، ثُمَّ قَالَ: انزِلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَنَزَلَ، فَقَالَ عُمَرُ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتِلْكَ اللَّيْلَةُ خَيْرٌ مِنْ آلِ عُمَرَ" (1).

وصل النبي عليه الصلاة والسلام وأبو بكر الصديق **رضي الله عنه** إلى جبل يُعرف بجبل ثور، وهذا جبل شامخ وعِر الطريق، صعب المرتقى، ذو أحجار كثيرة، حتى حفيت قدما رسول الله ﷺ، فحمله أبو بكر **رضي الله عنه** حتى بلغ به الجبل، ولما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر **رضي الله عنه**: والله لا تدخله حتى أدخله قبلك، فإن كان فيه شيء أصابني دونك، فدخله فكُنسسه، ووجد في جانبه ثقباً فشق إزاره وسدها به، وبقي منهما ثقبان فألقمهما رجليه، ثم قال لرسول الله ﷺ ادخل فدخل رسول الله ﷺ ووضع رأسه في حجره ونام، فلُدغ أبو بكر **رضي الله عنه** في رجله من الجحر أي الثقب ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسول الله ﷺ، فسقطت

(1) المستدرک للحاکم: (4268)

دموعه على وجه رسول الله ﷺ فقال: «مالك يا أبا بكر» فقال: لُدِغْتُ فذاك أبي وأمي، فتغل عليه رسول الله ﷺ فذهب ما يجده" (1).

ركبت قريش كل وجه يطلبون رسول الله ﷺ حتى وصلوا إلى غار ثور الذي فيه النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصعدوا فوقه، وسمع الرسول ﷺ وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أصواتهم، فأشفق أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأقبل عليه الهمُّ والخوف على رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه، فقال: يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما" (2).

وفيه نزل قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (3).

وهكذا حمى الله نبيه ﷺ من كيد الكائدين، وسوف يحمي الله دينه كما حمى نبيه ﷺ حتى يصل إلى مشارق الأرض ومغاربها، وهذا وعدٌ من الله، ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾:

سَلْ عُصْبَةَ الشَّرِكِ حَوْلَ الْغَارِ سَائِمَةً
لَوْ لَا مُطَارِدَةُ الْمُخْتَارِ لَمْ تَسْمِ
هَلْ أَبْصَرُوا الْآثَرَ الْوَضَاءَ أَمْ سَمِعُوا
هَمْسَ التَّسَابِيحِ وَالْقُرْآنَ مِنْ أُمَّمٍ

(1) جامع الأصول لابن الأثير (8/ 605).

(2) صحيح مسلم (2381).

(3) [التوبة: 40].

وَهَلْ تَمَثَّلَ نَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ لَهُمْ كَالْغَابِ، وَالْحَائِمَاتُ الزُّغْبُ كَالرُّحْمِ
 فَأَدْبَرُوا وَوُجُوهُ الْأَرْضِ تُلْعَنُهُمْ كَبَاطِلٍ مِنْ جَلَالِ الْحَقِّ مُنْهَزِمِ
 لَوْلَا يَدُ اللَّهِ بِالْجَارِينَ مَا سَلِمَا وَعَيْنُهُ حَوْلَ رُكْنِ الدِّينِ لَمْ يَقُمْ
 تَوَارِيَا بِجَنَاحِ اللَّهِ وَاسْتَتَرَا وَمَنْ يَضُمُّ جَنَاحُ اللَّهِ لَا يُضْمَمُ (1)

اللهم وفقنا لسلوك مناهج المتقين، وخصنا بالتوفيق المبين، واجعلنا
 بفضلك من المقربين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، واغفر لنا
 ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم
 الراحمين.

(1) نهج البردة لأحمد شوقي.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي جعل من الهجرة النبوية فتحا مبينا، والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي لاقى في سبيل الله شدائد تنوء بحملها الجبال الرواسي، وعلى آله وأصحابه الذين بلَّغوا هذا الدين وتحملوا فيه من المشاق ما تعجز عن وصفه الأقلام، **فَرْضَوَاللَّهُ عَنْهُمْ** وأرضاهم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

أما بعد:

فهذه هي قصة الهجرة النبوية وما فيها من المشاق العظيمة والأهوال الكبيرة، حتى وصل إلينا هذا الدين نقينا صافيا كاملا، وكل هذه الأمور توجب علينا شدة حب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحب جميع أصحابه **رَضَوَاللَّهُ عَنْهُمْ**، الذين وقفوا مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجاهدين بأنفسهم وأموالهم وبكل ما يملكون، فكل هذه الأمور توجب حبهم وتعظيمهم وتقديرهم والشاء عليهم والبعد عن كل من ينتقصهم أو يسبهم أو يبحث عن زلاتهم، **فَرْضَوَاللَّهُ عَنْهُمْ** وأرضاهم وجمعنا بهم يوم القيامة ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (1).

اللَّهُمَّ ارزقنا حبك وحب من يحبك، وحب العمل الذي يقربنا إلى حبك، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(1) [الشعراء: 86].



دروس من الهجرة النبوية

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْتُوكَ أَوْ يَقتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (1)، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (2)، **وأشهد** أن محمدا عبده ورسوله القائل وقد خرج من مكة وقد التفت إليها التفات الحزين المحب فخطبها قائلا: «مَا أَطْيَبَكَ وَأَحَبَّكَ إِلَيَّ، وَلَوْ لَا أَنَّ قَوْمَكَ أَخْرَجُونِي مِنْكَ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكَ» (3)، **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَلَّى** وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

فاتقوا الله عباد الله حق التقوى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (4).

(1) [الأنفال: 30].

(2) [التوبة: 40].

(3) المعجم الكبير للطبراني (10624).

(4) [آل عمران: 102].

أيها المؤمنون: عام هجري جديد أقبل علينا نتذكر فيه حدثا عظيما، حدثا نصر الله به الدين، وأعلى كلمة التوحيد، وغير الله به وجه الأرض، وقامت بعده دولة الإسلام، وسقطت بعده عروش أهل الكفر والظلم والطغيان، هذا الحدث هو حدث الهجرة النبوية الشريفة.

ألا وإن في سيرة الهجرة لخبرا، وإن فيها لعبرا، وإن في دروسها لمذكرا، وقبل البدء بذكر الدروس المستفادة من هذا الحدث العظيم لا بد من التنبيه على أن الهجرة النبوية لم تكن في محرم بل كانت في ربيع الأول، وقد يقول قائل إذا لم تكن الهجرة النبوية في محرم وقد سمي هذا التاريخ بالتاريخ الهجري نسبة إلى الهجرة النبوية، فلماذا جعل أول السنة الهجرية شهر الله المحرم، وليس ربيع الأول؟

والجواب عن هذا التساؤل جاء عن علي رضي الله عنه: بعد أن جمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس واستشارهم في ذلك فذكر بعضهم رمضان، وبعضهم المولد الشريف، وآخرون وفاة النبي عليه الصلاة والسلام، فذكر علي رضي الله عنه الهجرة النبوية، **فغن** سعيد بن المسيب رحمه الله قال: «جَمَعَ عُمَرُ النَّاسَ فَسَأَلَهُمْ مِنْ أَيِّ يَوْمٍ يُكْتَبُ التَّارِيخُ؟ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: «مِنْ يَوْمِ هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَرَكَ أَرْضَ الشُّرْكِ» فَفَعَلَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (1).

وفي مسند الفاروق لابن كثير رحمه الله: حدثنا ابن أبي الزناد، عن أبيه، قال:

(1) المستدرک للحاکم (4287).

«استشار عمرُ في التاريخ، فأجمعوا على الهجرة». فعمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** جمع أصحاب محمد **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** واستشارهم، ثم مال إلى رأي علي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في جعل الهجرة النبوية هي بداية التأريخ الهجري وهو الرأي الذي أجمع عليه بعد ذلك الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، لأنها حدث عظيم بها كان انتقالاً من مرحلة من مراحل الدعوة الإسلامية إلى مرحلة أخرى.

وأما لماذا جُعِلَ أول السنة الهجرية هي المحرم مع أن الهجرة النبوية كما تقدم كانت في ربيع الأول فذلك يعود لأسباب ملخصها:

أولاً: أن بداية العزم على الهجرة كان في محرم وبه ابتداء أصحاب النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** في الهجرة كما ذكره الحافظ ابن حجر وغيره⁽¹⁾.

ثانياً: أن العرب كانت تؤرخ بداية السنة به كما ذكره بعض أهل العلم⁽²⁾.

ثالثاً: وهو الأهم ما جاء عن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أنه قال: الهجرة فرقت بين الحق والباطل فأرخوا بها، وقال عن المحرم: هو منصرف الناس من حجهم فأرخوا بالمحرم⁽³⁾.

أيها المؤمنون: إن في الهجرة النبوية الشريفة دروساً عظيمة ولفترات إيمانية جميلة لمن تأملها **ومن ذلك:**

(1) فتح الباري 7 / 268

(2) البداية والنهاية 2 / 289

(3) تأريخ الطبري 2 / 389

أولاً: أن الصراع بين الحق والباطل باق إلى قيام الساعة، وأن الباطل حين تمكنه يكون ظالماً غشوماً، وأن الحق حين تمكنه يكون عادلاً رحيماً.

لما كان المشركون هم أهل الشوكة والقوة في مكة المكرمة حين البعثة النبوية تعدد إيذاؤهم للنبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** ولأصحابه إيذاء حسياً ومعنوياً، فاستخدم المشركون السخرية والاستهزاء به **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، فاتهموه بالجنون تارة، والسخرية منه ومن أصحابه تارة أخرى، واتهموه بالكذب، وقد عبر القرآن الكريم عن هذه الاتهامات **فقال سبحانه مخبراً عن ذلك: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾**⁽¹⁾. **وقال أيضاً مخبراً عنهم: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾**⁽²⁾.

ولقد كان لهذا الاستهزاء والسخرية أثر في نفس النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهو الصادق المصدوق، فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْمُ أَنَّكَ يَصِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ فَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ﴾**⁽³⁾.

ولقد بلغ الإيذاء أن يستقبلوا الناس في الموسم ليحذروا من النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ويشوهوا سمعته ودعوته.

أما الإيذاء الجسدي له ولأصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فيكفي أن نذكر من الإيذاء

(1) [الحجر: 6].

(2) [ص: 4].

(3) [الحجر: 97 - 99].

الجسدي له صلى الله عليه وسلم هذا الموقف الذي تدمع له العين، فعن عروة بن الزبير قال: سألت ابن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: «بينما النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبه في عنقه، فخنقه خنقا شديدا، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ (1).

أما أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فمنهم من أُحرق جسده بالنار، ومنهم من أُحرق بالرمضاء، ومنهم من سُجن، ومنهم من ضُرب، ومنهم من قُتل، كسمية وزوجها ياسر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، وكل هذه الأمور مجتمعة كان من أهم أسباب الهجرة، وقارنوا هذا التمكن من المشركين والعذاب للمسلمين والإيذاء بتمكن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** عندما دخل مكة فاتحا وجمع الناس وقال كلماته في العدل: حيث دخل صناديد قريش من المشركين الكعبة وهم يظنون أن السيف لا يُرفع عنهم، ثم طاف بالبيت وصلى ركعتين، ثم أتى الكعبة فأخذ بعصا دتي الباب فقال: ما تقولون، وما تظنون؟ قالوا: نقول: ابن أخ وابن عم حليم رحيم، وقال: ما تقولون وما تظنون؟ قالوا: نقول: ابن أخ وابن عم حليم رحيم ثلاثا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقول كما قال يوسف: «لا تتريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين» قال: فخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا في الإسلام.

وفي رواية أنه قال لهم حين اجتمعوا في المسجد: "ما ترون أي صانع بكم؟"

" قالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم. قال: " اذهبوا فانتم الطلقاء" (1).

وهكذا الحال في كل زمان ومكان يتكرر التأريخ أن أهل الحق يحاول أعداء الإسلام تشويه سمعتهم وإيذائهم، ومن تأمل القنوات الفضائية الفاسدة أو الحاقدة والمواقع الإلكترونية علم حجم المعاناة التي يعانيها أهل العلم والدعاة من التشويه والإيذاء، فإن كان هذا حال رسول الإنسانية ونبي العدل ورسول الألفة والمحبة والتوحيد الخالص والعفة والعفاف، الرسول المبارك الذي جاء يدعو إلى المبادئ الحسنة والأخلاق المستحسنة، فإذا كان هذا حاله صلى عليه وسلم، وهم يعرفونه بذلك قبل النبوة فكيف بحال الدعاة من بعده مع أعدائهم.

ثانيا: ومن دروس الهجرة، تمام اليقين بنصر الله، وأن العاقبة للمتقين.

لقد خرج رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من مكة مطاردا ثم عاد إليها بعد عشر سنوات فاتحا منتصرا، وقد انتشر الإسلام وعم الإيمان، وأصبحت دولة الإسلام في توسع متتابع، فعلى المسلم المؤمن عند نزول الأزمات وحلول المحن بالأمة الإسلامية أن يتذكر أن الإسلام لن يموت، وأن الأمة لن تموت، نعم تمرض لكنها ستتعاوى وترفرر رايات الإسلام في قلب كل دول العالم، وعدُّ من الله محقق.

عن خباب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: «أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَشَكُونَا إِلَيْهِ فَقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ فَجَلَسَ مُحَمَّرًا

(1) السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي (18739).

وَجْهَهُ، فَقَالَ: قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْمِنْشَارِ، فَيَجْعَلُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيَجْعَلُ فِرْقَتَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيَمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عَظْمِهِ مِنْ لَحْمٍ وَعَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيَتَمَنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَصِيرَ الرَّابِئُ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَحَضْرَمَوْتَ مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذُّبَّ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَعْجَلُونَ» (1).

ومن تأمل كثرة الناس الداخلين في الإسلام في دول أوروبا وأمريكا وأفريقيا وغيرها علم مصداق ذلك، ولولا التشويه للإسلام من أعدائه ومن بني جنسه من أبناء الإسلام لرأينا سرعة الانتشار أكثر وأكثر.

ثالثا: ومن دروس الهجرة كما قال بعض أهل العلم: أن العقيدة أغلى من الأرض، وأن التوحيد أسمى من الديار، وأن الإيمان أثمن من الأوطان، وأن الإسلام خير من القناطر المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ومن كل متاع الدنيا، يتجلى هذا المعنى عندما ترك الصحابة رضوان الله عليهم أموالهم وأهليهم وأرضهم وأحبابهم بحثا عن أرض آمنة لإقامة دينهم وعبادة ربهم، قال **جَلَّ وَعَلَا** واصفا هذا المشهد: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا

(1) سنن أبي داود (2649) وهو في البخاري (6544).

وَيُؤَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾.

وتأملوا حال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حين خرج مهاجرا وهو يلتفت إلى مكة مخاطبا إياها، ففي سنن ابن ماجه رَحِمَهُ اللهُ **عن** عبد الله بن عدي بن الحمراء، قال له: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ، وَاقِفٌ بِالْحَزْوَرَةِ يَقُولُ: «وَاللَّهِ إِنَّكَ، لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ لَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكَ، مَا خَرَجْتُ» (2).

ومن أخرج من بيته وطرده من بلده وأرضه قد يشعر ببعض هذه الآهات وهذه الأحزان والمعاناة.

أسأل الله الكريم بمنه أن يقوي حب نبيه وأصحابه في قلوبنا، وأن يمتينا على سنته وأن يبعثنا في زمرة، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم فاستغروه، إنه هو الغفور الرحيم.

(1) [الحشر: 8، 9].

(2) سنن ابن ماجه: (3108).

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله،
والصلاة والسلام على رسولنا الكريم وآل بيته الطيبين وصحابته أجمعين.

أما بعد:

أيها المؤمنون: ومن دروس الهجرة أيضا وهو الدرس الرابع: التوكل على
الله والاعتصام به، لقد كانت الهجرة النبوية الشريفة محفوفة بالمخاطر التي
تطير لها الرؤوس، فالسيوف تحاصره **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وليس بينه وبينها إلا
الباب، والمطاردون يقفون أمامه على مدخل الغار، وسراقة الفارس المدجج
بالسلاح يدنو منه حتى يسمع قراءته صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى
آلِهِ وَسَلَّمَ والرسول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** في ظل هذه
الظروف العصيبة متوكل على الله واثق من نصره.

ورضي الله عن الصديق أبي بكر وحسبه وقوفه مع النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**
وخوفه على رسول الله صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى
آلِهِ وَسَلَّمَ لا على نفسه، وهذا من ثقته بالله وتوكله عليه،
ولكن شدة خوفه على رسول الله صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى
آلِهِ وَسَلَّمَ وشدة حبه له جعلته كما وصفه الله في
سورة التوبة.

وتأملوا في هذا الموقف ففي كتاب (سير السلف الصالحين) عن ضبة بن
محسن العنزي حين قدم على عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: وَاللَّهِ لَلَيْلَةَ مِنْ أَبِي
بَكْرٍ وَيَوْمَ خَيْرٍ مِنْ عُمَرَ وَآلِ عُمَرَ، فَهَلْ لَكَ أَنْ أَحَدَّثَكَ بَلِيَّتِهِ وَيَوْمِهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: أَمَّا لَيْلَتُهُ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ هَارِبًا مِنْ الْمُشْرِكِينَ، خَرَجَ لَيْلًا فَتَبِعَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَجَعَلَ مَرَّةً يَمْشِي أَمَامَهُ، وَمَرَّةً خَلْفَهُ، وَمَرَّةً عَنْ يَمِينِهِ، وَمَرَّةً عَنْ يَسَارِهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا هَذَا يَا أَبَا بَكْرٍ؟ مَا أَعْرِفُ هَذَا مِنْ فِعَالِكَ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَذْكَرُ الرَّصِدَ فَأَكُونُ أَمَامَكَ، وَأَذْكَرُ الطَّلَبَ فَأَكُونُ خَلْفَكَ وَمَرَّةً عَنْ يَمِينِكَ وَمَرَّةً عَنْ يَسَارِكَ لَا أَمْنُ عَلَيْكَ، فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِهِ حَتَّى حَفِيَتْ رِجْلَاهُ، فَلَمَّا رَأَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهَا قَدْ حَفِيَتْ حَمَلَهُ عَلَى عَاتِقِهِ حَتَّى أَتَى بِهِ فَمَ الغَارِ، فَأَنْزَلَهُ ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا تَدْخُلُهُ أَنْتَ حَتَّى أَدْخُلَهُ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ شَيْءٌ بَدَأَ بِي قَبْلَكَ، فَلَمْ يَرِ شَيْئًا يَسْتَرِيهِ، فَحَمَلَهُ وَأَنْزَلَهُ وَكَانَ فِي الغَارِ خَرَقٌ فِيهِ حَيَّاتٌ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَلْقَمَهُ قَدَمَهُ، فَجَعَلَ يَلْسَعُهُ أَوْ يَضْرِبُهُ، وَجَعَلَتْ دُمُوعُهُ تَنْحَدِرُ عَلَى خَدِّهِ مِنْ أَلَمٍ مَا يَجِدُ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ، -أَيُّ طُمَأْنِينَتَهُ- لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَهَذِهِ لَيْلَتُهُ (1).

أبها الناس: إن التوكل على الله هو صدق اعتماد القلب على الله في جلب المنافع ودفْع المضار مع العمل بالأسباب الممكنة، ولقد كان النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في رحلة الهجرة متوكلاً على الله واثقاً بنصره، وأن الله كافيهِ، ومع هذا كله لم يكن عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بالمتهاون المتواكل، بل أعد خطة محكمة ثم قام بتنفيذها بسرية تامة، فهو عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ القائد للرحلة، والمساعد والصاحب الصديق أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والفدائي علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والتموين أسماء بنت

(1) سير السلف الصالحين (1/79).

الصديق، والاستخبارات عبد الله بن أبي بكر، والتغطية وتعمية العدو عامر، ودليل الرحلة عبد الله بن أريقط، والمكان المؤقت غار ثور، وموعد الانطلاق بعد ثلاثة أيام، وخط السير الطريق الساحلي عكس الطريق المعهود، وهذا كله شاهد على حكمته وحسن تدبيره والعمل بالأسباب الممكنة، وهو دعوة لتحذو الأمة حذوه في حسن التخطيط وإتقان العمل في حياتها كلها، فقد عمل **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بهذه الأسباب وهو سيد المتوكلين.

وإخبار الصحاب والتعريض له بالخبر قبل الرحلة، وإعداد راكبتين ودفع الراكبتين إلى الدليل قبل الهجرة، وزيارة أبي بكر كل يوم قبل الرحلة، ولهذا لم يكن غريبا على قريش مجيء النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** إليه، وتغيير الوقت المعتاد للزيارة بسبب الرصد من قريش، والإسراع لأبي بكر بالهجرة، والإسراع في إعداد الزاد، ومبيت علي على فراشه، والخروج من ظهر البيت ولم يخرجوا من الباب المعتاد، واختيار الغار حيث البعد عن الأنظار للاختفاء فيه، والبقاء فيه ثلاثة أيام والتخطيط للتعرف على كيد العدو، وكل هذا وغيره هو من التوكل على الله.

وأخيرا أيها المؤمنون: إن الهجرة بالمعنى الشرعي ليست مجرد الانتقال من بلد إلى بلد آخر فقط، بل هي هجرة عامة عن كل ما نهى الله عنه ورسوله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وهجرة عن مجالس السوء وهجرة للذنوب والسيئات، وهجرة عن الشهوات والشبهات والمنكرات، **عن الشعبي رَحِمَهُ اللَّهُ**، قال: سمعت

عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَرَبِّ هَذِهِ الْبَيْتِ، يعني الكعبة، يقول: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: "المهاجر من هجر السيئات، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" (1).

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ الْهَجْرَةَ خَصْلَتَانِ؛ إِحْدَاهُمَا أَنْ تَهْجُرَ السَّيِّئَاتِ، وَالْأُخْرَى أَنْ تَهَاجِرَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا تَنْقَطِعَ الْهَجْرَةُ مَا تُقْبَلَتِ التَّوْبَةُ، وَلَا تَزَالِ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنَ الْمَغْرِبِ، فَإِذَا طَلَعَتْ، طَبَعَ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ بِمَا فِيهِ، وَكَفَى النَّاسَ الْعَمَلَ" (2).

اللَّهُمَّ مَكِّنْ حَبِكَ وَحُبَّ رَسُولِكَ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ فِي قُلُوبِنَا، وَأَلْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ، وَوَفَّقْنَا لِامْتِثَالِ طَاعَتِكَ وَأَمْرِكَ، وَاعْفُرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

(1) صحيح ابن حبان (196).

(2) مسند أحمد (1671).



آخر ورقة في التقويم

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ، وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ (1)، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (2)، **وأشهد** أن محمدا عبده ورسوله القائل لعبدالله ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:** كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعد نفسك من أهل القبور (3)، **وأصحابه أجمعين، أما بعد:**

فاتقوا الله عباد الله حق التقوى، وتمسكوا بالعروة الوثقى، فإن الدنيا قصيرة زائلة، والآخرة قريبة باقية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (4).

أيها المؤمنون: أعمارنا تنقضي، وأيامنا مهما طالت من النهاية تقترب، والأيام والليالي سريعة الخطى سريعة الانقضاء.

(1) [الفرقان: 62].

(2) [المنافقون: 9].

(3) مسند الإمام أحمد (5002).

(4) [الحشر: 18].

ألم نشاهد في العام المنصرم أوراق التقويم كم كانت وكيف كانت سريعة في ذهابها، بدأت بورقة واحدة ثم تلتها ورقة، ثم أوراق، حتى آخر ورقة في التقويم، وكأنها لحظة من اللحظات أو ساعة من الساعات.

وهكذا حياتك أنت وأنا حياة سريعة.

إِنَّا لَنَنْفِرُحُ بِالْأَيَّامِ نَقْطَعُهَا وَكُلَّ يَوْمٍ مَضَى يُدْنِي مِنَ الْأَجَلِ
فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ الْمَوْتِ مُجْتَهِدًا فَإِنَّمَا الرِّيحُ وَالْخُسْرَانُ فِي الْعَمَلِ (1)

قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ (2).

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (3).

ما بين الولادة والكهولة والشباب والشيخوخة والهرم ثم الموت ينتهي شريط الحياة في عجالة، ويُطوى سجل الإنسان وكأنها غمضة عين أو ومضة برق: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ﴾ (4).

(1) كلام الليالي والأيام لابن أبي الدنيا (ص 3).

(2) [الأحقاف: 35].

(3) [يونس: 45].

(4) [آل عمران: 185].

على جَنَابِ هذه الأَرْضِ نمشي زماناً ثم ندْفُنُ في ثراها
ويأتي بعدنا قومٌ وقومٌ يعيشون الحياة كما تراها
يذوقون النعيمَ بها وطوراً يذوقون المرارةَ من أساها
وكم من قد مضى من ألفِ جيلٍ على منوالهم نخطو رباها
وليس يعادُ للإنسانِ دهرٌ إذا صَفَحَاتِهِ يوماً طَواها (1)

أيها المؤمنون: إن العاقل من اتعظ بأمره واجتهد لموته ورمسه، فإن الأيام والليالي خزائن الأعمال ومراحل الآجال، تُبلي كل جديد، وتقرب كل بعيد، أعوام تمر فإذا هي أيام، وأقوام تمضي في إثر أقوام، هذا مقبل على الطاعات مجتنب للمعاصي والمنكرات، وذاك مدبر عن العبادات غارق في الشهوات والمنكرات، وفجأة تنتهي آخر ورقة في تقويم حياة كل واحد منا، فيا ترى كيف حال هذا؟ وما مصير ذاك؟

يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ:

يَا مَنْ يَعِدُّ غَدَاً لَتَوْبَتِهِ أَعْلَى يَقِينٍ مِنْ بُلُوغِ غَدَاً
الْمَرْءُ فِي زَلَلٍ عَلَى أَمَلٍ وَمَنِيَّةِ الْإِنْسَانِ بِالرَّصَدِ
أَيَّامٍ عَمْرُكَ كُلِّهَا عَدَدٌ وَلَعَلَّ يَوْمَكَ آخِرَ الْعَدَدِ (2)

وصدق الله القائل مخبراً عن مؤمن آل فرعون: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ

(1) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (3/ 225).

(2) المداهش (ص 232).

الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿١﴾.

عباد الله: ألم يأن لأهل الغفلة منا أن يدركوا حقيقة هذه الدار وسرعة انقضاء الأعمار، ألم يعلموا أن حياتها بالذنوب والبعد عن الله تعالى عناء ونعيمها بلاء، وأن جديدها يبلى، وملكها يفنى، ونعمها زائلة، وبلاياها نازلة، ومناياها قاضية.

أَفَقُ أَخَا اللَّبِّ مِنْ سُكْرِ الْحَيَاةِ فَقَدْ أَنْ الرَّحِيلُ وَدَاعِي الْمَوْتِ قَدْ حَضَرَ
هَلْ أَنْتِ إِلَّا كَأَحَادِ كَالَّذِينَ مَضَوْا بِحَسْرَةِ الْفَوْتِ لَمَّا اسْتَيْقَنَ الْخَبَرَ
وَأَنْتِ تَحْرِصُ فِيمَا أَنْتِ تَارِكُهُ إِنْ كُنْتَ تَعْقِلُ يَوْمًا حَقَّقِ النَّظْرَا
أَيَّامُ عُمْرِكَ كَنْزٌ لَا شَيْبَةَ لَهُ وَأَنْتِ تَشْرِي بِهِ الْحَصْبَاءَ وَالْمَدْرَا⁽²⁾

فمن كان وقته ضائعا بالذنوب والمعاصي، مفرطاً بالطاعات غافلاً عن الصلوات، فليبادر بالتوبة الصادقة والرجعة إلى الله سبحانه قبل نزول الموت، **يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ:** يَا أَخِي التَّوْبَةَ التَّوْبَةَ قَبْلَ أَنْ تَصِلَ إِلَيْكَ النَّوْبَةُ، الْإِنَابَةَ الْإِنَابَةَ قَبْلَ أَنْ يَغْلِقَ بَابَ الْإِجَابَةِ، الْإِفَاقَةَ الْإِفَاقَةَ فَيَا قَرِيبَ وَقْتِ الْفَاقَةِ... يَا غَافِلَا عَنْ مَصِيرِهِ يَا وَاقِفًا فِي تَقْصِيرِهِ سَبَقَكَ أَهْلُ الْعِزَائِمِ وَأَنْتِ فِي الْيَقِظَةِ نَائِمٌ، قَفِ عَلَى الْبَابِ وَقُوفٌ نَادِمٌ، وَنَكَسَ رَأْسَ الذَّلِّ وَقَلَّ: أَنَا ظَالِمٌ، وَنَادِي فِي الْأَسْحَارِ مَذْنِبٌ وَوَاجِمٌ، وَتَشَبَهَ بِالْقَوْمِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ وَزَاحِمٌ، وَابْعَثْ بِرِيحِ الزَّفَرَاتِ

(1) [غافر: 39].

(2) ذيل طبقات الحنابلة - لابن رجب (2/353).

سَحَابِ دَمَعِ سَاجِمٍ، قُمَ فِي الدَّجَا نَادِبًا، وَقَفَ عَلَى الْبَابِ تَائِبًا، وَاسْتَدْرَكَ مِنَ الْعَمْرِ ذَاهِبًا وَدَعَا اللَّهْوَ وَالْهَوَى جَانِبًا⁽¹⁾.

قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أخذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمنكبي، فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل» وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت، فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك⁽²⁾.

قال داود الطائي: إنما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلةً مرحلةً، حتى ينتهي ذلك بهم إلى آخر سفرهم، فإن استطعت أن تقدم في كل مرحلة زادًا لما بين يديها، فافعل، فإن انقطاع السفر عن قريب ما هو، والأمر أعجل من ذلك، فتزود لسفرك، واقض ما أنت قاض من أمرك، فكأنك بالأمر قد بغت⁽³⁾.

وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ لرجل: كم أتت عليك؟ قال: ستون سنة، قال فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك يوشك أن تبلغ، فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال الفضيل: أتعرف تفسيره تقول: أنا لله عبد وإليه راجع، فمن علم أنه لله عبد، وأنه إليه راجع، فليعلم أنه موقوف، ومن علم أنه موقوف، فليعلم أنه مسؤول، ومن علم أنه مسؤول، فليعد للسؤال جوابًا، فقال الرجل: فما الحيلة؟ قال: يسيرة، قال: ما هي؟ قال: تحسن فيما بقي يغفر لك ما مضى،

(1) المدهش (ص 236).

(2) البخاري (6416).

(3) الزهد لابن أبي الدنيا (ص 190).

فإنك إن أسأت فيما بقي، أخذت بما مضى وبما بقي" (1).

وقال الحسن البصري رَحْمَةُ اللَّهِ: وَلَمْ يَزَلِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ سَرِيعَيْنِ فِي تَقْصِ الْأَعْمَارِ وَتَقْرِيبِ الْأَجَالِ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ قَدْ صَحِبَا نُوحًا وَعَادًا، وَتَمُودًا، ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾، فَأَصْبَحُوا قَدْ قَدِمُوا عَلَى رَبِّهِمْ، وَوَرَدُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ، فَأَصْبَحَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ غَضَّيْنِ جَدِيدَيْنِ لَمْ يُبْلِغَا مَا مَرَّ بِهِ، مُسْتَعِدَّيْنِ لِمَنْ بَقِيَ بِمِثْلِ مَا أَصَابَا بِهِ مَنْ مَضَى، وَأَنْتَ نَظِيرُ إِخْوَانِكَ وَأَقْرَانِكَ وَأَشْبَاهِكَ" (2).

نَسِيرٌ إِلَى الْأَجَالِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَأَيَّامُنَا تُطْوَى وَهُنَّ مَرَا حِلُّ
وَلَمْ نَرِ مِثْلَ الْمَوْتِ حَقًّا فَإِنَّهُ إِذَا مَا تَخَطَّتْهُ الْأَمَانِيُّ بَاطِلُ
وَمَا أَقْبَحَ التَّفْرِيطَ فِي زَمَنِ الصَّبَا فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ فِي الرَّأْسِ نَازِلُ
تَرَحَّلُ مِنَ الدُّنْيَا بِزَادٍ مِنَ التُّقَى فَعُمُرُكَ أَيَّامٌ وَهُنَّ قَلَائِلُ (3)

أخيرا: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: " اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك" (4).

رزقنا الله وإياكم التوفيق لطاعته واجتناب معصيته، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(1) حلية الأولياء (8 / 113).

(2) كلام الليالي والأيام لابن أبي الدنيا (ص 36).

(3) سراج الملوك (ص 14).

(4) سنن النسائي (11832)

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي جعل الحياة الدنيا مزرعة للحياة الآخرة، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي حث على اغتنام الأوقات قولاً وفعلاً، صلى عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. **أما بعد:**

أيها المؤمنون: إن الموفق كل التوفيق من سعى لإصلاح حاله؛ ليسعد في مآله، وإن الفطن الحاذق من أدام المحاسبة وأكثر على نفسه عند التقصير والتفريط المعاتبه، وتفقد رصيده الأخرى؛ ليحيا حياة السعداء، وينزل في الآخرة منازل الأبرار أو الشهداء، ويرافق في الجنان الرسل والأنبياء، فما أحسنها من سعادة! وما أجملها من حياة!

عن جعفر بن برقان، قال: بلغني أن عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** كتب إلى بعض عماله، فكان في آخر كتابه: أن حاسب نفسك في الرِّخاء قبل حساب الشِّدَّة، فإنه من حاسب نفسه في الرِّخاء قبل حساب الشِّدَّة عاد مرجعه إلى الرِّضى والغبطة، ومن ألَهتُه حياته وشغله هواه عاد مرجعه إلى الندامة والحسرة، فتذكَّر ما توعظ به لكي تنتهي عما تُنهي عنه ⁽¹⁾.

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا؛ فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم

(1) شعب الإيمان (10117).

اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (1).

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: "لا تلقى المؤمن إلا يحاسب نفسه، ماذا أردتِ تعملين؟ وماذا أردتِ تأكلين؟ وماذا أردتِ تشربين؟ وإن الفاجر يمضي قُدُماً ما يعاتب نفسه" (2).

وقال ميمون بن مهران رَحِمَهُ اللهُ: "لا يكون العبد تقياً حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه، ولهذا قيل: النفس كالشريك الخوان، إن لم تحاسبه ذهب بمالك" (3).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "من تأمل أحوال الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف، ونحن جمعنا بين التقصير، بل التفريط والأمن" (4).

أخيراً: أخي المؤمن أختي المؤمنة تأملوا جميعاً، وتفكروا ملياً، **وتدبروا** بقلوبكم هذه الكلمات:

آخر ورقة في التقويم كأخر يوم من عمرك، وكآخر ورقة تسقط من الشجرة، فالشجرة ذهبت نظارتها بعد رونقها، ومصيرها الفناء أو النار، وأنت انتهى عمرك بعد بهائه وآماله، ومصيرك ما قدمت من أعمال.

(1) مصنف ابن أبي شيبة (34459)

(2) إغاثة اللفهان (1/145).

(3) إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان (1/79).

(4) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء (ص:40).

أيامك تمضي، وقطار العمر يمشي، والسنوات تجري، والموعد: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ (1).

الذنب الماضي قد نسيت لذته، والحاضر سيذهب كما ذهب الماضي، والنتيجة: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (2).

زمانك يمضي، وعمرك ينقضي، والسعادة في الطاعة تدوم، واللذة في المعصية تفتني، والسعيد من بادر بالتوبة، وأسرع بالأوبة، والحياة الباقية هي في جنة أو نار، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (3).

أناس عرفناهم في بداية العام الماضي، أصبحوا تحت التراب يتمنون سجدة أو تسبيحة، وهناك أناس كانوا أصحاب أمسوا على الأسرة البيضاء في أزقة المستشفيات، والسعيد من جاءته منيته أو بلاؤه وهو على طاعة:

أَتَلَّهُو بِالذُّنُوبِ وَأَنْتَ رَهْنٌ	لَمُوتٍ وَالرَّحِيمِ يَقُولُ تُوْبُوا
فَسَارِعِ بِالْمَتَابِ وَأَنْتَ حَيٌّ	فَقَرُبِ الْعَرْشِ يَدْعُو أَنْ أَنْبِئُوا
وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكَ يَا أُخِيَّ	فَكُفِّ لَعْلَهَا تُمَحَى الذُّنُوبُ
وَإِنَّ الْمَوْتَ مَوْعِدَ كُلِّ حَيٍّ	وَبَعْدَ الْمَوْتِ أَهْوَالٌ تَشِيبُ
وَبَعْدَ الْمَوْتِ جَنَاتٌ وَنَارٌ	وَكَم قَوْمٌ بَغَفَلَتَهُمْ أُصِيبُوا (4)

(1) [ق: 19].

(2) [الحجر: 93].

(3) [آل عمران: 185].

(4) من كلماتي.

فحري بنا - إخوتي - وقد رأينا أوراق التقويم قد انتهت وبدأت الأوراق الجديدة، حري بنا أن نبدأ حياة جديدة، وأن نعقد العزم على بقية العمر بالمسارعة للطاعات والمسابقة للخيرات، والحذر من المعاصي والمنكرات، زوروا المستشفيات لتعرفوا نعم الله عليكم، وزوروا المقابر لتعلموا حقيقة الحياة ونهايتها: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (1).

فكم قد سوفنا، وكم قد أخرنا من أعمال صالحة وخيرات رابحة وحسنات نافعة، لو إليها سبقنا لربحنا، ولو إليها سارعنا لفزنا ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (2).

اللهم وفقنا لسلوك مناهج المتقين، وخصنا بالتوفيق المبين، واجعلنا بفضلك من المقربين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(1) [المؤمنون: 115].

(2) [آل عمران: 133].

فهرس المحتويات

5 الشكر
6 الإهداء
7 المقدمة
21 الإخلاص
21 الخطبة الأولى
29 الخطبة الثانية
33 فضل لا إله إلا الله
33 الخطبة الأولى
38 الخطبة الثانية
41 كلمة التوحيد وما يناقضها
41 الخطبة الأولى
47 الخطبة الثانية
53 مقتضيات شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ (1)
53 الخطبة الأولى
63 الخطبة الثانية
65 مقتضيات شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ (2)
65 الخطبة الأولى
73 الخطبة الثانية

- 77 مكانة النبي ﷺ في القرآن
- 77 الخطبة الأولى
- 84 الخطبة الثانية
- 88 ولد الهدى
- 88 الخطبة الأولى
- 95 الخطبة الثانية
- 98 ضحك النبي ﷺ
- 98 الخطبة الأولى
- 104 الخطبة الثانية
- 110 بكاء النبي ﷺ
- 110 الخطبة الأولى
- 117 الخطبة الثانية
- 120 الإساءة للنبي ﷺ
- 120 الخطبة الأولى
- 128 الخطبة الثانية
- 130 السنة النبوية ومكانتها العظيمة
- 130 الخطبة الأولى
- 136 الخطبة الثانية
- 139 مكانة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في القرآن
- 139 الخطبة الأولى
- 144 الخطبة الثانية

- عظمة الله 148
- الخطبة الأولى 148
- الخطبة الثانية 154
- التفكير في آيات الله الكونية 159
- الخطبة الأولى 159
- الخطبة الثانية 166
- التفكير في خلق الإنسان 170
- الخطبة الأولى 170
- الخطبة الثانية 177
- الأذان 180
- الخطبة الأولى 180
- الخطبة الثانية 188
- الطهارة 192
- الخطبة الأولى 192
- الخطبة الثانية 199
- الصلاة 201
- الخطبة الأولى 201
- الخطبة الثانية 207
- أحكام الجمع في المطر 211
- الخطبة الأولى 211
- الخطبة الثانية 219

- 220 أحكام نزول المطر
- 220 الخطبة الأولى
- 226 الخطبة الثانية
- 228 شهر شعبان
- 228 الخطبة الأولى
- 235 الخطبة الثانية
- 239 استقبال رمضان
- 239 الخطبة الأولى
- 246 الخطبة الثانية
- 249 فضائل شهر رمضان
- 249 الخطبة الأولى
- 255 الخطبة الثانية
- 259 في وداع رمضان
- 259 الخطبة الأولى
- 264 الخطبة الثانية
- 271 العشر من ذي الحجة وفضائلها
- 271 الخطبة الأولى
- 277 الخطبة الثانية
- 281 فضل يوم عرفة والنحر
- 281 الخطبة الأولى
- 288 الخطبة الثانية

292	الهجرة النبوية
292	الخطبة الأولى
299	الخطبة الثانية
302	قصة الهجرة النبوية
302	الخطبة الأولى
312	الخطبة الثانية
313	دروس من الهجرة النبوية
313	الخطبة الأولى
321	الخطبة الثانية
325	آخر ورقة في التقويم
325	الخطبة الأولى
331	الخطبة الثانية
337	فهرس المحتويات

